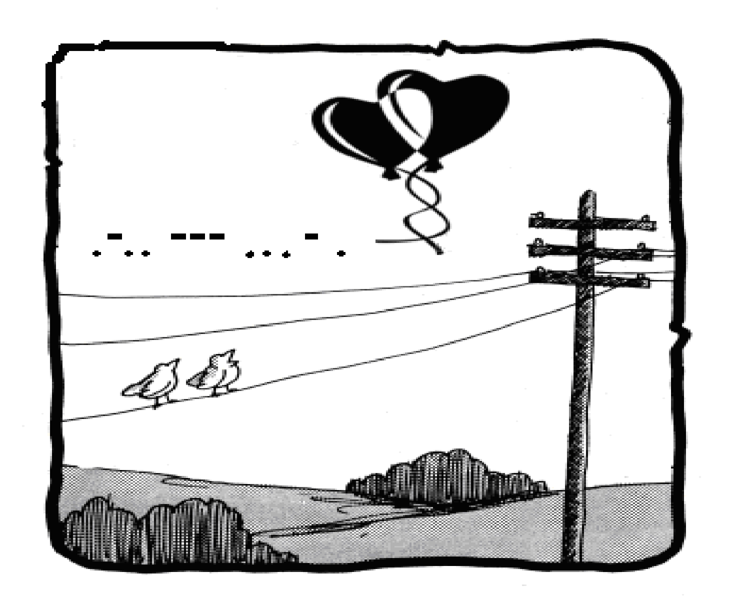
الحب عبر أعمدة البرق

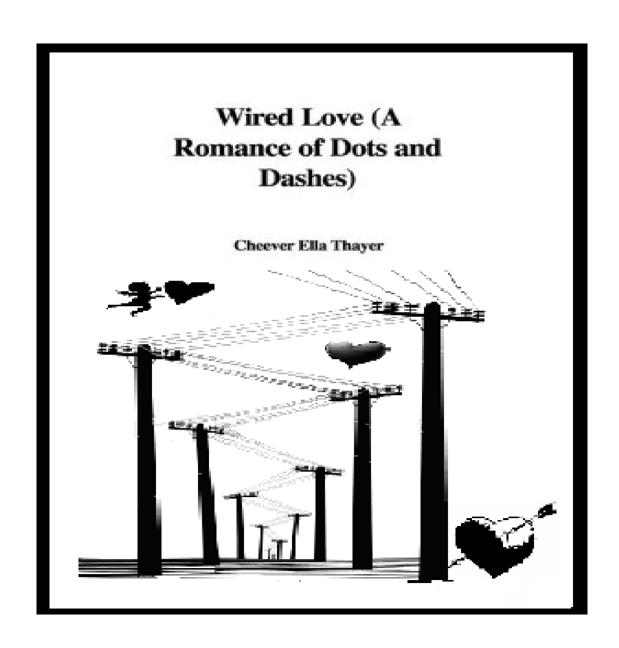


رواية الكاتبة الأمريكية: إيلا شيفر ثاير

تقديم وترجمة: د/ محمد السيد علي عزب

الحب عبر أعمدة البرق

هذه ترجمة رواية Wired Love للكاتبة الأمريكية Ella Cheever Thayer



تقديم

ولدت إيلا شيفر ثاير في عام 1849 في بلدة سوجس Saugus بولاية ماساشوستس. بعد وفاة والدها انتقلت مع أختها ماري إلى مدينة بوسطن عام 1863 وأقامت في 283 شارع شومت Shawmut Avenue . عملت في أحد مكاتب البرق "التلغراف" الذي كان يقع فيما يسمى الآن بفندق برنزويك Brunswick Hotel .

في عام 1879 عن لإيلا شيفر ثاير أن تستغل وقت فراغها في مكتب التلغراف الكئيب في كتابة رواية عن عالم البرق السحري الذي بدأ عام 1851 وربط شرق الولايات المتحدة بغربها، بل وبالقارة العجوز على الجانب الآخر من الأطلنطي.

خرجت الرواية إلى النور بعد عام ولم تكرر ثاير التجربة، لكنها لم تجد الزوج الذي كانت تحلم به وماتت بتولا تاركة –خلا الرواية التي بين أيدينا– مجموعة قصصية للأطفال (1869) ومسرحية هي The Lords of Creation خرجت للنور عام 1883 ودافعت فيها عن حرية المرأة في الولايات المتحدة. عملت ثاير أيضا في إحدى صحف بوسطن حتى وفاتها في عام 1925 دون أن تسعى لسوء الحظ للوقوف أمام الكاميرا لتأخذ لها صورة فوتوغرافية.

تدور أحداث قصتنا "الحب عبر أعمدة البرق – غرام النقاط والشرط" حول ناتيNattie وكليّم Clem اللذين يعملان في مكتبي برق يبعد كلاهما عن الآخر حوالي خمسين ميلا. أقام كليّم وناتي عن طريق أجهزة التلغراف وشفرة

مورس Morse Code التي تأتلف من نقاط وشرط علاقة غرامية Online Romance قبل ظهور الإنترنت بأكثر من مائة عام. توجت هذه العلاقة بالزواج بعد العديد من المنغصات.

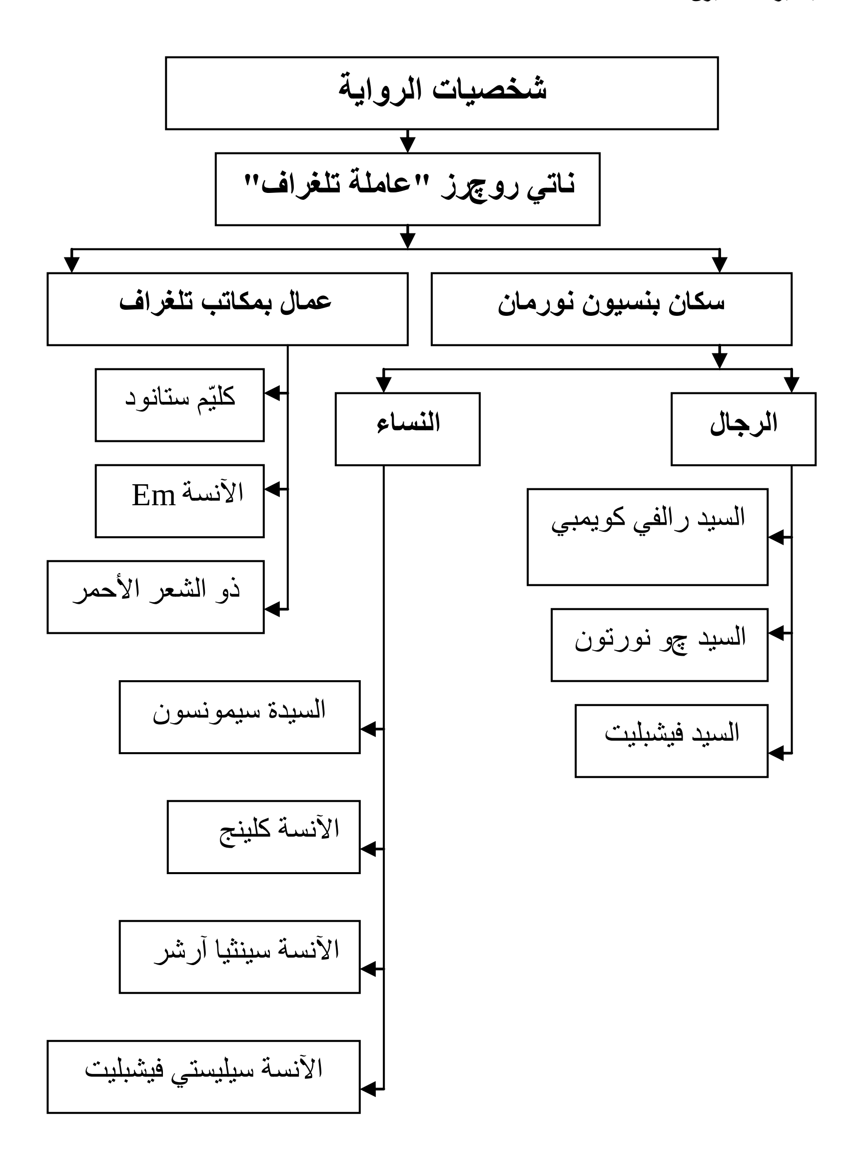
A: ·–	B: –···	C: –·–·
D: –··	E: ·	F: ··–·
G: ––·	H: ····	I: ··
J: ·–––	K: –·–	L: ·–··
M: ––	N: –·	O: –––
P: ·––·	Q: ––·–	R: ·–·
S: ···	T: –	U: ··–
V: ···–	W: ·––	X: –··–
Y: –·––	Z: ––··	

يُدعى التلغراف في القرن التاسع عشر الآن بالإنترنت الفيكتوري Victorian Internet. بدأ هذا العصر حين استنبط صمويل موريس التلغراف السلكي والذي تطور بعد ذلك إلى التلغراف الكهربي. ومما هو جدير بالذكر أن مورس ينتمي لنفس الولاية التي نشأت بها إيلا شيفر ثاير وهي ولاية ماساشوستس. دفعه موت زوجته وهو مسافر وعدم قدرته على رؤيتها قبل وفاتها إلى التفكير في طريقة سريعة لتبادل الرسائل.

في ثنايا الرواية تتنبأ إيلا شيفر ثاير بشكل ملفت للنظر باختراع الإنترنت والفاكس والهاتف المحمول. لذا يمكننا القول أن رواية ثاير رواية تنبؤية بالمستقبل

Prophetic novel وهذا جانب هام بها يعكس قدرة الأدب علي قراءة المستقبل وتخيل معطياته وإرهاصاته.

تعتبر إيلا شيفر ثاير من أوائل الذين كتبوا عن الحب في العالم الافتراضي بحثا عن "توأم الروح" قبل ظهور غرف الدردشة والعالم الإلكتروني، بل وتناولت عيوب ومزايا المواعدة في العالم الرقمي بشكل مذهل يدعو للدهشة.



شخصيات الرواية
ناتي روجرز "عاملة تلغراف"
سكان بنسيون نورمان
عمال بمكاتب تلغراف
الرجال
النساء
كليّم ستانود
الآنسة Em
ذو الشعر الأحمر
السيد رالفي كويمبي
السيد جو نورتون
السيد فيشبليت
السيدة سيمونسون
الآنسة كلينج
الآنسة سينثيا آرشر
الآنسة سيليستي فيشبليت

الفصل الأول

أصوات من شخص بعيد يرمز لنفسه بحرف "C"

".– ...–. — ...– " مجرد ضجة! هذا كل ما في الأمر، لكنها ضجة لها معنى ومغزى للآنسة نتالي روچرز أو "ناتي" كما يدعوها الآخرون، أصوات جعلتها تنحي الكتاب الذي كانت تطالعه جانبا وتهب صارخة بعد أن ظهرت عليها علامات الضيق والاستياء:

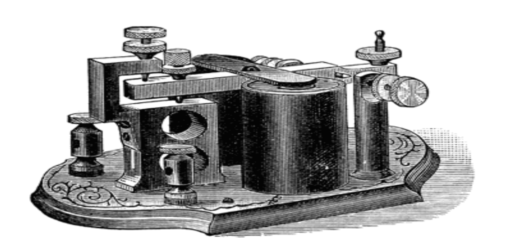
– *دائما يتصل شخص ما حين أكون في منتصف فصل مشوق!*

انجلى هذا النقر الذي يشبه دق ساعة الحائط، لكنه لا يسير مثلها على وتيرة واحدة، عن أربعة حروف غامضة كان ترميزها لناتي هو: Bm– Xn ودلالتها حين تُشفر وتُفسر كالآتي: يشير الحرفان Bm حسب مصطلحات المهنة إلى نداء لعامل التلغراف بالمكتب الذي تديره ناتي بمفردها وباقتدار، ويعنيان أنها مطلوبة بواسطة مكتب برق آخر عنوانه على الشبكة هو Xn، مكتب ريفي صغير يقع على مسافة حوالي خمسين ميل في اتجاه أعمدة التلغراف.

ردت ناتي معربة عن استعدادها لتلقي أي برقيات من هناك. فطنت إلى أهمية ضبط انفعالاتها في التعامل مع الآلة وحجمت شعورها بالاستخفاف تجاه عامل تلغراف في منطقة نائية لا يذهب إليها إلا من هو جديد وقليل الخبرة في المهنة.

لم تتوقع نهائيا السرعة التي توالت بها طقطقة أصوات الأبجدية من النقاط والشرط على المرجاس Sounder، وهو الجزء المخصص لاستقبال الرسائل في

ماكينة التلغراف. وجدت نفسها عاجزة عن ملاحقة الكلمات التي تعاقبت بسرعة:



- *يا إلهي!*

أطرقت في عصبية:

- *لقد تغلبت القرية على المدينة هذه المرة! تُرى هل هذا العامل رجلا أم امرأة؟!*

بالرغم من المجهود الذي بذلته لمجاراته فقد اضطرت إلى فصل دائرة الاتصال والدخول على المرسل بطلب:

- *أعد من فضلك.*

تقبل عامل مكتب القرية المقاطعة برحابة صدر. أدرك أن الناس عادة ما يفرغون من تناول عشائهم في هذا التوقيت فأظهر طاعة وحلم وامتثل لطلبها، لكن للأسف لم يعد بمقدور ناتي ملاحقة هذا الشخص المتمكن واضطرت لقطع الاتصال مجددا وإرسال طلب مهين:

- *من فضلك أرسل ببطء.*

جاء رد عامل القرية:

- *ياه!*

"ياه!"، يا لها من كلمة صغيرة، لكنها معبرة! لم تفهم ناتي هل تُلمح هذه الكلمة إلى ضيق الصدر أم السخرية من قدراتها، والأخيرة هي ما تخشاه وتشعر نحوه بحساسية؟ بالفعل بدأ عامل مكتب القرية إرسال الأحرف في إيقاع جنائزي الأمر الذي أشعل أعصابها وأوصلها إلى حافة الجنون وهي تحاول تجميع الحروف وتكوين الكلمات. ما إن قطعا مسافة وجيزة حتى رن صوت زاعق في أذني ناتي المشدودة والمتوترة:

- *هل تتلقين رسالة الآن؟*

نظرت بطرف عينيها فرأت نظارة وابتسامة متكلفة وغطاء رأس أخضر اللون وأنفا فضوليا حادا يقتحم نافذتها الصغيرة. أومأت برأسها على عجل وتمكنت من التقاط كلمة أخرى من الرسالة بالرغم من التشويش، لكن ما إن همت بتدوينها حتى استفسر الصوت مجددا:

- *هل تميزين الكلمات كلها بالصوت؟*

أجابت ناتي بنظرة متجهمة وجاهدت حتى لا ينقطع الاتصال، لكن الحظ عاندها في نهاية المطاف ووقف حائلا دون إثباتها سمعة طيبة كعاملة تشغيل. وصل إلى مسامعها صوت مختلف مرددا هذه الكلمات:

- *من فضلك أريد أن أبعث بهذه على وجه السرعة.*

تبين أنها لرجل طويل راح يخبط بيده على الرف الخارجي للشباك بينما أمسكت الأخرى بالرسالة. شعرت ناتي باليأس حين قاطعت عامل القرية من

جديد لتتناول رسالة الرجل نافد الصبر. ألقت نظرة عليها لتتأكد من وضوح كلماتها، ثم تقاضت الثمن وأعادت للرجل ما تبقى له من مال. في غضون ذلك ظلت المرأة صاحبة الأنف المتطفل تتابع ما يجري باهتمام بالرغم من انقضاء حاجتها. عادت ناتي تطلب من عامل القرية الذي أهملته كثيرا الاستمرار. أرسلت له:

- *"G.A the" ومعناها بلغة التلغراف "انطلق الـ هو آخر ما وصلني من حروف"*

هذه المرة لا يهم إذا كان الوقت بعد وجبة العشاء أو خلافه. لم يمنع هذا عامل القرية من أن يخرج ما في صدره من ضيق وتأفف فانطلق في تهكم:

- *أليس من الأفضل أن تذهبي إلى المنزل وترسلي شخصا يستطيع استلام الرسالة؟!*

بدأ الآن جليا أن الحنق العارم قد استشاط وتأجج في أوداج شخصين على بعد ستين أو سبعين ميلا، لكنهما آثرا ألا يصبا جم غضبهما وأن يكبتا غيظهما في هذه اللحظات. لن يحقق العند نتيجة في الظروف الراهنة. هكذا ارتأت ناتي التي أحمر وجهها وعضت أناملها في انفعال جراء استياءها من شخص يقبع في قرية نائية، ولا تعرف حتى إذا كان رجلا أم امرأة. ولأنه لم يتم بعد استنباط أداة تمكنها من رؤية التعبيرات على وجه هذا الشخص فإن كل ما لديها هو أصابعها التي راحت ترد عنها في حدة:

- *ما الفائدة التي ستجنيها حين تُظهر هذا المزاج الرائع؟*

جاء رد عامل تلغراف القرية قبيل استئناف الإرسال:

- *لست عاجزا عن الرد على ما تضمنته مجاملتك من تورية.*

تمكن الغضب من ناتي وكادت أن تمضي في عزمها الأكيد على استعادة كبريائها الجريح لولا إعلان صاحبة الأنف المتطلع عن استمرار بقائها بسؤال مباغت:

- *هل لكل كلمة جرس مختلف أم للمقطع أم ماذا؟*

استدارت ناتي نحو السائلة بغتة وقد عقدت حاجبيها لتسكتها، لكن مرفقها أطاح بالمحبرة فانسكب الحبر على يديها وفستانها والمكتب والأرض مُثبتا جدارة العلامة التجارية على العبوة "حبر أسود فاخر". خيم الصمت على المكان فلم يُسمع سوى صوت المرجاس.

انقضت لحظة حملقت خلالها ناتي بانشداه في يديها الملطختين وفستانها الذي لم يعد صالحا للارتداء والمرجاس وصاحبة الأنف الفضولي التي عكس وجهها تعبيرا من الاستمتاع الهادئ الذي يُرى غالبا على وجوه من يتأملون من بعيد النوازل التي تحط بأترابهم من بني البشر. قطعت ناتي الاتصال مع عامل القرية للمرة الرابعة وأرسلت بشجاعة اليائس هذه الكلمات التي طبع الحبر بصمتها على الآلة:

- *استميحك عذرا. ستُضطر للانتظار. لقد وقع عليّ الحبر، كما أن ثمة هناك من يستجوبني.*

تعمدت ناتي بعد أن فرغت من تنظيف نفسها سد أذنيها عن رد عامل القرية والذي جاء متفهما كما أنبأت الطريقة التي اهتز بها المرجاس. راقبت

صاحبة الأنف "الحشري" جهود ناتي لإزالة البقع عن فستانها باستخدام بعض المناديل ثم قالت في نبرة سعادة بما يجري:

- *يمكن لبعض الحليب الطازج إزالتها.*

ردت ناتي بكلمات لاذعة:

- *لسوء الحظ لا أحتفظ ببقرة هنا!*

لم يكن ما تفوهت به ناتي لائقا، لكن ألا ترى أنها معذورة فعلا إذا رُوعيت الظروف التي مرت بها؟ تذكر أنها امرأة عادية من اللواتي نقابلهن كل يوم وليست واحدة من السيدات الرقيقات اللاتي يعشن في أبراج عاجية. زد على ذلك أن محدثتها التي دست أنفها فيما لا يعنيها لم تكن رحيمة، بل تعاملت مع الموقف بغطرسة وخاطبت ناتي بنبرة آمرة قائلة:

- *لم تردي على سؤالي! هل يتعين عليك تعلم صوت كل حرف على حده حتى تتمكني من التمييز بينها؟*

- *نعم!*

تابعت المرأة التحقيق:

- *هل يمكنك استلام رسالة والتحدث معي في نفس الوقت؟*

- *لا!*

جاء رد ناتي حاسما بينما راحت تنظر إلى فستانها بأسى. واصلت ذات الأنف المتطفل دون هوادة:

- *لكن آلتك تعمل هناك. هل يبعث أحدهم برسالة لك؟*

انتبهت ناتي لما يجري في جهاز التلغراف لبرهة من الوقت ثم تنفست الصعداء فقد أفسح عامل تشغيل مكتب القرية المجال لمكتب آخر. أجابت:

- *لا! مكتب تلغراف يقوم بالإرسال لمكتب آخر.*

تطلعت المرأة في دهشة:

- *هل يمكنك سماع ما يتم إرساله من أي مكتب؟*

- *نعم.*

جاء رد ناتي المنهكة بينما راحت تحك فستانها:

- *ماذا؟!*

تعجبت المرأة وارتفع صوتها في نبرة من عدم التصديق:

- *في شتى أرجاء العالم؟*

ردت ناتي بصبر فارغ:

- *لا بالطبع! فقط المكاتب التي على الشبكة، حوالي عشرين.*

أخيرا استراحت المرأة فانطلقت قائلة:

- *آه!... لكن.*

أردفت بعد تفكير:

- *افترضي أنك لم تتمكني من التقاط كل الأصوات، كيف تتصرفين؟*

- *أفصل.*

- *تفصلين! تفصلين ماذا؟ الآلة؟!*

هكذا استفسرت المرأة كما لو كان أمرا جللا.

- أفصل الدائرة، الاتصال. أفتح الزر وأطلب من المرسل أن يعيد بدءا من الكلمة التي تعذر عليّ تشفيرها.

أدركت ناتي بالدليل القاطع أن لدى هذه المرأة الفضولية أسئلة أخرى في جعبتها فألقت بالمناديل المشبعة بالحبر وآخر ما تبقى لديها من صبر في سلة المهملات مضيفة:

- المعذرة، فأنا مشغولة والمقاطعة تكدر صفوي، كما أن هناك كتب تتضمن المعلومات التي تنشديها!

فرغت ناتي من الكلام وأدارت ظهرها فسحبت المرأة أنفها وقد احمر طرفه من الغضب وذهبت لحال سبيلها. ما إن اختفت المرأة عن الأنظار حتى تنفست ناتي الصعداء وجلست ترثي فستانها التالف، فبغض النظر عن رأيها السابق في هذا الثوب فقد رأته الآن أجمل ما اقتنت وأكثرها أناقة! القصة قديمة ومعروفة، فعادة لا نعرف قيمة ما نمتلك إلا عندما نفقده! صاحت:

- كل هذا بسبب عامل القرية الفظيع، أيا كان جنسه.

كانت كلماتها فظة وجائرة لأنها تعلم يقينا أن المسئول الأول عن الحادث الذي وقع لها هو تلك المرأة المتطفلة. على أي حال لم تترك ناتي نفسها للأسى طويلا فأمامها رسالة قدرية يتعين عليها إكمالها. ألقت نظرة خاطفة على الكلمات القليلة التي دونتها. شكلت الكلمات هذه الجملة:"أرسلوا عربة نقل الموتى.". بدا الأمر خطيرا فنست ناتي السفاهات وهرعت تطلب عامل القرية وقد ساورها القلق، لكن يبدو أن الأخير قد وجه انتباهه إلى أمر آخر أو أنه لم

يشعر بالرغبة في الرد. مضت عشرون دقيقة حتى جاء الجواب. انطلقت أصابعها بعصبية:

- *Xn لقد ظللت وراءك لما يقرب من نصف ساعة.*

جاء الرد فاترا:

- *حقا؟ حسن، لست وحدك. الكثيرون ورائي: المؤجر وغاسلة الملابس.*

أعقب ذلك إرسال رقم "4" ومعناها "متى أبدأ؟"

- *ظريف، أليس كذلك؟!*

هكذا حدثت نفسها وهي تجيبه:

- *انطلق "عربة دفن الموتى".*

- *انطلق "ماذا؟!"*

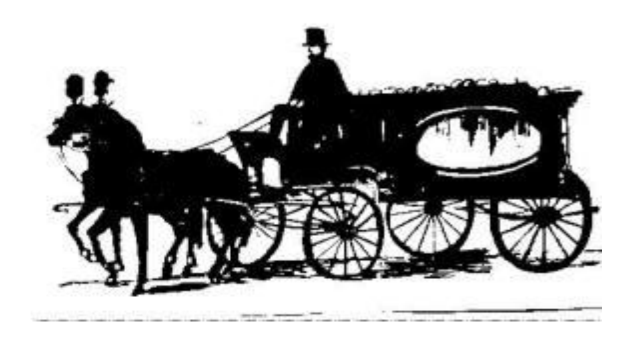
- *"عربة دفن الموتى"، كررت ناتي بشكل واضح وحاسم.*

أرسل عامل القرية كلمة "Ha" والتي معناها عادة في مثل هذه الحالة أنه يضحك. أصابت الدهشة ناتي حين رأت ذلك فوجمت لبرهة قبل أن توجه إليه السؤال التالي:

- *ما الذي يثير ضحكك؟*

أجاب:

- *خطأك الفادح! هاها! لقد حولت كلمة "حصان" Horse إلى "عربة دفن موتي" Hearse وهذا أمر يستحق الضحك حقا!*



تبين لناتي خطئها فتمنت لو ابتلعتها الأرض، ولأن هذا أمر مستحيل فقد أخذت سطرا جديدا وأرسلت في وداعة:

- *استمر..."حصان"!*

امتثل عامل القرية ضاحكا من جديد. تمكنت ناتي أخيرا من استلام البرقية بدون أي منغصات أخرى. تهللت أساريرها وهي تدون آخر كلمة سائلة:

- *ما رمزك؟*

في هذه المهنة يتحتم على كل عامل تشغيل إرسال رمزه الشخصي بالإضافة إلى رمز المكتب الذي يعمل به ويُنهي البرقية بكلمة OK. جاء جوابه:

- *"C ."*

ردت ناتي "N" ثم دونت رمز مكتب التلغراف الذي تعمل به Bm ويليه OK وأضافت بأسلوب مهذب في محاولة لمحو خطئها السخيف من الذاكرة:

- *أتمنى ألا أسبب لك متاعب كثيرة المرة القادمة.*

كان C لا يُبارى في مثل هذه المجاملات البسيطة فأجاب في التو بعد أن أدرك التغير الذي طرأ على أسلوب ناتي:

- بالعكس. لقد سببت أنا لك المتاعب، لكن تخيلي فقط شعور صاحب هذه البرقية عندما يجد عربة دفن موتى عوضا عن حصان في انتظاره لدى وصوله!

شعرت ناتي بالعار فعضت شفتها، لكنها كانت مصممة على أن تخرج من الأمر بأفضل ما فيه فأجابته:

- يبدو أنها ليست المرة الأخيرة التي سأسمع فيها حكاية عربة الموتى. على أي حال لقد شذبت هذه الواقعة مزاجك المكفهر.

- هذا صحيح... لكن عندما يتعلق الأمر بعربة دفن الموتى، عادة لا يكون الناس مؤهلين في مثل هذا الموقف للمزيد من المنغصات التي قد تفسد عليهم ترتيباتهم! ورغم ذلك فإني أعترف...

واصل C صراحته:

- لقد كنت عدوانيا ولم يكن هناك ثمة ما يبرر غضبي. ليست هذه طبيعتي. في الحقيقة لقد كان مزاجي سيئا. لن أفعل ذلك ثانية، هل تسامحيني؟

ردت ناتي في الحال:

- بالطبع. لابد أن نسوي هذا الأمر فلا يصح أن يحتدم العراك بيننا مع طول المسافة التي تفصلنا. يقولون أن بعد المسافة يسحر العقل ويخلبه.

أجاب C:

- لاسيما وأنا أباهي بحسن خصالي.

ابتسمت ناتي محدقة دون قصد في رجل غريب تصادف مروره فظن بالطبع أنها تبتسم له وقرر أن يلف ويعيد الكرة عله يفوز بابتسامة أخرى! حقا المظاهر خادعة! ردت ناتي:

- *عليك أن تبرهن عن حسن شمائلك حتى أصدقك.*

رد C:

- *سيكون هذا هو هدفي الوحيد من الآن فصاعدا، هل لديك مكتب لطيف؟*

نظرت ناتي حولها لتصف ما ترى ثم أجابت:

- *لا للأسف. غرفة صغيرة وقاتمة لا تدخلها الشمس بتاتا، مقعد خشبي عجيب، كرسي بار، منضدة، أدوات... هذا كل ما هناك... آه! وأنا!*

- *أخيرا وليس آخرا.*

جاء رد C ثم أردف:

- *يا له من تباين مع ما لدي هنا! فمكتبي كله نوافذ، وفي الأيام الباردة كتلك التي نشهدها تصفر الرياح بين ثناياها حتى ترتجف عظامي! لا بأس بالمنظر أمامي: إسطبل ودكان نجارة وسقف مجلس البلدة الذي ألحق بها الخراب...*

دخل عامل تشغيل مكتب تلغراف آخر على الخط قائلا:

- *عذرا.*

ثم أكمل بأدب زائد عن الحد الذي عادة ما تُقطع به المحادثات على أجهزة البرق:

- لدي برقية.

ومن ثم بدأ الإرسال. عادت ناتي إلى ما كانت تفعله من ندب فستانها التالف، لكن انتابها في الوقت نفسه شعور بالدهشة المختلطة بالسعادة جراء اللطف والدماثة التي أظهرها C. تناولت كتابها من جديد محاولة أن تطرد من ذاكرتها تلك الحادثة التي وقعت لها ومتسائلة عن جنس C! لم يمض وقت طويل حتى عاد مكتب القرية للاتصال مجددا فنحت الكتاب جانبا وهرعت إلى الرد. جاءتها كلماته:

- لم تتطرقي بالوصف لأهم جزء في المكتب... أنت!

أجابت:

- كيف يمكن أن أصف نفسي؟ كيف يمكن لأي شخص أن يفعل ذلك بشكل صحيح؟ يرى المرء منا وجهه في المرآة كل يوم حتى يألفه ويصبح من المستحيل عليه أن يلحظ التغييرات التي تصيبه، لذا فأنا على يقين أنه يصعب على المرء وصف نفسه ورصد ما يطرأ عليها اللهم إذا كُسر أنفه أو أحولت عيناه أو عزف عن النظر في المرآة لمدة عام، ولأن شيئا من هذا لم يحدث لي فكل ما يمكنني قوله الآن هو أني ملطخة بالحبر!

رد C:

- يا إلهي! هذا أمر سيئ.

ثم أردف ضاحكا:

- إن مما يثير دهشتي الشديدة أن لدى الكثيرين ممن أعرف اعتقاد راسخ بأنهم يتمتعون بالحسن والوسامة، بيد أني أراهم أشخاصا عاديين... فقط أعطني لمحة عن نفسك... مجرد فكرة ينطلق منها خيالي. هل يمكنك ذلك؟

- بالتأكيد.

أجابت ناتي وقد لمعت عيناها ببعض الخبث الذي لم يلحظه C بطبيعة الحال:

- تخيل معي إن أردت شابا فارع الطول بـ ...

قاطعها في التو:

- لا، لا . لا يمكن أن تخدعيني بهذه الطريقة! قد أقبل مسألة الطول على مضض، لكن لن ينطلي عليّ موضوع الجنس!

- لم؟ هل تعتقد أني امرأة؟

جاءها رد صريح:

- أنا متأكد أنك كذلك. هناك فرق بين طريقة إرسال المرأة والرجل. لقد تعلمت كيفية التمييز بينهما. أنا على صواب، أليس كذلك؟

تجنبت ناتي الإجابة المباشرة قائلة:

- غالبا ما يتعرض هؤلاء الذين يحسبون أنهم ملمون بكل شيء إلى التدليس والخداع. لن أنسج تخمينات حولك، لكني أطرح سؤالا فيه وجاهة: هل أدعوك بالسيد أم السيدة أم الآنسة C ؟

- لا هذا ولا ذاك. فقط C أو تخيل أمامك أيها الشاب فتاة شقراء هائمة أو جنية مرحة تتحدث إليك.

في هذه اللحظة اقتحم الشبكة عامل تشغيل. أراد على الأرجح أن ينال نصيبه من الكعكة قائلا:

- لا تصدق كلمة واحدة! تخيل فرس نهر أو فيلا بدلا من الجنية!

رد C على عامل التشغيل المجهول:

- لا تتطوع في الحكم على الآخرين وتعلم ألا تتكلم إلا إذا وجه إليك الحديث.

ثم أدار دفة الحديث نحو N:

- تعلمين أنه كلما لف الغموض أمرا ما، كلما أصبح أكثر تشويقا، لذا أُحيط نفسي بهالة كبيرة من الغموض... فمن يدري؟!

ردت ناتي:

- ليس لدي شك، بل إني على يقين أنه يمكنني أن أدعوك بالسيد C دون خروج عن أصول اللياقة. والآن أقول لك "طابت ليلتك" فقد حان وقت العودة للمنزل.

ناشدها C:

- سنكمل فيما بعد؟

أجابت ناتي:

- إذا لم يعكر صفو مزاجك شيء.

- إنك تدسين أفكارا شريرة رغم أني قد قدمت اعتذارا مهينا. صحيح أن تعارفنا قد مر بمنحنى خطير ساهمت فيه "عربة نقل الموتى" بنصيب معروف، لكني واثق من أنه سينتهي نهاية سعيدة.

عبس وجه ناتي ثم ردت قائلة:

- إذا وعدت ألا تردد كلمات مثل "خطير" و"عربة نقل الموتى" وما شابه فسوف أتوقف عن التلميح إلى المزاج العكر.

أجاب C:

- بكل أريحية. ليس هذا بالأمر العسير.

عند هذه النقطة من التفاهم المتبادل ودعا بعضهما. ارتدت ناتي قبعتها محدثة نفسها:

- لا ريب أن الحديث مع شخص غامض وبعيد عن العين أمر رومانسي، لكن أود أن أعرف هل يتعامل هذا الزميل مع خياط رجالي أم نسائي؟!

فهل وعت ناتي أنه مما يُرهف الإحساس في هذه العلاقة أن يكون C، هذا الكائن النائي ممن يُعوض عنهم بضمائر المذكر؟ ربما! فما هي إلا فتاة في التاسعة عشر من عمرها.

الفصل الثاني

في بنسيون نورمان

عاشت عاملة التلغراف، الآنسة ناتي روچرز- كما قُدر لها- في عالمين: الأول هو مكتبها القذر، مكتب صغير في أبعاده، لكنها تنطلق منه عبر أسلاك البرق على جناحين كهربيين إلى مدن وبلاد بعيدة. صحيح أنها تقبع فيه وحيدة طول اليوم، لكنها تتواصل اجتماعيا فيمكنها أن تُسري عن نفسها- إذا عن لها ذلك- بالاستماع إلى سيل البرقيات المنهمر ومحاولة تخمين محتواها: بعضها مفعم بالسعادة والآخر مليء بالأسى، منها رسائل عمل ومنها ما هو متعلق بشئون الحياة. أما العالم الآخر الذي عاشت فيه فكان شديد التباين، عالم محدد بأربعة جدران تُكون حجرة بمسكن الآنسة بيتسي كلينج تُشرف على المنظر الخلفي لبنسيون نورمان.

لا شك أنه توجد مطلات أكثر بهجة من منظر الخرائب التي تتفاوت درجة قبحها وتكعيبة عنب موبوءة وحبل غسيل تتأرجح عليه الملاءات وبرميل حرق طفح كيله بالرماد وأصوات تزيد في عذوبتها قليلا عن نداءات بائعي الأبسطة في العصور الغابرة ومقطوعات موسيقية تعزفها القطط في الهواء الطلق ونفخ أبواق تنطلق بين الحين والآخر من التاسعة حتى الثانية عشر مساءا بلا هدف واضح إلا الإفراط في ضخ واستنشاق الهواء في رئات المؤديين، وربما أيضا توجد صحبة أكثر قبولا من الآنسة بيتسي كلينج. وبسبب ذلك كله تتكالب الهموم

على الآنسة ناتي روچرز وتحاصرها الوحدة في الأمسيات وأيام الآحاد والعطلات ما لم تكن في عالمها التلغرافي.

استأجرت الآنسة بيتسي كلينج جناحا في الطابق الثاني ببنسيون نورمان ثم اقتطعت منه غرفة عرضتها للإيجار، ليس طمعا في المبلغ الذي تدره عليها... لا سمح الله! بل من أجل أن تنعم بالصحبة. تباهت الآنسة بيتسي كلينج في عدة مواقف ببعض الدماء الملكية التي تجري في عروقها والتي ورثتها عن أجدادها الغابرين الذين – لو عادت بهم الحياة في أيامنا تلك– لأصيبوا على الأرجح بالدهشة عند إدراكهم كم كانت حياتهم نبيلة.

تُمثل الآنسة بيتسي كلينج في هذا الشأن تناقضا واضحا مع جارتها السيدة سيمونسون، أرملة تزن مائة وخمس وسبعين رطلا، تشغل الجناح الآخر بنفس الطابق وتؤجر كل غرفة ممكنة به حتى تتمكن– بمنتهى الصراحة– من تدبير شئون حياتها. طمس سعيها الدائم لتوفير سبل ووسائل العيش الزهو بأصولها النبيلة، زهو لا يسمن ولا يغني من جوع. لم يبق منه سوى إحجامها عن وضع لافتة رخيصة على النافذة تعلن عن "غرف للإيجار".

كانت الآنسة بيتسي كلينج عانسا. لم تستسغ هذا الوضع، لكن الظروف فرضته عليها ولم يكن لها يد فيه. وفيما عدا رغبتها الجارفة في العثور على نصفها الآخر والتي أحاطتها بالكتمان، كان هدفها الأساسي هو مراقبة ومتابعة علاقات شاغري الغرف المحيطة والتيقن من أنهم يتصرفون بشكل لائق بمجاورة شخصية نبيلة وغير عادية مثلها. وخلال قيامها بهذا الأمر اعتادت التخفي

والمباغتة كالأشباح من خلال النوافذ المفتوحة على الردهة أو الأبواب المنفرجة، لكنها كانت مصابة ببرد مزمن مما أثر في قدرتها على استرقاق السمع فتارة تشن وتشهق بلا توقف وتارة تفضحها نوبات من السعال الشديد.

في طريق العودة إلى حجرتها لم تستطع الآنسة روچرز طرد فكرة جنس C من تفكيرها. لملمت أفكارها المبعثرة وانتابتها حالة من الشجن تعزو إلى شعورها بالابتذال جراء ما حدث لها اليوم وما صدر منها، ذاك الشعور الذي يفضي في بعض الأحيان إلى ازدراء الذات.

تخطت رغباتها نطاق الأشياء العادية التي يمتن الكثيرون لوجودها في حياتهم. امتلكت طموحا جامحا حال دون إحساسها بالرضا والتجمد عند هذا المستوى من المعيشة. غالبا ما تبددت اللحظات السعيدة العابرة التي اقتطعها النسيان من واقع حياتها لتحل محلها ساعات من التململ والاستياء. أفرطت في أحلامها حول المستقبل فتارة يحدوها الأمل في تحقيقها وتارة يلعب بها اليأس والقنوط فتمسي بعيدة كل البعد عن إدراكها. راودها حلم مُلح بأن تصبح كاتبة مشهورة، وأيا كان الأمر سواء امتلكت عبقرية فذة أو أنها افتقرت للموهبة التي تمكنها من النبوغ أو أنها كانت أتعس المخلوقات حظا فقد ظل الحلم حبيس الأيام ومرهون بالزمن والأحكام.

عقب وفاة والدها الذي لازمه الإخفاق، وحتى لا تُمثل عبئا على أمها التي تكفي مواردها الزهيدة بالكاد لتدبير أمورها هي وطفليها، فقد سلكت ناتي الطريق الصعب وسعت إلى الاعتماد على نفسها بدلا من المكوث في المنزل في انتظار ابن الحلال ليحمل عنها عبء نفقاتها. حصلت على وظيفة كعاملة

تشغيل في مكتب تلغراف ريفي ومنه انتقلت إلى مكتبها الحالي في المدينة. شعرت دوما بالافتنان بآلة التلغراف، لكن انتابها إحساس داخلي بأن الملل سوف يتسرب إلى نفسها تدريجيا، لاسيما وأن فرصة الترقي في هذا العمل ضئيلة ومحدودة. بالرغم من تيقنها بأن سعادتها كعاملة تلغراف لن تطول، فقد قررت أن تحب هذه المهنة قدر استطاعتها لأنها كانت أفضل المتاح أمامها في الوقت الحاضر.

أضاءت مصباح الكيروسين في غرفتها وشرد عقلها- لا في الأشياء التي شغلت تفكيرها بين الفنية والأخرى- لكن في C. وبخت نفسها جراء الاهتمام بهذا الشخص البعيد. ما أهمية ذلك الأمر لشابة تشعر أنها عصية على الغزل. حمل وجهها بعض العبوس ظل أثره موجودا حين استدارت لتجد الآنسة كلينج واقفة في مدخل غرفتها. بصراحة شديدة لم تجد الآنسة روچرز صاحبة المكان شخصية ودودة، لذا حصرت الحديث معها في الكلام العام حتى لا تخسر حجرتها التي تعتقد أنها اقل سوءا من الغرف التي تعرضها العائلات للإيجار. حكت الزائرة غير المرغوب فيها أنفها وهي تقول:

- *فكرت في زيارتك. أحسست بالوحدة طيلة اليوم. عادة ما ألتقي بالسيدة سيمونسون في الظهيرة، لكنها خرجت منذ الثانية عشر. لا أعرف... اشعر بالقلق عليها...*

أطرقت مفكرة ثم أكملت:

- *بغض النظر عن افتقادي لرفقتها فهي لم تمر أبدا بأي تجارب خارجة عن المألوف. مسكينة... لا أدري هل الموضوع له علاقة بشاغري الغرف لديها؟ إنها*

لا تُظهر تفضلا على أحد منهم، بل تكن احتراما للجميع على اختلاف مشاربهم ومناهلهم.

عطست الآنسة كلينج مرسلة لناتي نظرة تمني بأن تحذو حذو السيدة محل الحديث فتترك المكان ولا تعود إليه. لوت ناتي شفتيها وردت بشيء من الامتعاض الذي يعكس حقيقة كونها لا تشعر بكثير من الوقار للدماء الملكية التي تجري في عروق الآنسة كلينج:

- لست مختلطة كثيرا بالسيدة سيمونسون، لكني متيقنة أن المؤجرين لديها يحبونها كثيرا. على الأقل، يتحدث عنها كويمبي بأحسن الكلمات.

- "كويمبي؟!"

خنت الآنسة كلينج مرددة الاسم بقدر من الاستهانة.

- انه شخص أخرق، دائما ما يلفظ أو يأتي بشيء مشين!

ردت ناتي بحماس:

- أعلم أنه لا يتمتع بالأناقة ويفتقر إلى الكياسة. أعلم أنه يتخبط أحيانا، لكنه أمين وطيب القلب، وكثير من الناس على استعداد للتغاضي عن تلك العيوب وغيرها من أجل هذه الخصال النادرة. أنا على يقين أن هذا ما تشعر به السيدة سيمونسون.

نظرت إليها الآنسة كلينج بحدة:

- كلا، مطلقا. اسمحي لي يا آنسة روچرز. اعلمي أن السيدة سيمونسون تتحمل عيوبه لأنه على حد قولها يستطيع العيش على فوائد أمواله في أوقات العسرة. ولهذا السبب ليس إلا ترى أنه مؤجر مثالي.

عطست الآنسة كلينج من جديد ثم واصلت بنبرة يعلوها الحسد:

- *في أوقات العسرة... بالطبع!*

حملت ملامح وجهها علامات التعجب ثم أضافت:

- *لكني لم أنتبه يا آنسة روچرز إلى هذه الحميمية بينك وهذا الكويمبي! هل هو إعجاب متبادل؟!*

أجابت ناتي وقد أطلقت عيناها الرماديتان نظرة غضب تُدخل في روع من يراها أنها معجبة فعلا بكويمبي الذي يعزف الآخرون عن مجرد ذكر اسمه. صحيح أن لديه بعض المواهب، لكنه في المجمل شخصية مزعجة:

- *لقد تقابلت معه مرتين أو ثلاثة منذ أن قمت أنت بتقديمه لي ذاك المساء في الردهة، ومن ثم لم تكن هناك فرصة لمثل هذه الأشياء.*

علقت الآنسة كلينج:

- *إنك تتحدثين عنه بشكل ودود، وعلى أي حال...*

استطردت محاولة إرضاء ناتي:

- *لا أحسب أن فتاة عاقلة مثلك تقع في حب كويمبي! هذه حماقة كبيرة!*

هزت ناتي كتفيها على نحو ينبئ بأنها ملت الحديث عن هذا الموضوع، لكن الآنسة كلينج استمرت بعد نوبة من العطس وقد أخذت تهز رأسها في تعجب:

- *أشعر بالشفقة حيال مؤجري غرف السيدة سيمونسون كالسيد نورتون مثلا الذي يدعي أنه فنان! لم أشاهد في حياتي شخصا يقصر شعره على هذا النحو عدا المدانين والمحكوم عليهم.*

أصابت الدهشة ناتي حين عرجت الآنسة كلينج بالحديث على جيرانهم في الجناح العلوي: سيليستي فيشبليت وأبيها. تسعى سيليستي، على حد زعم الآنسة كلينج، لمطارحة كويمبي الغرام. تتأفف ناتي كثيرا من فيشبليت لكثرة سبابه وتجده شخصا غير مستساغ بالمرة، فهو مخلوق قصير القامة ولديه عادة غريبة تتمثل في رفع عقيرته والتحدث بصوت جهوري مكونا جملا قصيرة تأتلف من ثلاث كلمات على الأكثر. رغم ذلك نعتته الآنسة كلينج "بالشخص المقبول" مما أثار ذهول ناتي في البداية، لكنها ابتسمت حين فطنت للسبب، فالسيد فيشبليت أرمل ومن ثم... هل تتوسم الآنسة كلينج فيه نصفها الآخر؟ لحسن الطالع لم تلحظ الآنسة كلينج نظرات ناتي، حال دون ذلك استغراقها في الإعجاب بفيشبليت وتصميمها على نعته بما ليس فيه من المميزات.

بعد رحيل صاحبة المكان بدلت ناتي فستانها الملطخ بالحبر وارتدت قبعتها تأهبا للخروج لبعض شأنها. عند ولوجها في الردهة الخارجية المشتركة فُتح الباب المقابل الذي يفضي إلى جناح السيدة سيمونسون ثم برز شاب طويل يمتلك ذراعين وساقين طويلين وفم- لولا الشارب الخفيف الذي يعلوه- لصح وصفه بفم التمساح. اضطرب الشاب حين رأى ناتي وعاد أدراجه في خجل ثم استعاد زمام نفسه واندفع خارجا في شيء من التهور فعلقت قدمه في السجادة وتعثر على الدرج وسقط ورأسه في المقدمة ساحبا معه دلو الحريق الذي حاول عبثا التشبث به لإنقاذ حياته. أحدث سقوط الشاب والدلو دويا انطلق صداه في ثنايا الردهة الهادئة فاندفع السكان خارج غرفهم في ذعر ووجل.

- *ما هذا؟ هل قُتل أحد؟*

أطلق صوت مرتفع هذه الكلمات من الطابق العلوي تبين أنه لسيليستي فيشبليت، اسمان غير متجانسين على الإطلاق، ثم لاحت الآنسة كلينج على عتبة بابها صائحة:

- *ما الأمر؟*

هبطت ناتي الدرج قائلة:

- *هل أصابك مكروه؟*

قبع في نهاية السلم بطل المأساة وقد اخذ يدلك مرفقه بأسى، ثم تناول قبعته ودلو الحريق ونهض ليشرح الأمر:

- *لا شيء، لا شيء البتة! لقد تعثرت في السجادة و...*

قاطعته السيدة سيمونسون التي لاحت فجأة على حاجز الدرج وقد اعتراها بعض القلق عليه وكثير منه على السجادة، فلا يخفى على أحدكم هي صعبة تدابير الحياة:

- *هل مزقت السجادة؟*

أجاب الضحية بل كاد أن يقسم:

- *كلا! أؤكد لك أنه لم يصبها شيء، وكذلك دلو الحريق.*

ثم عرج على نفسه بتواضع جم وكأنه لا يستحق عناء الذكر:

- *ولا أنا.*

أكمل مرددا العبارة التي دائما ما يُعلق بها على حوادثه المتفاوتة في أشكالها وألوانها:

- *اعتدت هذه الأشياء كما تعرفين.*

توجهت السيدة سيمونسون نحو السجادة لتفحصها متمتمة:

- *لا أعرف... ما الذي عليه الدور المرة القادمة؟*

انطلقت سيليستي ضاحكة:

- *لا بد أنك تحب يا كويمبي.*

أطلقت الآنسة كلينج زفرة تأفف حين سمعت هذه الكلمات، بينما أطرق كويمبي المسكين خجلا وقد مس الكلام عذاباته. نظر إلى ناتي نظرة خاطفة واحمر وجهه وتعرق، ثم جاء رده متلعثما وهو يقبض على دلو الحريق بعصبية:

- *حقيقة... أنا... الآن... أنت مخطئة!*

أصرت سيليستي على وجهة نظرها موضحة:

- *غالبا ما يغيب عقل المحبين.*

واصلت ضاحكة من جديد:

- *هذا أمر لا فائدة...*

زأرت الآنسة كلينج وهي تكمل جملتها:

- *لا فائدة منه لرجل راشد... كفى!*

تنفس كويمبي الصعداء حين تراجعت سيليستي إلى غرفتها، لكن الآنسة كلينج لم تحرك ساكنا وظلت واقفة ترقب هل سيصطحب كويمبي ناتي في طريقهما إلى الخارج؟ سمعته يقول لها:

- *هل لي... هل لي أن أتجرأ وأطلب مرافقتك للخارج؟*

أجابت ناتي بنظرة نميسة وصوت خفيض لعلمها أن هناك من يتسمع في الأعلى:

- *هذا إذا كان لديك النية لترك دلو الحريق!*

ترك كويمبي الدلو يسقط من يده كما لو كان شيئا ملتهبا، ثم قال في لهفة:

- *يا إلهي! حقا! المعذرة!*

مد لها ذراعه على استحياء وانطلقا معا بينما وقفت الآنسة كلينج تهز رأسها في استنكار. أرادت ناتي أن تبدأ حورا مع كويمبي فقالت وهي تهم بالخروج معه:

- *تبدو سيليستي مصممة على أنك غارق في الحب.*

لم تساعد هذه الكلمات على تخفيف حدة القلق الذي انتاب كويمبي، ولأنه تخلص من الدلو فقد راح يدير ربطة عنقه نحو الاتجاه الخاطئ مما زاد مظهره الشخصي سوءا:

- *آه... حقا! لا يهم. لعلمك لقد اعتدت هذا الأمر!*

رفعت ناتي حاجبيها سائلة:

- *اعتدت الوقوع في الحب؟*

- *لا. لا... تعلمين... أنه...*

أطلق زفرة أسى بعد أن فقد حبل الأفكار ثم قال:

- *أقصد أن هذا الأمر ليس صحيحا.*

غير الموضوع في محاولة مستميتة للخروج من هذه الورطة المحرجة:

- *هل وصلك خبر الساكنة الجديدة لدى السيدة سيمونسون؟*

سألت ناتي:

- لا. هل هذا صحيح؟

- نعم. ستحل هنا غدا الآنسة آرشر، شابة تمتهن التمثيل أو تقريبا مغنية أوبرالية. لو حدث استلطاف بينكما فسوف يكون ذلك أمرا طيبا، أليس كذلك؟

جاء الرد على سؤاله الذي أحاطه باللهفة والتمني لكونه أكثر المستفيدين حيث سيتمكن على فترات من رؤية صاحبة العينين الرماديتين اللتين أصابت سهامهما قلبه الكسير:

- سيكون هذا أمرا لطيفا.

واصلت ناتي معربة عن قبولها لهذا الأمر وقد غابت عنها تماما نوايا كويمبي الخفية:

- لأنني اشعر بالوحدة أحيانا فالآنسة كلينج ليست... ليست...

لم تجد ناتي كلمة تعبر عما يجيش في صدرها، لكن كويمبي هم لنجدتها مظهرا تفهما وتعاطفا:

- آه! ليست كذلك بالطبع! تعلمين أنه من الصعب التوافق والتكيف مع العوانس!

استشعرت ناتي مرارة هذا الوصف فاستعادت خيط الحديث وانبرت تزود عن مستقبلها المحتمل:

- ليست العنوسة هي السبب، بل الطباع المتأصلة في الشخص.

- أجل كما تقولين، لذا لا يُقدم أحد على الزواج منها!

هكذا جاء رد كويمي وقد اختلس على استحياء نظرة إعجاب برفيقته.

ضحكت الأخيرة سائلة:

- قلت أن الساكنة المرتقبة ممثلة مسرحية أو مغنية أوبرا؟

- أجل، شيء من هذا القبيل أو ربما في طريقها لتصبح كذلك. سأسعى إلى تعارفكما إذا راق لك ذلك.

- بالتأكيد... إذا حافظت على هذه الوتيرة فسوف يزيد معارفي بشكل متلاحق. اليوم فقط تعرفت على أحدهم عن طريق البرق.

- المعذرة. عن طريق ماذا؟

جاء سؤال كويمي وفي مخيلته هلاوس عقد القران والزواج:

- عبر البرق.

كررت ناتي العبارة ولم يدر بخلدها أنها تحتاج لشرح لأنها باتت من معطيات حياتها:

- آه!

قالها كويمي. لم يفهم تماما ولم تفارقه الحيرة، لكنه كان على استعداد للإقرار بجهله.

- أسوء ما في الأمر أني لا أعرف جنس هذا الصديق الجديد مما يُصعب الأمر قليلا.

اتسعت عينا كويمي وهو يردد:

- المعذرة. لا تعرفين... لا تعرفين ماذا؟!

عادت ناتي لتشرح له من جديد في محاولة للتغلب على غباءه المستحكم:

– عن طريق التلغراف!... على بعد سبعين ميل تقريبا. بدا الأمر بالشجار حتى رق الحديث بيننا.

ارتبك كويمبي وضرب أخماس في أسداس حتى هداه عقله إلى القول:

– آه! فهمت الآن! عن طريق الهاتف!

– لا بالتأكيد. لا نحتاج للهواتف. نستطيع الكلام بدونها. إننا نستخدم لغة تمتنع على أي شخص، فلا يدرك معناها إلا المنخرطين فيها! ألم تسمع بهذا الأمر؟

أجاب كويمبي وقد تملكه العجب:

– بالضبط!... بالضبط!... عن طريق التلغراف!

– أجل، نتحدث بلغة تأتلف من النقط والشرط لا تقدر– حتى الآنسة كلينج حين تسترق السمع– على فك طلاسمها، ثم هل تعلم...

واصلت وكأنها تسر إليه بأمر خاص:

– أنا مشغولة إلى حد ما بهذا الصديق الجديد وأتمنى أن أعرف... لكن الأمر صعب جدا... كما قلت... لكن بالفعل... أعتقد أنه رجل!

علق كويمبي وقد اكتئب واغتم صوته:

– بالضبط... تماما!

أرهق اعتراف ناتي حول شغفها بهذا الصديق عقل كويمبي خلال ما تبقى من سيرهما معا. أزعجه تخيل هذا الصديق وقد سعى يطلب يد ناتي للزواج. تمنى كويمبي من صميم قلبه أن يُماط اللثام سريعا عن هذا الصديق الغامض فإذا هي امرأة حتى يرتاح باله من هذا الهم... وحتى –على أسوء الفروض– لو تبين أنه

رجل فما زالت تفصله عن ناتي عشرات الأميال. يصعب على كويمبي وشاكلته استيعاب ما لدى الغموض من قوة وتأثير، كما كان بعيدا كل البعد عن الفوز بحبها الحقيقي حتى نجد تبريرا لغيرته. بطبيعة الحال لم يدر بخلد ناتي كل هذه الوساوس التي اجتاحت رفيق الطريق وتسببت في شرود عقله، لذا انطلقت في حديثها المفعم بالبهجة فعرجت على C البعيد ثم أتت على ذكر الآنسة آرشر.

الفصل الثالث

أصدقاء ماثلون للعيان وآخرون بعيدون عن الأنظار

استيقظت ناتي في باكورة اليوم التالي أقل تجهما عن المألوف حين تُضطر إلى توديع غفوات الصباح وتنهض في تمام السادسة لتمضي لحال سبيلها. تطلعت ذاك اليوم بشكل مثير وغير عادي للذهاب إلى المكتب، وما إن أدارت آلة التلغراف حتى بعثت – دون نداء آلي- بالكلمات الآتية لتختبر قوة ملاحظة صديقها النائي:

- *G.M.* *صباح الخير يا C!*

من الواضح أن C كان متخذا وضع الاستعداد وأنه أبقى أذنيه مرهفتين لأنه أجاب على الفور:

- *صباح الخير يا عزيزتي!*

تعبير لا يستخدمه بالأحرى المعارف الجدد، لكنه أيضا يعزز الافتراض بأن C رجل. أقنعت ناتي نفسها بأن هناك من يتكلم عبر التلغراف من أجل الكلام فقط وأن ألسنتهم لا تنطق بما في قلوبهم، وعلى أي حال ألا تقف طول المسافة عائقا دون حدوث الألفة؟ توجهت دون تعليق بالسؤال التالي مباشرة:

- *هل ستصير الأمور بيننا اليوم على ما يرام دون شجار؟*

أجاب C:

- *آه! أهذا أنت يا N ، أليس كذلك؟ لقد خمنت، لكني لم أكن متيقنا. أجل... حتى لو قطعت الاتصال بعد كل كلمة فسأظل اليوم لطيفا ودودا.*

علقت ناتي ضاحكة:

– *سأختبر صدق كلامك.*

سألها C:

– *هل تحسبين أني رفيق سيء الطبع مفقود فيه الأمل؟*

– *رفيق!*

كررت ناتي الكلمة بإحساس المنتصر:

– *احترس وإلا كشفت عن هويتك.*

ضحك C قائلا:

– *ها! ها! هذا من غبائي، أليس كذلك؟ كما يقول المثل... أعطي رجلا حبلا كافيا، يلفه حول رقبته ويشنق نفسه.*[١]

علقت ناتي:

– *دعك من الأمثال، فأنا أكرهها خاصة هذا الذي يتحدث عن الطائر المبكر والدودة*[٢]*... لكنك أزلت الغموض الذي أحطت به نوع جنسك يا سيد C.*

رد C:

– *يا لها من محاولة فاشلة للتعمية، لكني على يقين أنك لن تضعي حدا لحديثنا بعد أن أرضيت فضولك يا آنسة N.*

ردت ناتي:

– *لا تتعجل في مناداتي بالآنسة. لم أقل شيئا بعد يعطيك هذا الحق.*

---

[١] Give a man enough rope, he will hang himself. (المترجم)

[٢] The early bird catches the worm. (المترجم)

- تحاولين الإدخال في روعي أنك رجل ضخم الجثة. كلا بالطبع. لقد افتقدتك[٣] أمس حين عدت للمنزل. أنا أراك بأم عيني...

توقف الحديث عن هذه النقطة المثيرة حين لاحت عميلة أمام نافذة ناتي قائلة:

- أرغب في إرسال برقية.

أُضطرت ناتي إلى مقاطعة C على مضض مرسلة له هذه الكلمات:

- عذرا، لدي عميلة. أمهلني بعض الوقت.

سعت ناتي قدر المستطاع لتحويل انتباهها عن C وتوجيهه إلى العميلة، الأمر الذي قد يمنحها فرصة للبحث عن أجوبة على وابل الأسئلة المتفرقة التي انهمرت عليها بألفة غير معهودة منه، خاصة بعد تسوية المعضلة الخاصة بجنسه ونوعه. أخفقت في درأ هذه الأفكار عنها بينما طالعت البرقية التي انتهت العميلة من تدوينها. لو اهتمت هذه العميلة بقواعد الهجاء بقدر اهتمامها بعدد خواتم الماس في أصابعها لجاءت الرسالة أكثر منطقية، لكن على أي حال، استخدام الفعل Meat بمعنى "يُطعم" عوضا عن الفعل Meet في الجملة "قابلني في القطار" أمر يفي بجميع الأغراض ويمكن التجاوز عنه والمعنى مفهوم بما فيه الكفاية. حين لاحت أول فرصة عادت ناتي لتسأل C دون نداء آلي من جديد:

- ماذا عن أم عينك؟

---

[٣] في النص الإنجليزي استفادت الكاتبة من التشابه الهجائي لكلمة Miss بمعنى "آنسة" و"يفتقد". (المترجم)

كان C على أهبة الاستعداد مرة أخرى وجاء رده في ثوان معدودة بقدر ما يستغرقه من وقت وجيز لقطع غرفته:

- كما قلت آنفا أرى شابة فارعة، ممشوقة، عيناها زرقاوان وشعرها فاتح. تضحك حين أحاول ببلادة التمويه عليها فيما يختص بجنسي فتظهر في خديها غمازتين.

ظلت ناتي في غضون ذلك تتفحص وجهها في مرآة مقابلة على الحائط. لم يكن وجهها خلابا، لكن تقاسيمه وملامحه كانت حسنة وتعبيراته كانت جذابة مما يضعه في مصاف الوجوه الصبوحة. لا يخفى على أحد الفرق بين الوجوه الخلابة والوجوه المريحة. تفتقر صاحبات الوجوه الخلابة عادة إلى الكثير من المعرفة التي تحظى بها ذوات الوجوه الحسنة اللاتي يجمعن بين جمال الروح وعذوبة الشكل.

أرسلت ناتي:

- من حسن الحظ أنك بعيد بما فيه الكفاية حتى لا تُصدم وتُدرك أنه لا يمكن الوثوق بأم عينك تلك. فارعة! إن قامتي لا تزيد عن خمس أقدام فقط! كنت أتمنى أن يكون لدي الغمازة أو دقة الحسن تلك، كما أن لون عيني مغاير للون الذي اخترته لهما.

بعث C:

- إذا كان طولك خمس أقدام فقط فهذه ميزة لأنك لن تنظري إليّ أبدا "من فوق لتحت" بازدراء. أما فيما يتعلق بباقي الأوصاف فدعي الخيال يكسوها بحلة من الزينة والجمال.

ردت ناتي:

- بالتأكيد. تخيلني كما تحب وتشاء. ليس لدي مانع طالما لن نلتق وجها لوجه. أعرف أن فرصة هذا الأمر ضعيفة للغاية وإلا لعرفت وقتها الفرق بين جذور الواقع ومثالية الخيال.

جاء رد C جازم وقاطع:

- من فضلك لا تثبطي همتي وتفتي في عزمي ونحن مازلنا على البر. يحدوني الأمل فمن يدري... ربما تمكنا يوما من التصافح باليد كما تتصافح روحينا، ألا نفعل ذلك عبر هذه الآلة؟

أجابت ناتي:

- بلى. هاهي يدي ممدودة... روحانيا.

جاء ردها دون أدنى تردد لأن طول المسافة وفر لها درجة من الأمان. أردفت قائلة:

- والآن هل لي أن أسأل...؟

في هذه اللحظة تدخل واقتحم الحديث طرف ثالث يرمز لنفسه بـ Em تبين أنها امرأة شابة من معارف ناتي على الشبكة يقع مكتبها على بعد عشرين ميل من مكتب الأخيرة:

- ما يجري ليس صوابا! إن الأمور تتطور بينكما بشكل متلاحق والأمس القريب شاهد على شجاركما.

توجهت ناتي لها بالسؤال:

- هل ترين أنه يجب علينا فصل دائرة صداقتنا؟

أبدى C ملاحظة عابرة:

- اتركي الأمر للزمن وسنة التغير فكلاهما قادر على فصل كل الدوائر.

ردت Em:

- أجل، لأن الصداقات السريعة تنتهي بنهايات عنيفة. ثم افترضا أني وشيت بكما لأنكما تتبادلان الحديث والغزل عبر الشبكة، وهو أمر ضد القواعد. لا يخفى عليكما هذا، أليس كذلك؟

بادر C بالرد:

- في هذه الحالة أعرف كيف أرد لك الصفعة. إذا أقدمت على فعل ذلك فسأعمل على العبث بالخط وقطع الاتصال بينك وبين زميلك بمكتب التلغراف Z!

ضحكت Em لكنها توقفت فجأة عن الضحك عندما استشعرت على الأرجح نقطة ضعفها. علقت ناتي:

- آه! أحاسيس... مشاعر.

فجأة أفسد هذا الحديث العذب عامل تلغراف جلف ليس لروحه أدنى علاقة بالأحاسيس والمشاعر، فقد اغتصب خط الاتصال لنفسه قائلا:

- أفسحوا الشبكة!

توقفت المحادثة بين ناتي و C عند هذا الحد وظلت الشبكة مشغولة ذاك اليوم على غير العادة، لكن قبيل السادسة أرسل C نداءا آليا لناتي:

- من Bm إلى Xn.

ردت ناتي:

- Bm جاهزة.

- *قبل أن أقول "طابت ليلتك" أريد فقط أن أعرف رأيك فيّ اليوم. ألم أكن شخصية أليفة؟*

أجابت ناتي:

- *جدا، لكن بدون أحقية على حد قول مارك تابلي[٤] ذلك لأنك لم تُستفز ومن ثم لم تُختبر.*

علق C مرتديا عباءة الحكمة:

- *واحزناه! أطريت نفسي هباءا. صحيح إن إثبات سمعة طيبة أمر يحتاج لكثير من البأس، لكني أضع ثقتي في الزمن وهو كفيل بالكشف عن معدن الأشياء وحقيقتها تماما كما يخط التجاعيد في وجوهنا.*

سألته ناتي:

- *هل أصاب وجهك بعض منها؟*

- *ترغبين في معرفة عمري، أليس كذلك؟ الفضول! الفضول! أجل، أعتقد أنه ترك أثرا أو اثنين، لكني ممتن لأنه أبقى على شعر رأسي! هل رأيت يوما عامل تشغيل مسن؟ لم أشاهد هذا مطلقا. هل شحنات الكهرباء التي يتعرضون لها توقف زحف الشيب أم أنهم يرون من الحكمة ترك العمل حين يتقدم بهم العمر؟! القضية مطروحة للنقاش.*

ردت ناتي:

---

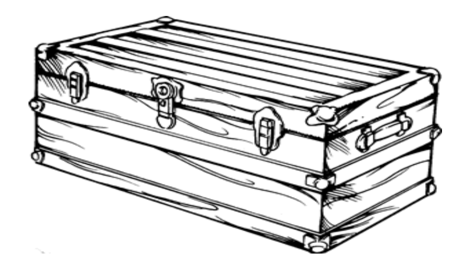
[٤] مارك تابلي Mark tapley هو اسم الخادم في رواية الكاتب الإنجليزي شارلز ديكينز Charles Dickens في روايته - مارتن شوزليوت- Martin Chuzzlewit التي ظهرت عام 1844. (المترجم)

– أهنئك على قوة ملاحظتك وقدرتك على تمييز الأشياء. لحسن الحظ أني بعيدة عن مجال رؤيتك تلك، كما لا أعتقد أني سأمكث بعد الدوام لمناقشة هذه الموضوعات فأنا متعبة. تعاملت اليوم مع طائفة كريهة من البشر.
طابت ليلتك. $G.N$

– طابت ليلتك يا عزيزتي.

هكذا جاء تعقيب C الجريء الذي لا يعرف الخجل سبيلا إلى ماكينته مطلقا، والذي غدا – كما ارتأت ناتي– أكثر مكاشفة ومصارحة. يجب التسليم بأنه لو اطلع C على أفكار ناتي وهي عائدة إلى مسكنها ذاك اليوم لحق له الشعور بالفخر والاعتزاز. مثّل هذا الاهتمام الشديد بـ C من دون شك سقطة بالنسبة لناتي التي طالما تباهت برجاحة عقلها. عانت المسكينة من الوحدة ووجدت في أحاديثه تسلية وسلوى، بغض النظر عن حقيقة الرجل التي لا تنجلي إلا بمقابلة شخصية معه، وهو أمر مستبعد الحدوث. غاصت ناتي في هذه التأملات حتى عتبة باب سكنها حين وصل إلى سمعها صوت ضحك وقهقهة مصدرهما جناح السيدة سيمونسون وشاهدت صندوق أمتعة كبير الحجم في الردهة. خمنت ناتي أن الآنسة آرشر قد وصلت الأمر الذي أكدته الآنسة كلينج وهي ترفع حاجبيها:

– من المؤكد... هناك سر ما يحوط بهذه الفتاة التي تمتلك ثلاثة صناديق ضخمة من الأمتعة.



قطعا كانت رغبة ناتي في التعرف على القادمة الجديدة ستصبح أقوى لو وصلت هذه الساكنة منذ أسبوع مضى لأن اهتمامها بصديقها الجديد الخفي عن الأنظار قد جاوز في الحقيقة اهتمامها بهذه الفتاة الماثلة للعيان، وهذا إنما يفسر ما للغموض من قوة وسحر!

أصبح المكتب بالنسبة لناتي مكانا جذابا. تغير حالها فجأة فبعد أن اعتادت الحضور تحديدا في الساعة الثامنة صباحا والانصراف في تمام الساعة السادسة مساءا أصبحت تأتي إلى العمل قبل الساعات الرسمية وتمكث فيه إلى ما بعد انقضاء الدوام مما أثار دهشة موظف خامل في مكتب مقابل لها دأب على مراقبتها. أدركت ناتي بالطبع أن هذه التوقيتات تحقق لها حوارا آمنا مع C لا يعكر صفوه مقاطعات من أي نوع ولا يدخل عليهما عامل تشغيل فظ وسط حديث جميل ليقول "اصمتوا" أو"اخلوا الشبكة" وما أكثر هؤلاء العمال الذين لا يدركون ما في التلغراف من رومانسية بعد أن سدت مسامهم واقعية الحياة الرتيبة وهموم الرواتب الزهيدة.

مع مرور الأيام شاركها C جميع أفكارها وشئون حياتها اليومية. خفت حدة متاعبها حين أفضت بها إليه وحظيت بتعاطفه تجاهها. تقاسما الضحك حول ما

يجري لهما من أحداث هزلية حين تبادلا الحديث عنها... وعلى هذا المنوال وتلك الوتيرة استمر حالهما معا. لم تعد ناتي تتشكك في تحية "طابت ليلتك يا عزيزتي" بسبب طول المسافة بينهما. أصبحت أمرا عاديا، مستقرا ومنتظما، بيد أنها أبدت احتجاجا طفيفا حين عدل C تحية الصباح المعتادة إلى "عمت صباحا يا قامة الخمس أقدام في مكتب Bm" وعليه فقد قام بتعديلها إلى "صباح الخير أيتها الفتاة الصغيرة". لم يخطر ببالهما مطلقا طيلة هذا الوقت أن N هي ناتي وأن C هو كليّم، وهكذا مضت علاقتهما وسط مضايقات Emالتي سبق الإشارة إليها ومقاطعات كبار السن من المستوطنين المتأففين.

أعطت الآنسة روجرز عالمها التلغرافي أولوية متقدمة عن العالم الآخر الذي يحتل كويمبي جزءا منه الأمر الذي أثار سخطه. لم ينجح في إقامة علاقة ودية بين الآنستين روجرز وآرشر ليظفر من خلالها بما يصبو إليه قلبه من التقرب لناتي. في الواقع لم تلتق الفتاتان مطلقا. ظلت ناتي منهمكة طوال اليوم في العمل والأحاديث الهادئة مع C إلى ما بعد ساعات الدوام بينما كان للآنسة آرشر ترتيبات خاصة وعديدة في المساء.

لم يفلح كويمبي في نيل الحظوة لدى ناتي لأنه لم يرها إلا للحظات عابرة وعلى فترات متباعدة، ولم يهتد إلى حل لهذه المشكلة. ظل عقله مشتتا فيما يتعلق بموعد إيابها إلى السكن وانتظرها لفترات تقترب من الخمس وعشرين دقيقة مرتين أو ثلاثة أمام مدخل البنسيون حيث تعرض للفحات البرد القارص. لم تعلم ناتي بهذا التفاني وراحت تستمتع وتستعذب حديث C. أخفق كويمبي

المسكين في تحقيق هدفه واضطر كل مرة للعودة إلى حجرته بعد أن كاد يتجمد من البرد.

لم يجد غضاضة في التجول بين الأروقة لساعات في انتظارها لولا خوفه الذي طغى على أي اعتبارات أخرى من أن يُقبض عليه متلبسا بواسطة شخصيات مريعة مثل الآنسة كلينج والسيد فيشبليت. لم يجسر كويمبي نتيجة لخجله على الذهاب إلى مقر عملها ولا حتى السير في الشارع الذي يقع فيه حتى لا تُكتشف دوافعه وينال التوبيخ بسبب جرأته. في ظل هذه الظروف تسرب اليأس إلى قلبه لنيل فرصة تمكنه من ترك انطباع جيد لديها حتى جاء يوم تقابل في ظهيرته بالصدفة مع الآنسة آرشر على مقربة من مكتب ناتي فعنت له فكرة لامعة. طلب من الآنسة آرشر التوقف بمكتب التلغراف للتعرف على ناتي التي طالما حكى لها عنها خلال فترة تعارفهما الوجيزة. قبلت الآنسة آرشر عن طيب خاطر. دفعها فضول محدود لرؤية هذه المرأة بعد أن أحست في طويتها أن كويمبي مغرم بها. في غضون ذلك كانت ناتي في مكتبها تقوم على خدمة كهل ملتاع أراد إرسال برقية لزوجته التي تتولاها العناية الإلهية الأمر الذي أنساه العنوان. ما إن انتهت ناتي من إرسال البرقية والعودة للحديث مع C حتى لاح كويمبي في رفقة شابة حسناء وأنيقة. وبخ نفسه لإقدامه على هذه الخطوة وتلعثم قائلا:

- *أرجو المعذرة على الإزعاج.*

أرسلت ناتي بهذه الكلمات إلى C قبل أن تنهض لمقابلتهما:

- *عفوا، لدي بعض الزائرين.*

واصل كويمبي:

- *اصطحبت الآنسة آرشر للتعرف عليك.*



علقت ناتي:

- *أنا مدينة لك لأنك منحتني هذا الشرف.*

صافحت ناتي الآنسة آرشر باسمة. قالت الأخيرة:

- *سمعت كويمبي يتحدث عنك كثيرا، لذا أشعر أني أعرفك من قبل.*

توتر كويمبي واحمر وجهه وراحت أنامله تشد ربطة عنقه ثم نطق في ارتباك:

- *حسبت أنه يجدر بكما أن تتعارفا بما أن الجيرة والوحدة قاسما مشتركا بينكما.*

ردت ناتي بينما همت لفتح الباب أمام زائريها. صحيح أن هذا الأمر مخالف للوائح، لكنها فضلت هذا التجاوز عن تركهما يقفان في البرد:

- أجل. لقد كدت أُسلم بأنه لم يُكتب لنا اللقاء.

قالت الآنسة آرشر:

- لولا كويمبي ما لتقينا.

دفعها الفضول إلى إلقاء نظرة خاطفة على المكتب ثم أردفت:

- هذه أول مرة أتواجد فيها بمكتب تلغراف. ألا يشق عليك هذا الحبس؟

أجابت ناتي على سؤالها:

- أحيانا، لكن في أغلب الأوقات هناك من تتحدثين معه عبر الآلة مما يشغل حيزا كبيرا من الوقت.

رفعت الآنسة آرشر حاجبيها سائلة في استغراب:

- تتحدثين معه عبر الآلة! كيف ذلك؟ إن معلوماتي عن التلغراف لا تتجاوز معرفة قبائل الأحراش الذين يتحدثون لغات الطقطقة به. كل ما أعرفه تقريبا أن العميل يدون رسالة ثم يسدد ثمن البرقية وينصرف.

ابتسمت ناتي ثم شرحت لها الكيفية قبل أن تلتفت إلى كويمبي بالسؤال:

- هل تذكر حديثي عن C وهل هو رجل أم امرأة؟

ساور كويمبي القلق. وضع يده على شعره قائلا:

- آه! نعم!

- لقد تبين أنه رجل.

أُصيب كويمبي بالوجوم وتغيرت ملامح وجهه ثم قال:

- ياه! أجل! فعلا!

لمعت عينا الآنسة آرشر السوداوان قائلة:

– يُخيل لي أن الحديث مع شخص منزوي ومجهول أمرا رومانسيا وخلابا. إن الأشياء التي يلفها الغموض تثير في النفس أحاسيس لطيفة. لو حدث ذلك لي لأقمت علاقة غرامية معه على الفور.

علقت ناتي:

– أجل هناك جانب رومانسي في التلغراف ولولاه لكان أمرا مملا وخانقا.

جلس كويمبي على الحافة الخارجية للمقعد وقد انفرجت قدماه لمسافة ياردتين ثم قال:

– لكن... الآن... حقا... عارفه... افترضي... مجرد فرض أن هذا الشخص الغامض الخفي ظهر بشكل مغاير عن الفكرة التي كونتها عنه. تدرين... أعرف حكاية عن شاب أو اثنين يعملان بمكاتب البرق تلوثت سمعتهما وتلطخت بسبب هذه الأفعال.

ضحكت ناتي قائلة:

– إن ثقتي بـ C *عمياء.*

هزت الآنسة آرشر كتفيها بصورة معبرة ثم قالت:

– إنه لأمر مريع وصادم للمشاعر أن نُغرم بشخص سيء السمعة! أليس كذلك؟

تغير لون ناتي قليلا وأجابت في عجالة:

– إن الأمر لا يعدو أن يكون وسيلة للدعابة والتسلية.

انفرجت أسارير كويمبي لسماع هذه الكلمات بينما راحت الآنسة آرشر تستفسر بالفرنسية:

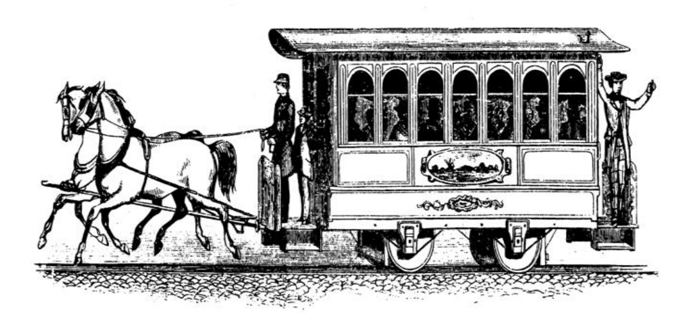
- *Pour passer le temps?* *لتمضية الوقت؟*

أومأت ناتي برأسها بينما تناولت رسالة مقتضبة من سيدة مصابة بالوسواس وجدت من الضروري المكوث حتى تتأكد من أن البرقية أخذت مسارها الصحيح، وفي غضون ذلك وجهت ما لا يقل عن خمسة عشر سؤالا وعرجت بالحديث على تاريخ أسرتها بما في ذلك مولد التوأمين، كل هذا وكويمبي يحملق فيما يجري أمامه والآنسة آرشر جد مستمتعة بالحوار ثم أطلقت بعد رحيل العميلة ضحكة لها مغزى. علقت ناتي قائلة:

- *هذا لا شيء مما يجري هنا. أؤكد لك تحدث وقائع هزلية كثيرة كل يوم. في الواقع يتفاقم جهل الناس بعالم التلغراف الأمر الذي يثير الدهشة. تخيلي هناك من يعتقد أن مكتب التلغراف يُدار بنفس الكيفية كالمتاجر التي تطرح البضائع بضعف قيمتها في البداية حتى يستمتع الناس بالفصال والمساومة على أسعارها. بالأمس فقط حاولت سيدة تملقي لتخفيض عشر سنتات، ولما رفضت انفجرت في وجهي معلنة أنها سوف تتعامل مع مكتب تلغراف آخر وكأن الأمر يعنيني في شيء! ليتها تفعل! ظلت المرأة تعطلني في حين كان هناك ثمة من يستدعيني على جهاز التلغراف لبرقية ملحة.*

ضحكت الآنسة آرشر قائلة:

- *يتعاملون معك كمحصل عربات النقل التي تجرها الخيول.*



استطردت قائلة:

- ليتني أعرف كيف أبرق، لكنت دردشت مع هذا ال C . لقد بدأت أشغف به!

أدار كويمي قبعته باضطراب قائلا:

- المعذرة...لكن، من الوارد أن يكون شخص سيء السمعة!

صمم كويمي على أن يدس هذه الفكرة ويمررها ويجعلها دائما حاضرة. قبل أن تهم ناتي بالدفاع مجددا عن C بزغ من خلال النافذة وجه لطخته مساحيق تجميل رخيصة. انبرت صاحبته قائلة:

- كم تكلفة إرسال برقية؟

عقبت ناتي:

- أين تريدين إرسالها؟

نظرت المرأة إلى ناتي معتبرة أن هذا السؤال خارج عن الموضوع، ثم هزت رأسها مجيبة:

- دعك من المقصد. فقط أريد أن أعرف التكلفة!

أجابت ناتي وقد خطفت نظرة في اتجاه الآنسة آرشر:

- *كلاهما مرتبط بالآخر.*

قالت المرأة في دهشة:

- *حقا؟ في هذه الحالة... شيكاغو.*

أخبرتها ناتي بالتعريفة الخاصة بهذه المدينة، فسألت العميلة:

- *هل هذا أرخص شيء؟ أريد أن أرسل بضع كلمات لا تتجاوز الست.*

علقت ناتي في جزع:

- *السعر موحد بالنسبة لكلمة أو عشرة.*

حملقت المرأة في ذهول وقالت في نبرة من عدم التصديق:

- *هذا غريب!*

أكملت وهي تولي شطرها بعيدا:

- *حسن. سأكتب خطاب، فلن أدفع ثمن عشر كلمات في حين أن كل ما أريد إرساله هو ست فقط.*

ما إن نأت المرأة عن النافذة حتى أطلقت الآنسة آرشر ضحكة مكتومة قائلة:

- *أعتقد أن هذه عينة من الجهل بالأشياء الذي كنت تتحدثين عنه لتوك.*

ردت ناتي:

- *أجل، من الصعب جعلهم يصدقون أن لأي برقية دون العشر كلمات سعر ثابت ومحدد، وأننا نحاسبهم بالكلمة لما يناهز هذا الرقم. وبما أننا نتحدث عن الجهل بالأشياء، تخيلي لقد أحضر أحدهم خطابا مغلقا ذات يوم طالبا إرساله عن طريق البرق.*

عادت الآنسة آرشر للضحك بينما انطلق كويمبي مستفسرا:

– *أرجو... أرجو المعذرة. هل هذه الواقعة حدثت معك؟*

أجابت ناتي:

– *نعم. بل وفي إحدى المرات جاءتني امرأة شابة وطلبت مني أن أخط لها رسالة، وحين انتهيت من كتابتها على عجل تناولتها وراحت تتفحصها بعين الناقد وتضع النقاط على الحروف. وقفت أحملق في ذهول فأنا أعرف كيف أقرأ خط يدي فإذا بها تقطب جبينها وتلقي الرسالة باشمئزاز قائلة:" إن چون لن يستطيع قراءة هذا الخط مطلقا! سوف أدون له الرسالة بنفسي فهو يعرف خطي!"*

صاحت الآنسة آرشر:

– *معقولة؟!*

من جلسته المتعبة على حافة المقعد وجه كويمبي هذا السؤال:

– *لكن، ألا يوجد أي وسيلة لنقل صورة طبق الأصل؟*

أجابت ناتي:

– *أعتقد أنه يوجد بدايات لكنها غير دقيقة وبعيدة عن الإتقان.*[٥]

علقت الآنسة آرشر:

– *آه، حسن! يبدو أن المرأة كانت سابقة لعصرها. انظروا الآن إلى الهاتف والفونجراف الذي أفحم من يتحدثون عن العهود المتخلفة. قريبا سيدار كل شيء بالكهرباء، ومن يدري ربما استنبط أحد العباقرة شيء خاص بالمحبين؟ مثلا*

---

[٥] الإشارة هنا للفاكس أو الناسوخ"Fax- fac-simile" والذي ظهرت بداياته عام 1846. (المترجم)

جهاز يوضع في جيوبهم يمكنهم مع بعد المسافة وتوقد الشوق من سماع أصواتهم. سيكون كل ما عليهم فعله هو إخراج هذا الجهاز ووضعه على آذنهم[٦] وتمضية وقت سعيد. آه! كم أغبط هؤلاء المحبين الذين سيعيشون في المستقبل!

صاح كويمي بحماس:

- *أجل... أجل، فكرة رائعة.*

أحس أن شعوره خانه فاحمر وجهه قليلا وحاول الإمساك بشاربه الذي تملص من قبضته. نظرت الآنسة آرشر إليه مبتسمة. ما إن همت ناتي لمناصرة الفكرة والإسهاب فيها حتى اقتحم C قائلا:

- *ألم يرحل زوارك بعد؟ ألا يحسن بك أن تهمي بصرفهم؟*

أجابت ناتي:

- *لا يصح هذا الكلام خاصة إذا علمت أننا كنا نتحدث عنك أيضا. إحدى زائري شابة أنيقة جدا.*

- *عرفيني عليها من فضلك.*

سألت الآنسة آرشر بعد أن شاهدت وجه ناتي يشع سرورا وحبورا:

- *ماذا تفعلين الآن؟*

شرحت ناتي الأمر مما أشعل سخط كويمي وأبهج الآنسة آرشر التي انطلقت:

- *هلا عرفتني عليه! هل يمكنك ذلك؟*

أومأت ناتي ثم كتبت:

---

[٦] تتنبأ ثاير في هذا الموضع بشكل مذهل بالهاتف المحمول. (المترجم)

– إنها أيضا تتوق للتعرف عليك. اسمح لي أن أقدم الآنسة آرشر التي تمتلك أجمل عينين سوداوين رأيتهما في حياتي!

سأل C:

– هل هي عاملة تشغيل؟

– لا. لا تعرف النقطة من الشرطة.

– أخبريها إذن بلغة بسيطة أني تشرفت بمعرفتها، وأنني متيم بالعيون السوداء.

عندما وصلت هذه الكلمات إلى أذنيها هزت الآنسة آرشر رأسها في احتجاج، ثم توجهت إلى ناتي بالسؤال:

– ماذا أسررت له عني أيتها الفتاة الشريرة. على أي حال يمكنك إخباره بأني سعيدة بهذا التعارف، وأتمنى أن يكون لديه شعر مجعد لأشده منه.

كررت ناتي الكلام بلغة الآلة فجاء رد C:

– آمل أن يأتي هذا اليوم السعيد وشيكا، لكن لا ينبغي أن تُغفلي زائرك الآخر.

التفت ناتي إلى كويمبي سائلة:

– هل أقدمك له؟

ظهرت على كويمبي أعراض عدم الارتياح. قبض على قبعته بحزم كما لو كان على وشك أن يلقيها صوب المرجاس الذي تخيله C المزعج ثم أجاب:

– لا! حقيقة... أنا... أرجو المعذرة... لكن في الواقع لست طرفا في الموضوع.

كتبت ناتي:

- هو... يقول... أنه لن يكون متاحا في المستقبل، ومن ثم لن تتطور العلاقة.

كرر C:

- هو! تقولين هو؟... ماذا عليّ أن أفعل الآن عدا الشعور بالغيرة؟ وهل يسعى هذا "الهو" للتقرب منك أم لصديقتك صاحبة العينين السوداوين؟

اقتصر رد ناتي على ضحكة، لاحظتها الآنسة آرشر فانبرت تسأل وقد مالت برأسها نحو المرجاس الذي ظل كويمبي ينظر إليه شذرا:

- هل يتكلم الآن؟

- كلا. مكتب آخر يبعث ببرقية، لذا توقفت محادثتنا.

أحس كويمبي بالراحة بينما شعرت الآنسة آرشر بالأسى وعلقت قائلة:

- على أي حال سأعمل على توطيد التعارف معه. إنني أتحرق لمعرفة كيف يبدو، وأنت؟

- أجل، لكن لا أعتقد أني مستعدة لتوثيق عرى هذا التعارف.

سألها كويمبي باهتمام:

- أيعني هذا أنك لا تتوقعي رؤيته مطلقا؟

أجابت ناتي:

- لن نلتقي في جميع الاحتمالات، ولو حدث هذا لشعرت بخجل مميت.

ناولت حصيلة النقود للفتى الذي جاء من أجل هذا الغرض ثم أكملت:

- بالفعل سنشعر أننا غرباء إذا التقينا وجها لوجه.

نزل كلامها بردا وسلاما على قلب كويمبي مما أثار دهشتها، لكن تكالب العملاء عليها استحوذ على اهتمامها وانتباهها فانهمكت في عملها المتلاحق ولم تفكر في علة هذا الأمر. وما إن فرغت من عملها الدءوب حتى نهضت الآنسة آرشر استعدادا للرحيل معتذرة عن طول الزيارة. ردت ناتي التي ارتاح لها قلبها قائلة:

- *أتمنى أن تتكرر.*

ردت الآنسة آرشر على المجاملة اللطيفة قائلة:

- *بالتأكيد. فلديك هنا أشياء جذابة. هل يمكن توديع C ؟*

أجابت ناتي:

- *أخشى أن الشبكة مزدحمة الآن، لكن سأبلغه بالنيابة عنك في أقرب فرصة.*

- *أجل وأخبريه أيضا أني سأراه... أقصد سأسمع طقطقته قريبا، أما أنت فسوف نتقابل في البنسيون بعد أن التقينا هنا أخيرا.*

ردت ناتي:

- *مؤكد، والفضل يعود لكويمبي الذي سعى لتعارفنا.*

علق كويمبي منتشيا:

- *هل تعني ذلك حقا؟ لا عليك. أنا مسرور جدا لتمكني أخيرا من فعل شيء صائب بعد كل الأخطاء التي لازمتني كما تعرفين!*

احتضن قبعته ثم همس وكأنه يسر بأمر خاص الأمر الذي أثار دهشة الفتاتين!

– تدريان. لدي هاجس مفزع بأني أرتكب الأخطاء دوما وأقع فيها، بيد أني لا أريد أن استمرأ هذا الشعور فيفضي بي يوما إلى ارتكاب خطأ عند انتقاء شريكة حياتي!

بعد أن فرغ كويمبي من كلامه نظر ببغض شديد إلى المرجاس ثم انحنى للتحية بشكل متخبط مما أثار ضحك الآنسة آرشر. وما أن غادر الزائران حتى عاد C بالسؤال:

– هل غادرت سوزان ذات العينين السوداوين[٧]؟

أجابت ناتي:

– نعم. طلبت مني أن أودعك مع وعد بتعزيز أواصر التعارف الذي نشأ بينكما.

– من دواعي سروري، لكن فيما يتعلق بالشخص الآخر... من هو؟ أريد أن أعرف كل شيء عنه. هل هو ند حاقد؟

– ها ها! لم أسمعه قط يتطرق لهذا الأمر، لكن يمكنني أن اسأله إذا أردت. إنه يقطن نفس البنسيون الذي أسكن فيه أنا والآنسة آرشر وقد رافقها إلى هنا ليتمكن كلانا من التعرف على الآخر.

– هل يصطحبك في المناسبات الاجتماعية أو إلى المراقص و الحفلات الموسيقية؟ وهل تتريضا بالخيل معا؟

– يا إلهي! كلا! لم يطلب مني هذا مطلقا!

---

[٧] Black-Eyed Suzan هو الاسم الشائع لعائلة من زهور الحدائق، وهو عنوان مسرحية ألفها الكاتب الإنجليزي دوجلاس ويليام چيرولد Douglas William Jerrold عام 1829 وكذا قصيدة غنائية نظمها الشاعر البريطاني چون جراي John Gray 1685-1732. (المترجم)

واصل C تحريه بإصرار:

- *وهل تتمني أن يفعل؟*

- *أجل، بالطبع!*

هكذا أتت كلمات ناتي بغض النظر عن حقيقة شعورها، وحيال هذا الاعتراف من جانبها جاء رد فعل C كما يلي:

- *إذن يتعين عليّ أن آتي إليك لحمايتك.*

تلألأت عينا ناتي ثم التفتت بوجه باسم صوب صبي شقي راح يضغط أنفه مقابل زجاج النافذة فبدت مفلطحة، ثم لاذ بالهرب وقد اعترته الدهشة حين تخيل أنه المقصود بهذه الابتسامة. عادت ناتي إلى C قائلة:

- *لكنك لن تعرف حين تأتي إن كنت تعتني بالشخص المطلوب.*

سأل C:

- *لم؟*

- *سأدعي أني بديلة لها.*

عاد يسأل:

- *تقولين بثقة كبيرة أنك لن تخطئيني، فهل حدسك بهذه القوة؟*

أجابت ناتي:

- *أجل، سوف يكشفك وميض عينيك.*

- *حقا. سنرى أيتها الفتاة، وأنصحك أن تراقبي هذا البريق وتتأكدي من الاهتداء إليه. والآن أجد لزاما أن أقول لك "طابت ليلتك" فلدي عميل يقرع*

أذني منذ خمس دقائق خلت في محاولة مستميتة لجذب انتباهي، وقد بدأ الغضب يتملكه لأني لا ألتفت إليه.

الفصل الرابع
زيارات الجيران

رأت بيتسي كلينج أن الآنسة آرشر تستحق الدخول في نطاق تحرياته فهي شابة يافعة ووحيدة، حباها الله ملامح جميلة وتمتلك ثلاثة صناديق كبيرة من الأمتعة، كما أنها تؤوب إلى البنسيون في ساعات متأخرة ومتفاوتة. بينما كانت الآنسة آرشر في مكتب التلغراف تتعرف على ناتي و C توجهت الآنسة كلينج إلى السيدة سيمونسون في محاولة لاستدراجها للكلام والبوح بأي معلومات ممكنة عن الساكنة الجديدة. عرفت منها أن الآنسة آرشر تدرس لتصبح مغنية أوبرالية، وأنها تُحيي أحيانا بعض الحفلات الموسيقية، وإجمالا فقد حققت نجاحا وينتظرها مستقبل واعد، كما استمالت العديد من المناصرين لصفها. رشفت الآنسة كلينج في امتعاض وقالت وعلى وجهها علامات التشكك والريبة:

- من الخطأ الوثوق بالأشخاص الذين لا نعرف خلفياتهم. هل تذكرين هذا الشاب الذي استأجر غرفة لديك ثم فر هاربا بملاعقك وفرشاة أسنانك؟

بالطبع تتذكره السيدة سيمونسون جيدا، وكيف لها أن تنساه؟ لكن هذا الشخص- على حد قولها- لم يكن مغنيا بل بائع متجول. هزت الآنسة كلينج رأسها قائلة:

- يجب أن تتعلمي درسا من التجربة! أتنكرين أنه من العسير على أي شابة تجري في عروقها دماء الحياء الظهور أمام الناس على خشبة المسرح؟ وهل يمكن تخيلي أنا مثلا مكانها؟

هكذا أنهت الآنسة كلينج حديثها بمسحة من الكرامة والكبرياء. استوجبت الصراحة التي واجهت بها السيدة سيمونسون نفسها أن تستبعد مجرد التفكير في هذا الاحتمال، لكنها كما لا ترضى الإساءة إلى الآنسة كلينج فإنها أيضا لا تشعر بالرغبة في توجيه النقد إلى ساكنة لديها قدرة جيدة على تسديد الإيجار. علمتها الأيام وصراعها لتدبير سبل العيش الكريم أهمية تجنب إهانة أي شخص، لذا غيرت موضوع الحديث وانتقلت إلى حوار طالما وجدته آمنا وأسهبت فيه ألا وهو الطقس.

حين قدمت عليهما الآنسة سيليستي فيشبليت وجدت بيتسي كلينج فرصة سانحة للعودة إلى موضوع الآنسة آرشر المثير. لطالما وجدت في سيليستي مستودعا خصبا للغيبة والنميمة، ساعدها على ذلك اندفاع الأخيرة في الكلام وافتقارها لبهاء الطلعة حيث طغى أنفها وأسنانها على ما عداهما من تقاطيع وجهها. لدهشة الآنسة كلينج واشمئزازها جاء رد فعل سيليستي هذه المرة فاترا وأحجمت عن التسرع في الحكم على الساكنة الجديدة. رغم أن الآنسة كلينج قد عمدت إلى الترديد على مسامع سيليستي حكاية الصناديق الثلاثة ولفت نظرها إلى أن الآنسة آرشر قد تتفوق عليها في اللباس والزينة، إلا أن سيليستي كانت تدرس إمكانية إقامة علاقة مع الآنسة آرشر واستغلالها كحجة تتردد بها على جناح السيدة سيمونسون وتصل من خلالها إلى سكان غرفه من الرجال. زد على ذلك أن مسألة الأوبرا تلك جعلتها تنتشي بأماني راودتها وزينت لها احتمالية التعرف على مغني جذاب أو ما شابه. ازدحم تفكيرها بكل هذه الخواطر فبدت مشغولة البال الأمر الذي أغضب الآنسة كلينج ودفعها للعودة

إلى حجرتها وهي تخن وتشهق وتقلب كل ما سمعته خلال هذه الجلسة في عقلها.

انقضت عدة أيام توجهت بعدها ناتي لزيارة صديقتها الجديدة بعد أن أحرجت الآنسة كلينج برفضها الإصغاء إلى ما نعتته بجرأة "غيبة ونميمة غير مبررة". استأجرت الآنسة آرشر صالة استقبال تفضي إلى حجرة نوم كانت للسيدة سيمونسون شخصيا والتي أُضطرت تحت ضغط الحاجة للتخلي عنها وحجزت المطبخ لنفسها فأعادت ترتيبه بحيث يصلح لاستقبال ضيوفها.

استقبلت الآنسة آرشر ناتي بالبشر والترحاب قائلة:

- *كيف حال C؟*

أجابت ناتي:

- *لطيف كما هو دائما. عندما أخبرته بنيتي لزيارتك تمنى أن يكون معنا وحملني تحياته إليك.*

- *ليته يفعل، لكن ظهوره سيبطل سحر الغموض ويفسده. هل تعرفين إلام يرمز حرف ال C؟*

- *إلى الحرف الأول من اسمه "كليّم" كما أخبرني، إلا أنني لا أعرف اسم عائلته، ولو سألته فسوف يخرج عليّ بأي لقب غريب. على أي حال هذا أمر ليس له أهمية أو اعتبار.*

ضحكت الآنسة آرشر قائلة:

- *قد يكون أمرا مهما بالفعل إذا وقعت في حبه.*

ردت ناتي:

– أقع في حبه! عبر التلغراف! هذا شيء سخيف ومستبعد، لاسيما أني من النوع الذي يعرف كيف يتحكم في مشاعره.

بالرغم من هذه الكلمات القاطعة شحب لون وجه ناتي قليلا عندما تذكرت اغتمامها الشديد هذا الصباح لوجود عطل في الشبكة تسبب في انقطاع الاتصال بينها وبين مكتب القرية لعدة ساعات.

– لا شك أنك محقة فيما ذهبت إليه من أن الرومانسية المفرطة في هذه العلاقات حتما ستصطدم يوما ما بواقعية الحياة، لكن ما الجديد لديك فيما يختص بالنوادر المضحكة؟

ألقت ناتي نظرة سريعة على مجموعة من أوراق الخريف المنمقة بذوق سليم على الحوائط والستائر ثم قالت:

– جاءني اليوم رجل يبدو أنه فرغ لتوه من وجبة عشاء دسمة فراح يجزأ الكلمات إلى مقاطع بشكل هزلي، لكن C أخبرني عن خطأ ارتكبه مؤخرا عامل تشغيل. طبعا أصر وأكد بشدة أنه ليس بطل الحكاية، لكن أميل إلى تصديق عكس ذلك. على أي حال كان نص البرقية المرسلة John is dead, be at home at three قضي چون نحبه. احضر للمنزل في الساعة الثالثة، لكنها أُرسلت كما يلي John is deadbeat home at three سيتواجد چون التنبل في المنزل الساعة الثالثة.

ضحكت الآنسة آرشر سائلة:

– كيف يمكن أن يحدث ذلك؟

شرحت ناتي الأمر قائلة:

– أظن أن المرسل لم يترك مسافة فاصلة بين الكلمات. في هذه المهنة عادة نترك مسافة صغيرة بين الحروف ومسافة أكبر بين الكلمات.

علقت الآنسة آرشر:

– حتى المستلم كان من الغباء بحيث لم يلحظ هذا الخطأ. لا أعتقد أنه C *فهو أذكى من أن يقع في هذه الزلة. على أي حال لكل مهنة خصوصيتها التي تثير الفكاهة، وأحسب أنها موجودة في عملي، لكني أتعلم كل يوم شيئا جديدا وأشق طريقي بكل ما أوتيت من قوة وعزم.*

حركت كلمات الآنسة آرشر شعور أليم طواه الزمن في قلب ناتي التي لم تخطو خطوة واحدة في اتجاه تحقيق طموحها وأحلامها. كست وجهها مسحة من الحزن لم تلحظها مضيفتها التي واصلت قائلة:

– لطالما عشقت المسرح الغنائي، والآن لن يمنعني شيء.

عندما تلفظت الآنسة آرشر بالجملة الأخيرة خيم على عينيها البراقتين غيم سرعان ما انقشع. واصلت:

– سوف أجعل الموسيقي هدف حياتي، ومن حسن الحظ أني أمتلك المال الذي يعينني على الدراسة و...

فجأة توقف حديث الآنسة آرشر وأصابها الذهول عندما اندفع الباب مفتوحا على مصراعيه ليصطدم بآلة البيانو محدثا ضجة كبيرة. وقف كويمبي خارجه وقد احمر وجهه خجلا. كادت ناتي أن تقفز من الفزع وأطلقت الآنسة آرشر صرخة قصيرة وأما قطة السيدة سيمونسون الجميلة ذات الفراء الذي يشبه ظهر السلحفاة البرية فقد هبت من رقدتها على السجادة ووقفت هناك في أنفة.

لا غرو إذن أن سُميت بال "الدوقة" لما تملكه من كبرياء وشمم. أحس كويمبي المزعج بالارتباك فتلعثم قائلا:

- أنا... أنا آسف... آسف جدا. أشعر بالخزي والعار. لا أعرف ماذا أقول. لقد تعثرت لسوء الحظ. هذه الحوادث تلازمني كما تعرفان. بشرفي لم ألحظ ارتداد هذا الباب.

علقت الآنسة آرشر:

- لا عليك. هلا تفضلت بالدخول؟

ألقى كويمبي نظرة خاطفة صوب ناتي ثم رد وهو يمسك بسلسلة ساعة جيبه:

- أشكرك، لكن لا أريد أن أتطفل.

أحس في قرارة نفسه برغبة عارمة في الانضمام إليهما منذ أن وصل إلى مسامعه صوت ناتي وهو ما يزال بعد في غرفته، لكنه خشي أن تفضحه عيناه. عندما أكدت له الآنسة آرشر سعادتهما بصحبته تجرأ على الدخول. كان عقله ما زال مثقلا بالذنب جراء حادثة الباب حتى أنه وقف يحملق فيه بعد أن أغلقه وراءه بعناية. جلس على مقعد البيانو مرددا من جديد:

- لم أشاهد في حياتي بابا بهذه الصلابة!

طوى ذراعيه على إحدى ركبتيه تاركا يديه تتدليان على كلا الجانبين بشكل عجيب الأمر الذي أثار ضحك الآنسة آرشر التي دفعتها نيتها الطيبة إلى محاولة إقصاء مشهد "الاقتحام" عن عقل كويمبي فاقترحت جلسة للعب الورق. علقت ناتي قائلة:

- سنحتاج لشخص رابع، أليس كذلك؟

أجابت الآنسة آرشر:

– *من المفضل. دعينا نرى... السيدة سيمونسون لا تلعب الورق...*

أعرب كويمبي عن رغبته في تقديم خدماته قائلا:

– *السيد نورتون يلعب الورق. يمكنني أن أطلب منه مشاركتنا إذا لم يكن لديكما مانع!*

استفسرت الآنسة آرشر:

– *تعني هذا الفنان الشاب غريب الأطوار؟*

قبل أن يهم كويمبي بالرد أوضحت ناتي بنبرة من الارتياب:

– *لكنه شخص بوهيمي بغيض!*

ضحكت الآنسة آرشر قائلة:

– *هل هذا صحيح؟ هلم إليه! أحسب أني مثله فأنا أحب أن أنطلق وأهيم على وجهي. يسعدني أن أقابل شخص يشاركني هذه الميول. لا أعتقد أني تفرست في ملامح هذا السيد من قبل، لكن إذا أسعفتني الذاكرة فإنه لا يتمتع بقدر كبير من الوسامة، كما أنه يقصر شعره بشكل مبالغ فيه.*

مست كلماتها كويمبي الذي يدرك دون شك مثالبه ونواقصه هو فقال باهتمام زائد:

– *إنه رجل لطيف الصحبة مما يجعلنا نغض الطرف عن موضوع شكله ومظهره. اتفق معكما أنه غريب الأطوار بعض الشيء كما أنه لا يؤمن بالحب ولا العاطفة ولا شيء من هذا القبيل رغم امتهانه الفن. وأما فيما يتعلق بشعره القصير فإن لدى الناس– على حد قوله– فكرة عامة بأن الفنانين لا يحلقون*

شعر رأسهم لأنهم أشخاص كسالى ومهملون. لم يشأ الرجل أن يوصم بهذه النعوت فأقدم على حلق شعره على هذا النحو.

استمتعت الآنسة آرشر بهذا الحديث وانطلقت قائلة:

- *شخصية عجيبة وجديرة بالتعرف عليها. هلم احضره بالله عليك.*

نظر كويمبي صوب ناتي وراح يقدم رجلا ويؤخر أخرى ثم خاطبها بنبرة تبريرية:

- *على أي حال، لا أعتقد أنه سيصدمك بتصرفاته لأنه على وعي بالأعراف الاجتماعية.*

قالت ناتي وقد أمعنت النظر في كلام الآنسة آرشر:

- *هذا الموضوع لا يقلقني! والعربيد عندي أفضل على أي حال من الشخص المحافظ المتنطع الذي يغالي في مراعاة التقاليد!*

أيدت الآنسة آرشر هذا الكلام بكل جوارحها بينما انطلق كويمبي صوب السيد نورتون ليعودا معا بعد فترة وجيزة. لم يكن السيد نورتون سوداويا كئيبا على غرار ما اشتهر به الرسامون. كان شخصا قصيرا ممتلئا، أنفه كبير ووجهه ضارب إلى الحمرة. بدا متأنقا مدققا في هندامه، حلوق الذقن وشعر الرأس. كانت هذه بعض الملامح الشكلية التي رصدتها الآنسة آرشر وهي تنحني لتحيته عندما قدمه كويمبي لها. كشفت النظرة الثانية أنه يتمتع بوجه مرح بشوش ذهبت عنه صرامته حين فغر فاه مبتسما وكأنه السحر. شعرت ناتي بقدر بسيط من عدم الاستلطاف تجاه السيد نورتون وتوقعت منه الخروج عن أصول اللياقة والاحتشام من على شاكلة عدم خلع غطاء الرأس أو تدخين الغليون أو طي ثنيتي السروال، لكن خاب ظنها تماما. ما إن انقضت عشر دقائق على وصوله

حتى تمنت لو تعرفت على بوهيميين كثّر وأن يكون C واحدا منهم. منذ اللحظة التي ولج فيها نورتون في الغرفة راح يتصرف على سجيته وكأنه في بيته ويتعامل مع الغرباء على أنهم أصدقاء العمر. جلب الحيوية لهذا الجمع الصغير بنوادره وطرفه وظرفه وحظي بإعجاب الآنسة آرشر التي شرع الحاضرون من لحظة مجيء نورتون بمناداتها باسمها الأول "سيّن" وهو الصيغة المختصرة من اسم "سينثيا"[٨] على حد قول صاحبته.

كون چو نورتون وسيّن آرشر فريقا واحدا في اللعب واستطاعا الفوز طيلة الوقت الأمر الذي كان له أبلغ الأثر من دون شك في نشوء نوع من التقارب بينهما. لم يكن تفوقهما في اللعب مرده إلى مهارتهما وحسب، بل أيضا لنسيان كويمبي المستمر للورق الرابح وعدم تمكنه من ستر ورقه عن عيون الآخرين وتجاهله لإمكانيات ورقة "الچوكر". في الحقيقة لم يكن عقل كويمبي في اللعب، بل كان سارحا في شريكته في الفريق. فاض قلبه بالإعجاب بحسنها وعشقا وتيها بها! حقا كان وجه ناتي ذاك المساء مثيرا مفعما بالنضارة والحيوية.

جلبت صحبة سيّن إلى وجهها البهجة وإلى عينيها البريق الذي أبهر كويمبي. كانت سيّن من الذين يحيون في نور الشمس ويمنحون دفئها إلى من حولهم، أما ناتي فكانت تعيش في الظل الذي أودع وجهها الوقار والجدية. انقشعت هذه الظلال تلك الليلة فلم يستطع كويمبي تحويل نظره عنها، لذا تشوش عقله وارتكب الأخطاء في اللعب. تنهد في أسى سرعان ما تحول إلى ارتباك عندما أخبرته سيّن بخبث أن الآنسة فيشبليت زارتها الليلة الماضية وأنه يتمتع بالحظوة

---

[٨] Cynthia هو اسم قديم لإحدى آلهة القمر عند الإغريق. (المترجم)

لديها. سقط ورقه على الأرض وحين هم لالتقاطه اصطدمت رأسه بشدة في حافة الطاولة فشعر بزيغ ودوار. أحست سيّن بالقلق تجاه كويمبي واستفسرت منه عن وقوع أي أذى له فأجاب:

- *لا شيء! ألفت هذه الأشياء كما تعلمين!*

سرعان ما تورم الجزء الذي تعرض للخبطة على نحو سيء فما كان من سيّن إلا أن لفت جبهته بمنديلها. استؤنف اللعب وكويمبي يرثي هيئته المزرية أمام فاتنته. خالجه شعور بعدم الارتياح والخوف المستتر أن تكون سيّن جادة فيما نقلته عن سيليستي. لم يشعر بالزهو حيال شعورها نحوه. لطالما خشي هذا الأمر. شرد عقله وتقلب مزاجه فجاء لعبه رديئا. لو سأله أحد رفاقه ماذا يلعب؟ ربما أجاب "الداما [٩]"، لذا توقفوا عن لعب الورق وراحوا يستمعون إلى سيّن التي أمتعتهم ببعض الأغاني وكذا إلقاء قصيدة "السيدة كلارا فير دي فير [١٠]".

أثناء تقديم سيّن وصلتها الغنائية، وقعت عينا ناتي مصادفة على السيد نورتون فتذكرت جملة قرأتها مؤخرا في إحدى الروايات عن شخص "يطل بروحه من عينيه". كان ذلك ما يفعله السيد نورتون في تلك اللحظة وما لا يحاول فعله كويمبي الذي بقي بعيدا عن دائرة الاهتمام. تساءلت أيضا هل نشأ بين هذا الفنان الشاب وبين سيّن بعض الاستلطاف؟ وهل تراه أطراها ببعض المجاملات حين وقفا جانبا عندما انفض الجمع وتمنى كل شخص للآخر "ليلة

---

[٩] لعبة شبيهة بـ "السيجة". (المترجم)

[١٠] Lady Clara Vere de Vere قصيدة كتبها الشاعر الإنجليزي ألفريد تينسون Alfred, Lord Tennyson ونشرت عام 1842. (المترجم)

سعيدة"؟ وإذا كان نورتون يغازل سيّن فلم هذه النظرة الماكرة في عينيها؟ على أي حال، سرعان ما نست ناتي هذه الأفكار التي مرت بعقلها وانتهت الأمسية الرائعة باتفاق الحاضرين على تكرارها.

في اليوم التالي طفت هذه الواقعة على السطح من جديد واهتدت ناتي إلى تفسيرها عندما وجدت صورة مرتجلة "إسكتش" تحت عتبة باب حجرتها عند عودتها من عملها. علمت في الحال أن سيّن هي من صممها وأن السيد نورتون هو من نفذها على الورق. كانت الصورة عبارة عن غرفتين منفصلتين في إحداها منضدة عليها جهاز تلغراف وضعت يدها على مفاتحه امرأة شابة تشبه الآنسة ناتي روچرز إلى حد كبير وعلى وجهها ابتسامة مشرقة. شوهد على المرجاس في الغرفة الأخرى قبعة من طراز رعاة البقر وشاب لا يرى ولا يسمع "كيوبيد"[١١] الذي وقف خلفه مشدوها، ممسكا ببرقية وفاغرا فاه. بمقربة من سقف الغرفة راح "كيوبيد" آخر يوصل أسلاك البرق التي تربط بين الشاب والفتاة.

---

[١١] إله الحب والرغبة لدى الرومان. (المترجم)



تمتمت ناتي ضاحكة:

- *ما هذا الهراء؟*

ثم وضعت الصورة في درج مكتبها للذكرى.

الفصل الخامس

كادت عقدة لسان كويمبي أن تنحل

على الجانب الآخر من الشارع في مواجهة مكتب التلغراف الذي تعمل به ناتي وضع رجل يده على أحد المساند وهو يرقبها موجها سؤالا إلى الموظف أمامه:

– هذه الشابة هناك تتصرف بشكل عجيب، أليس كذلك؟

– لا أدري ماذا أصابها. أُراقبها منذ أسبوع. تجلس لنصف الوقت كما تراها الآن... تضحك وتومئ لنفسها. أحيانا تنحني بظهرها للخلف ومرات تنفجر في الضحك وتبتسم للفراغ.

علق صاحب السؤال:

– *أعتقد أن بها لوثة.*

في هذه اللحظة كانت ناتي تتحدث مع C بالطبع. راحت تخبره بأمر الصورة الارتجالية "الإسكتش" مع بعض التحفظ فيما يتعلق بجزئية "كيوبيد". رحل نظرها عبر النافذة لمسافة سبعين ميل ثم استقر عند الأشياء القريبة منها فانتبهت إلى النظرات المتمعنة لكلا السيدين قبالتها. لم يخطئ تخمينها حول فحوى المعاني التي تنطلق بها هذه النظرات فاحمر وجهها وانتصبت في مقعدها مخبرة C عن هذا التطفل، لكنه أجاب ضاحكا:

– *ضعي نفسك مكانهما. شخص يقف في الخارج يرى عاملة تشغيل تُحدث "ضجة على الفاضي". تجلس في دعة تقرأ الجريدة وترفع قدميها على مقعد أو*

طاولة، ثم فجأة تتغير الصورة فتطرح بالصحيفة أرضا وتقفز من مقعدها ممسكة بقلم رصاص، تكتب كلمات، تقطب وجهها، تقرع الطاولة بطريقة هستيرية وتحملق بتجهم في اللاشيء، ثم يفغر فاها بابتسامة عريضة، وتعود لما كان عليه في البداية! ألا ترين أن هذه الأفعال تبدو غريبة؟! فإذا عرف السبب بطل العجب.

أجابت ناتي ضاحكة:

- *لا ريب، لذا أسامحهما وسأتوخى الحرص في المستقبل. لا شك أني بدوت مضحكة أمام العابرين وأنا أتكلم معك.*

سأل C:

- *هل هذه مجاملة لي؟*

أجابت ناتي:

- *بالتأكيد، لأنك تضحكني كثيرا.*

حاول C جليا الظفر بمزيد من التملق سائلا:

- *إذن لست شخصا مزعجا؟*

قبل أن تهم ناتي بالإجابة دخل عامل تشغيل على الشبكة قائلا:

- *بلى، أنت كذلك؟*

شرحت ناتي بأقصى سرعة ممكنة:

- *لست أنا من أرسل هذا الكلام، بل شخص سمج يدس أنفه فيما لا يعنيه... كنت على وشك القول بأن الحديث معك قد جعل وطأة الأيام أكثر تحملا.*

- هل تعني هذا حقا؟ فكرت البارحة أنا أيضا في حالي ووحدتي القاسية بالمكتب قبل أن أحظى بمعرفتك التي بدلت كل شيء.

احمر خدا ناتي. من المحزن أنه لم تُستنبط بعد أداة تلغرافية تستطيع نقل صورتها في هذه اللحظة ليتمكن C من رؤيتها. ردت ناتي معربة عن سرورها، لكنها لم تتمكن من إنهاء جملتها بسبب هذا العامل المزعج مجهول الهوية في مكان ما على الشبكة. انبرى هذا العامل يقطع دائرة الاتصال بعد كل حرف فلم يفلحا في التواصل بسبب هذه الحيلة. على أي حال، يوجد في عالم التلغراف كما في أي مكان آخر أشخاص خاملون وشريرون يستكثرون السعادة على الآخرين ويطالبون بأن يكون لهم منها نصيب معلوم. تناولت ناتي قلم رصاص وبدأت في تدوين حساب اليوم بعد أن عجزت عن الاستمرار في التواصل مع C. فجأة حل ظل شخص على مدخل باب المكتب مما حجب النور جزئيا. نظرت ناتي فإذا هو كويمبي الذي مر بحالة مرثية من الاضطراب منذ أمسية لعب الورق التي كشفت له صدق المشاعر التي تتأجج بقلبه تجاه ناتي. تجول مرتين أو ثلاثة من قبل بالقرب من مبنى التلغراف مستمتعا بمجرد المرور بنافذة المكتب، لكنه لم يستحضر قبل اليوم الشجاعة الكافية للتوقف ببابه نتيجة لخجله وشعوره بالاضطراب وانعدام ثقته بنفسه، تلك التي حالت دون الاقتراب من ناتي كما يرنو ويتوق فؤاده. أخفق في تجميل صورته في عينيها لتماثل صورتها الجذابة في عينيه. استشفت ناتي ما يحمله وجه كويمبي من مشاعر، لكنها لم تسبر غور حدتها. ابتسمت له وطلبت منه التفضل بالدخول،

فلا يمكن لامرأة إظهار عدم الاكتراث بشخص يقيم لها تمثالا من دون البشر.

قال كويمبي واجفا من جرأته وقد تعذر عليه التحكم في مشاعره الجياشة:

- أنا... في الواقع... كنت أمر... بالصدفة البحتة... عارفة... وفكرت أن أتوقف ببابك... أعتذر للإزعاج.

علقت ناتي:

- أبدا. لا يوجد إزعاج فنحن معارف قدامى.

جعلت هذه الكلمات قلبه يرقص من الفرح. تابعت ناتي بشيء من المكر:

- العمل اليوم كئيب جدا. أشعر بالسأم فهل جئت هنا لتساعدني في التغلب عليه؟

أُخذ كويمبي المسكين على حين غرة. حاول تهوية ربطة عنقه في اضطراب. لابد وأن استهلاكه لرابطات العنق ودلايات ساعات الجيب كبير جدا بسبب حالة الحب هذه. تلعثم قائلا:

- أنا... نعم بالتأكيد... لا... أتمنى... أخشى أني لست مؤهلا بدرجة كبيرة لهذا الأمر.

لم تخالفه ناتي الرأي، لكنها وجهت له سؤالا استنكاريا:

- لست كذلك؟

- كما تعرفين فأنا ارتكب الأخطاء دوما حتى اعتدت هذه الأشياء. لست أفضل، أو دعيني أقول من المحتمل أن أكون أفضل بمقدار ضئيل من شرذمة بسيطة من الناس. هذا كل ما في الأمر.

ولج كويمي في المكتب بعد أن تكلم بصراحة وتواضع عن نفسه. جلس مكونا فرجارا بساقيه:

- هل رأيت سيّن اليوم؟ لقد زارتني أمس زيارة خاطفة وتحدثت مع C، لكن لم أرها منذ ذاك الوقت.

- إنها خارج البلدة في حفلة غنائية، لا أتذكر أين بالضبط ولن تعود قبل الغد.

بدأ كويمي يشعر بعدم الارتياح في حديثه:

- المعذرة، لكنك عرجت بالذكر على الشخص الخفي. هل... اسمحي لي... مازلت تتحدثين معه كثيرا؟

أجابت ناتي بحماس أصاب كويمي بالشحوب:

- أجل بالطبع. نتحدث تقريبا طيلة الوقت.

شعر بالغيرة وانبرى سائلا:

- عن ماذا يدور حديثكما المطول؟

ردت ناتي:

- كل شيء... الكتب التي نقرأها والأشياء الجيدة في الصحف والمجلات والمغامرات التي نتعرض لها... باختصار نتحدث في شتى جوانب الحياة. بيننا اتفاق واضح على أشياء كثيرة فيما عدا الحلوى التي أحبها كثيرا بينما لا تروق له.

كتم كويمي أنينه، لكنه سارع بالتأكيد على حبه الشديد للحلوى.

- لكن ألا... عذرا... ألا ترين أن C ...هذا اللهو الخفي ما هو إلا شبح.

أشار بذراعه معطيا انطباعا كما لو أن هذا الشبح قد قفز للتو أمامه.

حملقت ناتي فيه صائحة:

- ما هذا الكلام؟! أؤكد لك أن C حقيقة وأنه من سكان الأرض وواقع بالنسبة لي.

اغتم وجه كويمي وقال بنبرة حزينة:

- حقا؟ أعتذر، لكن... أعتقد أنك لا تعني... يا إلهي! الجو حار هنا!

جفف وجهه بمنديل حريري لا يناسب لونه الأحمر بشرته. لوت ناتي شفتيها ضاحكة. شعرت ببعض البرد بالرغم من وضعها شال فوق كتفيها. كررت:

- حار! لا أشعر بهذا مطلقا.

قال كويمي متوترا:

- أعتذر، لكن... لقد كنت أتمشى فقط... وكنت... كنت على وشك السؤال... هل وقعت في حبه؟

رقصت السعادة في عيني ناتي، لكن وجهها بهت قليلا وهي ترد:

- كيف أقع في الحب مع شخص خفي؟ هذا أمر مغرق في المثالية ولا يُرضي غروري!

أشرق وجه كويمي وامتلك زمام نفسه بشكل كاف فنحى المنديل جانبا ورمقها على استحياء بنظرة عشق وهيام قائلا:

- تدرين...لا اعتقد حقا... أعني أربأ بك أن تقيمي علاقة لا تحقق لك الرضا والقناعة على الإطلاق. وأفضل لك كثيرا أن تبحثي عن شخص ظاهر أمامك.

علقت ناتي بنبرة رزينة:

- *حقا؟*

فطنت أن كويمي ينحى بحديثه نحو منطقة من المفضل تجنبها فسارعت بتغيير الموضوع:

- *ألا تعتقد أن سيّن امرأة جذابة؟*

- *آه! أجل! جذابة جدا!*

هكذا جاء رد كويمي بحماس فاتر، كان سيزيد بالطبع لو أن السيد نورتون هو المعني بالإجابة. ولأن كويمي يواجه صعوبة في التعبير عن مشاعره ولأن هواه متقلب فقد وجد فرصة سانحة للاقتراب من هذا الموضوع الشائك العذب والتشبث به. انتصب في مقعده واضعا ساق على أخرى وقد عقد العزم بطرق الحديد وهو ساخن والبوح بمشاعره. كانت نيته واضحة، لكن المرجاس أنقذ ناتي وأدخل البهجة عليها حين تكرر النداء Bm ثلاثة مرات متتالية. هرعت قائلة:

- *عذرا. هناك من يطلبني على الخط.*

أجابت المتصل على الفور وبدأت في تلقي البرقية. أثناء استلام ناتي للرسالة التي حوت عشر كلمات وهن عزم كويمي وانهار تماما كرد فعل لشحنه الزائد فتحامل على نفسه للوقوف وراح يبحث عن قبعته قائلا:

- *أنا... في الواقع... تدرين... ينبغي أن أذهب!*

زاد تلعثمه واحمرار وجه عندما نظرت إليه ناتي:

- *أنا... آسف للإزعاج، لكني...*

توقف ولم يستطع إكمال جملته. قالت ناتي بشيء من الفتور وهي تنهي استلام البرقية:

- *أُرحب بالصحبة دوما.*

علق كويمي:

- *أنا... حقا... أنت عطوفة... كما تعلمين أنا... مررت من هنا في طريق عودتي من المكتب.*

كان كويمي يكتب على الآلة لدى أحد المحامين ليزيد دخله. أكمل:

- *إنني في طريقي لتناول العشاء، ومن المفترض أن أكون هناك الآن. سعدت برؤيتك. أين قبعتي؟*

ظل يبحث عن قبعته حتى أخرجتها ناتي من سلة القمامة حيث سقطت هناك لقلة تركيزه. تناولها كويمي وانحنى في ارتباك وخرج في تخبط ماضيا لحال سبيله ومتعجبا إذا كان بمقدوره الوصول إلى هذه النقطة مرة أخرى. قرر — إذا قُدر له تكرار التجربة– أن تجري في مكان بعيد عن هذا المرجاس المزعج.

حدثت ناتي نفسها وهي تشاهد كويمي وهو ينسحب خارج المكتب:

- *آمل ألا يجعل من نفسه أضحوكة! إنه شخص متخبط، لكنه أيضا إنسان طيب. لا أريد أن أجرح مشاعره حتى لو عُرض عليّ العالم بأسره. ثم إن صده سوف يخلق شعور رهيب بعدم الارتياح نظرا لإقامتنا في مكان واحد!*

استشفت ناتي من سلوك كويمي بأنه سيعيد الكرة على الأرجح، لذا قررت أن تتخذ الحيطة وتفوت عليه أي فرصة لمكاشفتها بشعوره، كما قررت أن تؤكد على مفهوم الصداقة والفرق الشاسع بينها وبين الحب بأسلوب مهذب مع

توخي الحرص، لكن الظروف عاندتها وحالت دون الوصول إلى مأربها فبعد مرور بضعة أيام توقفت لزيارة سيّن التي تصادف وجودها بالخارج مع توقع بعودتها وشيكا حسبما قالت السيدة سيمونسون. قررت ناتي انتظارها فجلست أمام البيانو وبدأت في عزف مقطوعة "القبلة الأولى". لم تنتبه إلى أنها تركت الباب موارب فإذا بصوت يقتحم موسيقي الفالس. داهمها كويمبي قائلا في تردد:

- المعذرة، هل يمكن أن أدخل؟ لقد طرقت الباب بضع مرات، لكنك لم تنتبهي.

تمنت ناتي لو بمقدورها رفض طلبه، لكن لم تجد مبررا فاضطرت للقول:

- أجل. تفضل. أنا في انتظار سيّن التي يُتوقع وصولها في أي لحظة.

دخل كويمبي معلقا قبعته وجلس واضعا كفيه على مقبضي المقعد وكأنه يتوقع شرا مستطيرا. حدق في ناتي دون أن ينبس ببنت شفة. خيم صمت محرج قطعته ناتي أخيرا متطرقة إلى الموضوع الآمن الذي تؤثره السيدة سيمونسون:

- الطقس لطيف اليوم، أليس كذلك؟

أجاب كويمبي محكما قبضته على المقعد في محاولة مستميتة لاستدعاء الشجاعة المطلوبة واستغلال هذه الفرصة النادرة للإفصاح عن مشاعره:

- أجل. فعلا!

عرجت ناتي على موضوع آخر:

- تناولت وسيّن العشاء اليوم.

انطلق كويمبي بنبرة بائسة:

- أنا... لا أستطيع تناول الطعام.

علقت ناتي متمنية أن تعود سيّن:

- *لا تستطيع الأكل؟ اشعر بالأسى من أجلك. أرجو ألا تكون مصابا بداء في المعدة.*

أجاب محكما قبضته على يدي المقعد وقد قفزت عيناه من رأسه مصمما على الوصول إلى النقطة التي يبتغيها:

- *لا . لا ... إنه قلبي. أحسبك تعرفين.*

أدركت ناتي أن الخطر يحدق بها فنشدت الملاذ في التورية:

- *هل تعني أنك مصاب بمرض في القلب؟*

رفع كويمبي يمناه عن مقبض المقعد وراح يشد ربطة عنقه في توتر:

- *لا ... ليس مرضا قلبيا جسمانيا، بل ذهنيا.*

ردت ناتي بجفاء:

- *لم اسمع بهذا مطلقا!*

حدثت نفسها:

- *سوف أشتت تفكيره بالموسيقي.*

سألته في عجالة:

- *هل تروق لك "القبلة الأولى"؟*

أحمر وجه كويمبي وانتفض من مقعده كما لو كان كرة مطاطية. قال لاهثا:

- *يا إلهي! كيف لا؟*

أدركت ناتي الغموض الذي أحدثه سؤالها فهرعت إلى التوضيح:

- *سأعزفها من أجلك.*

بدأت في العزف بأعلى صوت ممكن فعاد كويمبي إلى مقعده ثانية وما كاد يستقر عليه حتى قفز فجأة وقد ألهمته الموسيقي أو ربما حركه عزم اليائس. بوثبة واحدة صار لصيقا لها قائلا بلهفة وحماس:

- عفوا... أرجو أن تتوقفي عن العزف الآن. هناك ما أريد قوله! يا إلهي! ضاعت مني الكلمات! عندما أكون وحيدا تأتي تترا على لساني، لكن في هذه اللحظة لا أجدها وأعجز عن أخبارك بما...

قاطعته ناتي في عجل. شعرت أنه يجب فعل شيء لإيقافه. لجأت للحيلة ونطقت بأول ما خطر على بالها:

- تركت شيئا على الموقد وهو قريب من الستائر، لذا يجب على أن أذهب فورا لألُقي نظرة عليه.

اعتراها خليط من السعادة والضيق. اقتفت عيناه أثرها بنظرة جامدة ووجه ممتقع. جال خاطره في هذه العوائق التي تحول دون بلوغ مأربه ووصل إلى قناعة بأن التقدم للخطبة أمرا محطما للأعصاب. قرر أن يعيد الكرة وأن يشرع من الآن في التدرب على الموقف وتمثيله بحيث يضمن له النجاح مستقبلا. رغم إخفاقاته المتكررة وما نتج عنها من إحراج وإحباط فقد صقلت مشاعره وكشفت عن ماهية ومعدن حبه الحقيقي لناتي.

الفصل السادس

انهيار العلاقة الغرامية

ما إن همت ناتي بفتح مكتبها صبيحة اليوم الذي أعقب واقعة كويمبي ومحاولة الإفصاح عن حبه حتى حياها صوت التلغراف:

- *Bm, Bm, Bm...N, N, N. أين أنت؟ أين فتاتي الصغيرة؟*

توقفت في التو عن التفكير في الإحراج الذي ستشعر به لا محالة وهي تجابه كويمبي المرة القادمة وأجابت C قائلة:

- *ها أنا ذا. ما خطبك هذا الصباح؟*

أجاب C:

- *صباح الخير يا عزيزتي. لن أتواجد اليوم بالمكتب وأردت أن أودعك وحسب قبل أن أمضي لحال سبيلي.*

جاء وقع الخبر عليها سيئا فاستفسرت:

- *لن تتواجد؟*

- *نعم. سأنطلق اليوم إلى مكتب بريد على بعد خمسة أميال لأحل محل شخص يمر بظروف طارئة. أرادوا استبداله بشخص لديه خبرة وسيقومون بإرسال آخر يمكنه القيام بعملي البسيط هنا.*

غطست ناتي في مقعدها وعقبت في حزن وأسى:

- *يا إلهي! ماذا سأفعل طيلة اليوم؟*

- آسف جدا. ليس بيدي القرار، ورغم ذلك فأنا جد سعيد لأن وجودي أصبح أمرا مهما في حياتك اليومية وهذا يدفعني إلى السؤال: ماذا ستفعلين إذا أُضطررت للرحيل نهائيا؟!

غفلت ناتي بسبب خوفها من إمكانية وقوع هذا الأمر عن التعليق على مسالة أهمية وجوده في حياتها. سألته:

- هل هناك ما يشير إلى حدوث ذلك في الوقت الراهن؟

أجاب C :

- احتمال قائم. سأخبرك بكل شيء غدا. سأقترب منك جدا حتى تتمكنين من ملاحظة وميض عيني.

- لا تقل لي أنك تطمح إلى الانتقال لأحد مكاتب البرق هنا في المدينة؟

هكذا جاء سؤال ناتي دون أن تدري هل سيسرها هذا الأمر أم لا؟ أجاب C:

- ليس بالضبط. ليس لدي وقت للشرح الآن فالقطار على وشك الوصول.

سألت ناتي بسرعة:

- قلت أين وجهتك اليوم؟

- مكتب Ba على بعد خمسة أميال. كان مربوط بشبكتنا حتى الأسبوع المنصرم قبل أن يتم تحويله إلى خط 27.

رد C بهذه الكلمات بسرعة خاطفة تمكنت ناتي بالكاد من قراءتها رغم تعودها على أسلوبه في تهيئة النقاط والشرط، فلكل عامل تشغيل أسلوب خاص به في الكتابة سواء بالقلم أو على المفاتيح. أجابت ناتي بنفس الوتيرة:

– آه! أجل. تذكرت. مكان هذا العامل الكريه M الذي طالما تشاجر من أجل الخط وعمد إلى قطع اتصالاتنا. لو كنت مكانك ما استبدلته.

– ليس لدي الخيار. هاهو القطار يدخل المحطة. إلى اللقاء. سأفتقدك كثيرا، لكن سأعود لك في الصباح. مع السلامة.

ردت ناتي:

– إلى اللقاء. لقد بدأت الوحدة تتسرب إلى نفسي بالفعل.

لم يعقب C. من المفترض أنه قد رحل، بل وربما تعين عليه العدو ليلحق بالقطار. هكذا استحضرت ناتي صورته بينما راحت تخلع قبعتها في حركات كئيبة. عندما تنفصم عرى الصحبة أيا كان نمطها فإنها تترك غصة الوحدة، وهو ما ينطبق على هذه الحالة الفريدة أمامنا، فقبل هذا اليوم لم تدرك ناتي أهمية C في حياتها التلغرافية، وكان من الطبيعي أنها نسجت نوعا من الغرام حول هذا الصديق البعيد عن العين، ربما ساعد على ذلك اشتياق قلبها للعبارات الرقيقة، وهو شعور تعرفه كل امرأة. لقد وجدت هذه الرقة والعذوبة كل يوم في تحيته "صباح الخير يا عزيزتي" و"طابت ليلتك يا صغيرتي في مكتب Bm".

لو كانت الآنسة كلينج هي التي تتحدث لرجل غريب عبر التلغراف لصعقت من هول هذا الأمر، لكن ناتي– التي أمن لها طول المسافة قدر من الحرية – مضت في طريقها ولم تكترث هل تصرفاتها تتسم بالحكمة أم جانبها الصواب؟

تحولت ساعات الحديث مع C إلى وقت فراغ لم تهتدي ناتي إلى وسيلة لملأه. جال تفكيرها في تلميحاته بأنه سيغادر للأبد. ماذا لو أنهما تقابلا وجها لوجه، هل سيشعران بأنهما صديقان حميمان أو أن القرب سوف يحدث ارتباك

لا يمكن التنبؤ به؟! لم تجد غضاضة في الاعتراف بأنها تتطلع لرؤية هذا الشخص الذي طالما شغل تفكيرها. إنه لأمر غريب أن تتجمد معرفتهما عند حدود هذا C وهذه N! تبادلا الأحاديث الودية والأسرار الشخصية، لذا فلقاءهما أمر غير مستبعد وما أشبه القدر بلوحة التشغيل.. بضغطة على زر أو اثنين يتغير كل شيء. لعبت هذه الأفكار بعقل ناتي فألبستها حلة من الكآبة وكست وجهها بمسحة من الحزن الذي أثار فضول المارة وأراح الموظف في الجهة المقابلة بعد أن استنتج أنها استعادت صوابها. قبل ساعة من موعد إغلاق المكتب وبينما كانت ناتي تعد النقود متطلعة في سعادة إلى عودة C في الغد لفت نظرها وجود شخص في الخارج. التفتت إليه دون التطلع فيه ظنا منها أنه عميل يريد إرسال برقية، لكن هذا الشخص الذي عبأ الهواء برائحة المسك الخانقة راح يسأل:

- *اعتقد أنك عاملة التشغيل المسئولة هنا، أليس كذلك؟*

انتفضت ناتي وقد توقعت ورود شكوى فغالبا ما يسبق التبرم هذا السؤال. نظرت إليه نظرة فاحصة فوجدت شاب ممتلئ قصير يحاول إيهام الآخرين بثقته بنفسه على نحو مبتذل رخيص. يضع دهان الدب على شعره الضارب للحمرة وأسنانه ناتئة ومتنافرة وأما عيناه المليئة بالإيماءات فلونها أزرق فاتح وبياضها مائل إلى الحمرة.



أجابت ناتي بعد هذا المسح:

- *بلى.*

- *أحسب أنك لا تعرفيني؟*

لمحت ناتي دبوسه الكبير من الماس المقلد والحجر "الفالصو" على خاتمه الضخم قائلة:

- *لا بكل تأكيد.*

واصل حديثه مبتسما لها ومتوددا إليها بأسلوب غاية في السماجة:

- *اعتقد أنك مخطئة فيما يتعلق بهذا الأمر.*

شعرت ناتي بالإهانة واعترتها الدهشة. انسحبت إلى آخر المقعد قائلة بشمم:

- *اعتقد أنك أنت المخطئ.*

تابعت في شيء من البرود:

- *هل يمكنني الاستفسار عن مهنتك؟*

رد بثقة زائدة واحتجاج واضح:

– *على رسلك. جئت لأراك. هذا هو عملي الآن ولا شيء سواه، فلم تصدي زميلا؟!*

شعرت ناتي بالسخط وحدثت نفسها:

– *لابد وأنه ثمل.*

أضاف الرجل قبل أن تتمكن من الرد:

– *أنا عامل تلغراف.*

– *آه!*

هكذا أجابت ناتي بمشاعر حيادية. لا يهم بالنسبة لها إذا كان المتحدث عامل تشغيل أو خلافه. بالرغم من زمالة المهنة فإنها تفضل علاقة المكتب على الصحبة. أضافت بأقصى درجة من التمدن وضبط النفس:

– *هل تريد إرسال برقية أم التحدث مع شخص على الشبكة؟*

رد بابتسامة خبيثة:

– *لا، شكرا. ألا يمكنك كشف هويتي؟*

أجابت ناتي ببرود وعدم اكتراث:

– لا.

حدثت نفسها:

– *يا للوقاحة! أحسب أنه أحد عمال التلغراف بوسط المدينة، وإذا صح ذلك فهو عينة لرفقتهم المريعة.*

ضحك مظهرا قبح أسنانه الناتئة قائلا:

– *فكري في شخص دأبت على الاتصال به مؤخرا. افعلي ذلك يا N.*

لم تتطرق ذرة من الشكوك إلى عقل ناتي. هزت رأسها في جزع وراودها شعور بالامتعاض متمنية أن يحدث أي شيء يقطع هذا الحديث أو ينهيه، لكن القادم كان أدهى وأمر فقد مال الرجل نحوها بثقة مفرطة قائلا بابتسامة موحية:

- *هل ترين هذه التجاعيد يا N؟*

- *ماذا؟*

صرخت ناتي بشدة جعلت قروي كان يمر بمحض الصدفة يتوقف عن تقشير حبة فول سوداني كانت بيده ويحملق نحوها في ذهول. من هول الصدمة أحست ناتي بالرغبة في التعلق بأي شيء فلم تسعفها سوى مظلة مطر بجوارها. تملك وجهها الرعب بعد تلقيها هذه الكلمات من السائل الذي أضاف متوقعا ابتهاجها:

- *تعرفين زميلا يُدعى C ، أليس كذلك؟*

يبدو أن بالون غرور هذا الشخص الكريه قد فاق كل ما لديه من إدراك فقد خالطه شعور بأن وجه ناتي قد انتشى وطرب لسماع هذا الخبر حين راحت تمسك بمظلة المطر من هول المفاجأة. قالت لاهثة:

- *لا ، لا . لا يمكن. لست هو. لست هو.*

ضحك صاحب الخاتم ودبوس المشبك ودهان الشعر...الخ قائلا:

- *لست C؟ بالرغم مما أسررت به!*

تشبثت ناتي بالأمل وبالمظلة لآخر مدى قائلة:

- *لكن C أخبرني صبيحة اليوم أنه سينطلق إلى مكتب Ba ... و...*

قاطعها باستمتاع كبير:

- *لقد خدعتك وخططت للمجيء هنا منذ البداية. أردت أن أفاجئك.*

عاود الضحك غامزا بأسلوب مبتذل. فقدت ناتي الأمل فتركت المظلة وانهارت بقصة غرامها على المقعد. تذكرت تحذير كويمبي لها من الأشخاص المجهولين. كتمت أنينها واسترقت كارهة نظرة واجفة راجفة لهذا الشخص الماثل أمامها. هل يمكن توفيق الصورة التلغرافية لـ C النبيل اللماح الممتع في مخيلتها مع هذا الشخص الذي تفوح منه رائحة المسك النفاذ بشعره الأحمر المدهون ومجوهراته الرخيصة المزيفة وسلوكه الفظ؟ من المستحيل! حدثت نفسها بقنوط من يغمره طوفان الحقائق المفزعة:

- *لا يمكن! يا له من كابوس!*

لم تعلق على كلام الزائر مما جعله يرقبها في حيرة واستغراب من سلوكها ثم أكمل:

- *لا أرى مبررا لهذا الخجل بعد كل كلامنا معا. من المفترض أننا صديقان، والآن أخبريني هل أبدو كما توقعت؟*

أزاح قبعته للخلف حتى تحصل على صورة أفضل، لكن ناتي لم تعبأ فقد اكتفت بما رأت من قبل. أجابت في تلعثم وكأنها غائبة عن الوعي:

- *كلا. ليس بالضبط!*

- *هل رسمت لي صورة شخص نحيف تصدر عظامه أصواتا حين يسير؟ لست كذلك كما ترين، كما أنك أيضا مختلفة، وأقسم بشرفي المهني على ذلك.*

ابتأست ناتي. لم تعد قادرة على إدراك أن C هو هذا المخلوق المقزز ولا حتى توجيه سؤال فضولي- كما توقع هو- حول أوجه تباينها عن الصورة التي خطها في خياله. انتظر السؤال دون جدوى فعمد إلى المداهنة مضيفا:

- *لقد جاوزت كل التوقعات، فقط لم أتخيلك بهذا الخجل بعد كل ما تبادلناه من محادثات بلغة التلغراف التي يبدو أنها أسهل من الكلام وجها لوجه، أليس كذلك؟ فهي لا تحتاج سوى ورقة وقلم وانتقاء وتجميع ما نريد أن نقول باستخدام الشفرة.*

فسرت هذه الكلمات لناتي الغموض بين C النائي والشخص الموجود أمامها ولمست أمور أخرى مثل الرفقة والغرام والصداقة التي تحطمت على صخرة الواقع ودهان الشعر ورائحة المسك. تأثرت للحظة وغلبتها العبرة. هل يمكنها أن تتجاهل أن C الخفي الذي أطل عليها من جداول الشفرة كان شخصا مغايرا لهذا المخلوق الذي يدعي هويته؟! على أي حال استمر بطل قصة الغرام المتداعية في الحديث من طرف واحد دون أدنى فكرة عن المشاعر التي اجتاحت ناتي:

- *اعتقد أن ما تناولناه على الشبكة من حوارات قد أصاب الكثيرين بالذهول!*

تعثرت الكلمات في فم ناتي:

- *أجل. أنا... بدون شك!*

تذكرت فجأة فحوى هذه الأشياء التي تبادلا الحديث عنها فاحمر وجهها وروعتها خاطرة قفزت إلى عقلها: ماذا لو استخدم هذا الشخص الآن عبارة

"يا عزيزتي" التي سمحت له بترديدها عن بعد؟ لا بد وأن هذا هو العقاب الذي تستحقه نتيجة لتهورها وأفعالها الصبيانية. من الواضح أنه لاحظ الدم المتدفق في وجنتيها وأرجعه إلى سحره الخلاب لأنه قال بنبرة رضا عن نفسه وأداءه:

– *كنت أتمنى أن أمكث معك فترة أطول، لكن القطار سينطلق في غضون خمس دقائق.*

تنفست ناتي الصعداء:

– *هذا أمر سيء، أليس كذلك؟ سأعاود الزيارة مرة أخرى! على فكرة...*

حمل وجهه تعبيرا ماكرا:

– *لا تذيعي شيئا على الشبكة عن وجودي هنا اليوم. لقد كنت في* Ba، *هل تعي ذلك؟*

أجابت ناتي متحمسة لرحيله ومنتوية قطع أي نوع من الاتصالات معه فيما بعد:

– *بالتأكيد!*

استجمعت قواها لتخبر هذا الشخص المريع بمكنون صدرها:

– *أعتقد أنه لم يعد ثمة معنى للحديث عبر البرق بعد أن زال الغموض بلقائنا.*

لدواعي دهشتها لم يحتج الرجل على كلامها، بل علق قائلا:

– *لا أعتقد أنه سيستمر!*

أطرقت ناتي عند سماع هذه الكلمات محدثة نفسها في ضيق:

– *ربما لم يرق له هيئتي تماما كما لم يعجبني شكله!*

على أي حال هذا يفي بغرض التخلص منه للأبد. اعتصرها الألم وهي تسأل متمنية أن يختفي من حياتها:

- ذكرت منذ بضع ساعات أنك تفكر في ترك مكتب القرية. هل تتوقع أن يكون ذلك وشيكا؟

أجاب بنظرة لم تفهمها:

- هل تفوهت بذلك؟

أُسقط في يد الرجل واحتار بماذا يرد؟ أخفق في كبح ابتسامته وهو يقول:

- آه! حسن! لقد كان هذا من باب الدعابة ليس إلا!

استغلت الفرصة لتنقل له انطباعها عن هشاشة علاقتهما فانطلقت قائلة:

- أحسبك تعرف أنه ليس كل ما يقال عبر التلغراف صحيحا. أنا شخصيا لا أعني ما أقول!

أجاب بابتسامة ماكرة:

- لكننا نعني ما نقول الآن وحين أزورك المرة القادمة ستتوطد علاقتنا. لقد تبادلنا حديثا لطيفا، أليس كذلك؟

تذكرت ناتي لبرهة ذكرياتها مع C ثم أجابت بسخرية:

- حديث مرهق.

تطلع فيها ثم ضحك قائلا:

- يالك من فتاة غريبة. على العكس كنت أتمنى أن يطول لقاءنا، لكن لم يعد لدي وقت للحاق بالقطار. إلى اللقاء.

- مع السلامة.

لم تستطع ناتي إخفاء ارتياحها برحيله. تغيرت نبرتها عن سالف عهدها. لابد وأنه لاحظ ذلك لأنه التفت إليها وقد نفذت الهواجس إلى عقله أخيرا. عبس وجهه وحمل نظرة غامضة. أومئ برأسه ثم هرول نحو المحطة فاصطدم بهولندي ضخم الجثة كان يسير في ارتباك نحو صالون الحلاقة المجاور. اختفى الشعر الأحمر المدهون ومعه الجواهر المقلدة والأسنان الناتئة المتنافرة للأبد من أمام ناتي التي سيطر الذهول والوجوم على وجهها كما لو أنها أفاقت للتو من كابوس. هذا المخلوق البشع! مازالت رائحته الشنيعة تملأ المكان. تجولت بناظريها في المكتب. كل شيء في مكانه كالعادة: مفتاح التشغيل الصغير والمرجاس الذي حمل لها كل الأحاديث اللطيفة، لكنها لم تستوعب حتى هذه اللحظة أن C الذي عرفته لم يعد موجودا.

الفصل السابع

إلى اللقاء

عادت ناتي إلى البنسيون تلك الليلة بوجه حزين. ما إن شاهدتها الآنسة كلينج حتى أدركت أن في الأمر شيء. دفعها الفضول لتقصي سبب هذا الأسى وأحست حياله بالارتياح فمثلها يفرح برؤية الشجن والكرب على وجوه الناس. لسان حالها يقول: لماذا يسعد الآخرون بينما أغتم أنا لعدم تمكني من العثور على شريك حياتي؟ ما إن ولجت ناتي في حجرتها حتى أخرجت صورة الإسكتش التي حفظتها بعناية في درج المكتب ثم قامت بتمزيقها إلى أجزاء صغيرة، خاصة تلك القطعة التي حملت صورة كيوبيد. أحرقت ما تبقي من الأجزاء وعنفت نفسها قائلة:

- من الآن لن أتساهل في الحديث مطلقا مع أحد قبل أن أعرف كل شيء عنه. كم ضلل الخيال وكم أهلك!

بعد أن أبادت الجانب المصور من قصة غرامها أحست ناتي برغبتها في رفع هذا العبء عن عقلها. أرادت أن تُخرج ما في صدرها من هم ففكرت في سيّن. خمنت الآنسة كلينج وجهة ناتي فحاولت إثناءها عن هذا الأمر. أدركت أن الإنسان في وقت محنته وضعفه ينشد صدرا حنونا يبكي عليه ويبث إليه شكواه وأحزانه، لكنها استكثرت أن يكون شخصا غيرها.

وجدت ناتي صديقتها في غرفتها، لكنها فوجئت بوجود كويمبي معها. ذهب الأخير إليها ليستقي أي معلومات عن نوازع ناتي بعد أن بعثرت كرامته على

حد قوله. ما إن رآها حتى تشوش عقله وتخبطت ركبتاه حين تذكر لقاءهما الأخير وملابساته الاستثنائية التي يصعب التعبير عنها، لكن ناتي لم تكن في حال يسمح لها بتذكر أي شيء فقد محت تجربتها الأخيرة ما عداها. ألقت عليه تحية المساء دون خجل أو إحراج فأصابه تصرفها ببعض الذهول وأشعره بالزهو. ولشغفها بإخبار سيّن بما جرى ولأن كويمي لم يتزحزح خارجا ولإثبات أنه لا يعني الكثير بالنسبة لها فقد تجاهلت ناتي وجوده قائلة:

- *حدث ما لا يمكن فهمه أو تصديقه يا سيّن!*

ارتعد كويمي واحمر وجهه سائلا نفسه: هل يمكن أن تسرد ما حدث بينهما مساء البارحة؟ علقت سيّن:

- *أدركت هذا لحظة دخولك علينا. ما الخطب؟ تبدين في أمر جلل!*

صاحت ناتي وفي حلقها غصة:

- *آه يا سيّن! زارني C اليوم!*

انتفض كويمي ثم تيبست مفاصله. سألت سيّن بشغف:

- *هل هذا معقول؟ زارك شخصيا؟*

تفرست في وجه ناتي ثم واصلت بنبرة مختلفة:

- *جاء عكس توقعاتك... فهمت الآن... أيتها المسكينة!*

انتصب كويمي بعد أن رأي شعاع من الأمل في نهاية النفق. علقت ناتي في نبرة امتزج فيها الأسى والامتعاض وخيبة الأمل:

- *مختلف تماما، بل مريعا يا سيّن! شعر أحمر ودهان سميك القوام ورائحة مسك نفاذة وحُلي مقلد ووقاحة مفرطة... لماذا لم يبق متواريا عن الأنظار؟*

أحس كويمبي بالروح تدب فيه من جديد. أدار وجهه نحو النافذة المقابلة فرأى انعكاس وجهه في الزجاج مشرق وضاء. فزعت سيّن قائلة:

- آه يا عزيزتي! ألهذا الحد؟ لقد بدا لطيفا عبر التلغراف. من الصعب تصديق هذا الأمر. هل أنت متأكدة أنه C؟

أجابت ناتي بأسى:

- لا يمكنني أنا أيضا تصديق ذلك، لكن هذه هي حقيقة.

روت ناتي التفاصيل المنفرة للقاء على مسامع سيّن التي شعرت بالغيظ والأسف لأنها أيضا كانت مهتمة بـ C، أما كويمبي فقد فشل في إخفاء فرحته بسقوط حظوة هذا الشخص من عينيهما بعد أن عده ند عتيد. سلمت سيّن بأن الزائر الكريه كان C وقالت في نبرة ضيق وانزعاج:

- لا يجدي الحديث عن قصص الغرام في واقع الحياة! إنه لأمر جميل أن نقرأ عنها أو نشخصها على خشبة المسرح، لكنها صعبة المنال في حياتنا الحقيقية.

استأنفت حديثها في نبرة من المواساة:

- حسن يا عزيزتي! إن كشف الحقيقة الآن أفضل من الاستمرار في الحديث مع شخص غير مرغوب فيه.

هزت ناتي كتفيها مستشهدة بالحكمة التي تقول:

- عندما يكون الجهل نعمة فمن الحمق أن نسعى للمعرفة، لكن... ليس هناك أسوء مما رأيت، لذا فأنا ممتنة لمعرفتي الحقيقة الآن.

بعد أن فضحته تعبيراته حاول كويمبي أن يبطن انتصاره قائلا:

- *أرجو المعذرة، لكن أحسبك تتذكرين تحذيري لك من مغبة هذا الأمر آنفا.*

لم تسعد ناتي بمحاولة كويمبي إظهار فطنته فأجابت بإيجاز:

- *على أي حال لقد لعب الحظ دورا في هذه القصة، وقد وضعت الصدفة في طريقي حثالة من يعملون في حقل التلغراف. هذا كل ما في الأمر.*

سألت سيّن:

- *هل شعر بالانطباع السيئ الذي تولد لديك؟*

أجابت ناتي:

- *لا بالطبع. يا له من شخص أعمى ومبتذل وجاهل ومغرور! لقد توهم أنه خلب عقلي... ليس لدي شك في هذا!*

استفسرت سيّن:

- *إذن كيف ستتصرفين حين يحاول مواصلة الحديث معك عبر الآلة؟*

تنهدت ناتي قائلة:

- *لا مناص من اختلاق الأعذار حتى يفهم. آه يا عزيزتي! هيهات أن أجد الراحة في هذا العالم!*

ردت سيّن بأسلوبها المشجع:

- *يا إلهي! لا... هذا ليس حقيقيا. لا ينبغي أن نقلق ونتأزم بسبب أمور ليس لنا ناقة ولا جمل فيها. أنا محبطة مثلك بسبب تداعي هذه العلاقة المثيرة، لكن الستار قد أُرخي على الفصل الأخير المخجل من هذه المسرحية القصيرة. إنه الوداع إذن ونهاية مغامرة عبر الورق وحسب!*

في غضون حديث سيّن ارتفعت عقيرة چو نورتون عبر الردهة صادحا بمقطع من أغنية هزلية مشهورة قبل أن يدخل عليهم. تم سرد الموضوع عليه من البداية، لكنه بدلا من إبداء التعاطف مع ناتي. التزم الجد معلقا:

- *ليكن هذا درس لك أيتها الشابة! انتبهي لعملك ودع الغرام وشأنه!*

تدخلت سيّن:

- *كما تفعل أنت!*

- *نعم كما أفعل ولذا أسعد! الحق أقول لكم: الغرام والحب والعاطفة وكل هذا الهراء وراء ثلثي مآسي العالم!*

بالرغم من هذا القول الذي قد يبدو حكيما وبالرغم من حقيقة نزول الستار على حد قول سيّن فقد تلقت ناتي تحيتها المعهودة حين دخلت مكتبها صباح اليوم التالي وكأن شيء لم يحدث بالأمس:

- Bm... Bm... Bm *أين فتاتي الصغيرة لتبادلني تحية الصباح؟*

انطلقت بحركة عفوية نحو مفتاح التشغيل لترد عليه كعادتها معه. أعادها صوت الواقع إلى رشدها في الوقت المناسب. بضغطة مهزوزة على المفتاح أجابت:

- *صباح الخير! انتظر، أنا مشغولة!*

لاذ C بالصمت. حدثت ناتي نفسها:

- *هذه هي البداية... بداية الكذب الذي سيستمر حتى تصله رسالتي! قد ألجأ إلى الشجار، لكنه قد يصمم على استمرار الاتصال. يا إلهي! يمكنني تحمل*

أسنانه المتنافرة وشعره الأحمر، لكن لا أطيق وقاحته وزيت شعره المستخلص من دهن الدب. لقد انتهى كل شيء الآن!

أطلقت زفرة أسى لا تُنبأ بأنها استفادت كثيرا من نصائح چو عن التماسك، أو وجدت في كلامه عزاءا. صحيح، لا يتعلم الإنسان درسا من تجاربه إلا بعد أن يتغلب على مرارتها. كانت ناتي مُبختة لأن الشبكة ظلت مشغولة طيلة الصباح. اتصل C في اللحظات التي انفتح فيها الخط أمامه، لكنه استقبل رجع الصدى. بعد تناولها وجبة الغذاء وإيابها إلى المكتب استلمت ناتي رسالة وما إن همت بغلق الخط حتى دخل C قائلا:

- *أين كنت طوال اليوم؟ ألست سعيدة بعودة اتصالاتنا، أم تراك نسيت C بهذه السرعة؟!*

لم تستطع ناتي تجنب الرد هذه المرة فأجابت بكلمات مغايرة للحقيقة:

- *كنت مشغولة. انتظر من فضلك. لدي عميل.*

أجاب C بحدة:

- *لا حيلة لدي... ما هذا الحظ اللعين!*

سببت كلماته الامتعاض لناتي فرفعت أنفها في ازدراء ولم تنطق ببنت شفة. في هذا اليوم ارتكبت أكبر عدد من الأخطاء في تاريخ عملها بالتلغراف نتيجة عبوسها وخوفها وتوترها من اتصالاته... أخطاء ساذجة في تشفير الكلمات وترقيم الرسائل وكتابة البرقيات وقطع الاتصال مما سبب إزعاجا ونكدا للأطراف الأخرى على الخط، وحتى العملاء تأثروا سلبا فقد استلمت سيدة برقية واردة عن طريق مكتبها وبذلت مجهودا كبيرا لتتمكن من قراءة الخط وتفسير الحروف

وتحديد اسم المرسل الذي أخبرها أنه سيكون معها الليلة وتبين في النهاية أنه زوجها. استقر لديها أن C هو سبب كل المشاكل التي واجهتها، ومما زاد الطين بلة اكتشافها- حين راحت تعد النقود- عجز في حصيلة اليوم يُقدر بدولار. على أي حال فقد أفلحت بأعذار متفاوتة في تجنب الحديث معه حتى الساعات الأخيرة من العمل التي يخف فيها عادة الضغط على الشبكة. اتصل C مرة ومرات في حدة وإصرار مستجديا الرد بعبارات من على شاكلة:

- أجيبي من فضلك يا N! أين أنت؟ لماذا تتصرفين على هذا النحو مع شخص يحمل لك المعزة وتعرفين قدرك عنده؟

تحت وطأة إصراره على الاتصال، نهضت ناتي في جزع وأجابت باقتضاب:

- *Bm!*

فكرت ناتي بصوت عال:

- هل أُلمح أم أصرح له بكلمات ليس بها لبس أن نفسي عافت منظره واشمأزت من تصرفاته، لذا قررت إنهاء علاقتنا عند هذا الحد؟... لكنه طلب عدم التطرق بالذكر لزيارته على الشبكة.

أجاب في التو:

- أيتها الفتاة الشقية! أين كنت طيلة اليوم؟

لمست هذه الكلمات أوتار قلبها. أكمل C:

- ما هذه المعاملة؟ لقد توقعت أنك ستسرين لهذا العود الحميد؟

علقت ناتي بعفوية واقتضاب:

– *كنت مشغولة.*

– *هكذا جاءت إجابتك كل مرة.*

تابع C:

– *ما الأمر؟ هذه أول مرة تنشغلين عني طيلة الوقت؟! هل يعقل ذلك؟*

عاد الإحباط لناتي التي خاطبت نفسها قائلة:

– *يا له من إنسان مختلف عبر التلغراف عن صورته الحقيقية!*

أجابته:

– *هناك دائما المرة الأولى لكل شيء، زد على ذلك أني لم أشعر برغبة في الكلام اليوم.*

سأل C:

– *معي؟*

أجابت بشكل محدد:

– *كلا.*

صمت C لفترة ثم عاد قائلا:

– *لا أفهم. هل صدر مني $ شيء سبب لك الضيق أو الإهانة؟*

تحرك لسانها بحروف صامتة:

– *نعم. أزعجتني وآذيتني بهيئتك.*

أجابته ملتزمة بأصول اللياقة والأدب:

– *لا بالتأكيد!*

واصل C:

- *أغاضبة أنت مما حدث بالأمس؟*

كررت ناتي:

- *لا بالتأكيد!*

حدثت نفسها:

- *لديك إحساس بأنك لم ترق لي، أليس كذلك؟*

تابع C:

- *هل صدر مني شيء؟ أخبريني... لست أدري ما هو؟! أؤكد لك... سامحيني... لماذا أنت غاضبة؟*

وجدت ناتي فرصة سانحة لاختلاق العراك فتشبثت بها:

- *لا أعرف ماذا تعني بـ "غاضبة" وليس لك الحق في نعتي على هذا النحو. لست مجبرة ولا مضطرة للتحدث مع شخص إلا إذا شعرت بالرغبة في ذلك. حالتي المزاجية غير مواتية ولا تسمح بالكلام اليوم، وعندما يتغير الأمر سوف أخبرك.*

جاءت إجابة C على الفور:

- *حسن جدا! سوف أنتظر.*

عنف نفسه بلا شك ولزم الصمت، أما ناتي فقد أطرقت مفكرة:

- *كنت أرغب أن تحدث المكاشفة بالتدريج، لكن هاهو الأمر قد حُسم.*

أطلقت زفرة تحمل الارتياح والأسى. لا يمكنها الإنكار أنها فقدت مع C جزءا من متعة العمل. خلال الأسبوع التالي حافظ C على كلمته ولم يخرج عن صمته وظل هناك منتظرا، أما ناتي فقد افتقدت رفقته ورومانسيته وحديثه المبهج

الذي ساعدها آنفا على تحمل المضايقات المستمرة. مرت الأيام ثقيلة واحتارت في ملأ أوقات الفراغ الكبيرة وعانت أيما معاناة في محبسها بالمكتب الأمر الذي أرهق أعصابها. نفد صبرها وأجابت باقتضاب شديد على أسئلة العملاء غير الضرورية مما أشعرهم بالإهانة، ولولا وجود سيّن التي ترددت على المكتب متجاوزة لافتة "ممنوع الدخول" وجالبة معها أجواءا مشرقة لغاصت ناتي في مستنقع الكآبة والسأم. بالطبع سبب التوقف المفاجئ للعلاقة بين C و N دهشة عمال التلغراف وغدت موضوعا لتعليقاتهم الظريفة خاصة Em، على أن هذه التعليقات الساخرة أخذت في التلاشي تدريجيا. بعد قرابة أسبوعين من الفراق فوجئت ناتي بالنداء القديم Xn---Bm, Bm, Bm. دار بخلدها سؤال: هل مل الانتظار فسعى إلى العودة لسالف عهدهما. تبين لها أنها برقية وأن الأمر لا يخرج عن نطاق العمل. بعد أن أبرقت إليه مفيدة بتمام استلام النص، أرسل إليها هذه الكلمات:

- *ألا ترغبين في التصالح يا N؟*

أجابت:

- *ليس هناك ما أتصالح بشأنه.*

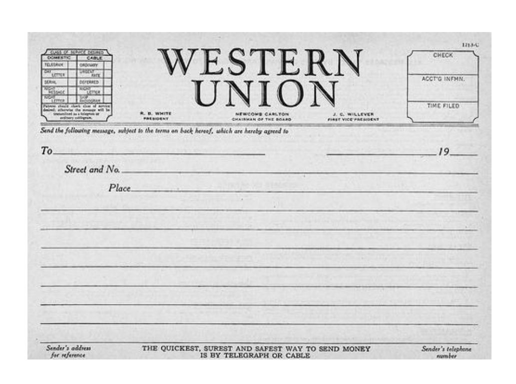
رد عليها:

- *حسن!*

توقف عن الكلام وأغلق الخط الأمر الذي أراح ناتي، بيد أنه في مساء السبت التالي وقبيل وقت الإغلاق، وبينما كانت تجلب من أحد الرفوف بعض

الأحبار ودفاتر تدوين الرسائل والأقلام الرديئة التي طالما أثارت غضب الزبائن

اتصل C مرة أخرى آملا ألا يكون قد سبب إزعاجا:



1213-C

CLASS OF SERVICE DESIRED

DOMESTIC	CABLE
TELEGRAM	ORDINARY
DAY LETTER	URGENT RATE
SERIAL	DEFERRED
NIGHT MESSAGE	NIGHT LETTER
NIGHT LETTER	SHIP RADIOGRAM

WESTERN UNION

R. B. WHITE, PRESIDENT — NEWCOMB CARLTON, CHAIRMAN OF THE BOARD — J. C. WILLEVER, FIRST VICE-PRESIDENT

CHECK

ACCT'G INFMN.

TIME FILED

Send the following message, subject to the terms on back hereof, which are hereby agreed to

To ____________ ____________ *19*____

Street and No. ____________

Place ____________

Sender's address for reference

THE QUICKEST, SUREST AND SAFEST WAY TO SEND MONEY IS BY TELEGRAPH OR CABLE

Sender's telephone number

– *بالرغم من البرود في علاقتنا والذي لا أجد له تفسيرا...*

فجأة اقتحم عامل تشغيل لديه رسالة ملحة. أطرقت ناتي في فضول:

– *ما الذي يحاول قوله؟ لقد بدأ بكلمات مقبولة.*

لوت شفتيها مكملة:

– *أظن أنه استعارها من أحد الكتب.*

بمجرد أن انفتح خط الاتصال بعثت له قائلة:

– *إلى C. انطلق... آخر كلمة وصلتني "تفسيرا".*

أكمل C قائلا:

– *لم أستطع المغادرة الليلة دون توديع ذكرى الأيام الخوالي.*

سألت ناتي في دهشة:

– *تعني أنك راحل بصفة نهائية؟*

- نعم. هذا يومي الأخير هنا. أترك البلدة يوم الاثنين في ندم وحسرة على ما أصاب علاقتنا مؤخرا من خلل. على أي حال لن أقول "الوداع" ولكن "إلى لقاء"؟

ردت ناتي:

- مع السلامة.

نسيت للحظة كل شيء عدا C الذي أفعم حياتها وأحاط نفسه بغموض رومانسي. أردفت:

- مع السلامة. صدقني... سوف أتذكر دوما أحاديثنا الممتعة.

- يمكن لها أن تستمر إذا أردت.

هكذا جاء رد C مانحا إياها فرصة لتفسير ما جرى أو التعبير عن رغبتها، لكن ناتي التي تذكرت زيت الشعر المستخلص من دهن الدب والمسك النفاذ وفصوص المجوهرات المزيفة وهيئته المزرية أنهت الحديث مرددة:

- مع السلامة.

الفصل الثامن

الوليمة

دفع النكد ناتي مؤخرا إلى الوقوع غير مرة في دوامة التفكير في غرائب الحياة وعجائبها، تلك التي تصيب عقولنا بالحيرة وتسبب لها التشويش. ذات يوم بعد فترة ليست طويلة على خروج C من حياتها للأبد انتبهت من شرودها ومزاجها العكر على عينين ضاحكتين ونظرات متفحصة. كانت العينان لشاب وسيم بدا محجما عن تحويل نظره عنها الأمر الذي أغضبها وجعل وجهها يتورد خجلا. قالت ساخطة في سرها:

- *لست لوحة!!*

نهضت ناتي بحركات مهيبة وتقدمت سائلة باقتضاب:

- *هل ترغب في إرسال برقية يا سيدي؟*

تردد الشاب وبدا عليه بعض الحرج، لكنه أطلق العنان لعينيه متفرسا في محياها. أجاب مستغرقا أطول وقت ممكن في إخراج الألفاظ:

- *أريد فقط أن أسأل عن تعريفة الإرسال لواشنطن؟*

أجابت ناتي بإيجاز:

- *أربعون سنت.*

علق بعد مرور عدة لحظات:

- *شكرا لك.*

لم يحرك ساكنا وبدا تواقا إلى استكمال الحوار معها فابتسم قائلا:

- لا أعتقد أني سأبعث بالبرقية اليوم، وشاكر لتعبك على أي حال.

أمضت ناتي يوما من الشجار مع كائنات خفية عبر شبكة التلغراف وأخيرا وجدت شخصا ماثلا أمامها فراحت تُخرج ما في صدرها من حنق عليه. أظهر الشاب رغبة جلية في التمادي في الحديث مما أثار ضيقها. ردت عليه بجفاء قائلة قبل أن تعطيه ظهرها في إشارة إلى ضرورة رحيله:

- هذا أمر لا يعنيني.

التفت نحو الطريق الذي أتى منه. انفرجت شفتاه مبتسما. كاد أن يتفوه بأمر ما، لكنه أحجم وذهب في النهاية إلى حال سبيله. نظرت إليه ناتي بطرف عينيها وشاهدته ينظر خلفه حين هم بفتح الباب. اعتراها شعور بالندم. ربما كانت قليلة الذوق معه وربما لم يستحق هذه المعاملة. لقد بدا وسيما حقا، لكن ما حدث حدث وانتهى الأمر. لم تتوقع رؤيته ثانية فطردت الموضوع من تفكيرها.

صارت الأمسيات التي تقضيها مع سيّن بشكل أساسي أمتع ما في حياتها. في الحقيقة لقد كانت سيّن كالمغناطيس الذي يستقطب إليه أطياف شتى: سيليستي فيشبليت التي بدت مصممة على إقحام نفسها في هذه العلاقة وكويمبي الذي لم تحتل سيّن بؤرة اهتمامه وچو نورتون الذي ما نفتأ يردد أنه يعيش بمنأى عن الغرام، ولولا ذلك لخالج المحيطون به إحساس بأنه على وشك الوقوع في حب سيّن التي ينجذب إلى صحبتها بشكل عجيب. حين أخبرت ناتي سيّن بحكايتها العابرة مع هذا الشاب علقت الأخيرة قائلة:

– جانبك الصواب يا عزيزتي. هل تدركين هذه الحالة العصبية المريعة التي تملكتك منذ تكشفت لك شخصية C؟

احمر وجه ناتي قليلا وهي تجيبها في نبرة من عدم الرضا:

– يا إلهي، ليس لهذا الموضوع دخل. أؤكد لك يا سيّن. الأمر متعلق بطموحي الذي أهملته قليلا في غضون اهتمامي بـ C. والآن لا يمكنني أن أكتفي بوتيرة العمل اليومي فقط.

سألتها سيّن بنظرة متمعنة:

– ما الذي يُرضي غرورك ويحقق طموحك: المال أم ماذا؟

حملت إجابة ناتي قدر من الاستخفاف بأهمية هذا الشيء الذي لا غنى عنه في حياتنا والذي يجعلها أكثر راحة:

– لا! ليس المال. أحلم بالشهرة وأتوق لأن أصبح كاتبة، لكن عندما أستشعر العوائق في طريقي أفقد الأمل وأحس بالخوف. لدي طاقة حقيقية، لكن أخشى أنها تزيد وتنقص وتأتي وترحل ولا تستقر على حال.

ردت سيّن بجد غير مسبوق:

– إن طموحك كبير جدا حتى أنه خلق منك شخصية صعبة الإرضاء وجعلك تشعرين بأنك عديمة النفع. ما ينقصك هو محفز للطاقة وإلا تسربت وضاعت في أحلام خاملة. ربما كان الحب هو القوة المحفزة لهذه الطاقة، وربما كان الإحباط الشديد.

قبل أن تُنهى سيّن كلماتها خيم غيم على وجهها المشرق وسادت برهة من الصمت قلبت خلالها ناتي هذه الكلمات في عقلها. تابعت سيّن:

– لكن في غضون ذلك وبما أنه ليس بمقدورك أن تحققي شيئا الآن فلم لا تستمتعين بحياتك على الحال التي هي عليه حتى إذا طرقت الفرصة بابك وأمسكت بتلابيبها لا تُضطري حينها للنظر إلى الوراء، لتلك السنين التي ضاعت هباءا منثورا في انتظار المفقود. هذه هي فلسفتي فأنا أيضا لدي قناعاتي وطموحاتي.

ابتسمت ناتي معقبة:

– فلسفة مشجعة، هذا أقل ما توصف به، لكن مشكلة الطامحين من البشر أنهم لا يأخذون الحياة ببساطة.

أكملت بخفة ظل:

– على أي حال ليست هذه كل متاعبي فأنا جائعة ولا أجد شيئا طيبا لتناوله!

قالت سيّن متصنعة الجد:

– أيتها الطفلة المسكينة! ها أنت تقلبين الجد هذرا. حسن! يا تُرى ما سبب هذه الحالة التي يُرثي لها؟

– سئمت طعام "البنسيونات" والمطاعم. لا يقدمون في الأولى ما يشتهي المرء... ويا لفظاعة شرائح اللحم لديهم! في الثانية يتحتم عليك اختيار الأطباق الرخيصة وإلا تلفت ميزانيتك من وجبة واحدة.

ضحكت سيّن قائلة:

– أتفهم شعورك. أؤكد لك ذلك... من واقع تجاربي السيئة... أنا أيضا أشتهي بشدة شريحة طيبة من لحم الخاصرة.

عنّ لها فكرة طارئة:

– *اسمعي يا ناتي! سوف نُعد وليمة صغيرة!*

لم تفهم ناتي تماما فسألت:

– *وليمة؟*

– *نعم. لدي موقد غاز. يجب أن نتناقل ذلك بصوت خفيض حتى لا تسمع السيدة سيمونسون فهي لا تتورع في إرسال "فاتورة" غاز باهظة إذا علمت بهذا الأمر! استخدم هذا الموقد أحيانا لإعداد العشاء عندما لا أشعر بالرغبة في الخروج... لم لا نقيم مأدبة يوما ما، فنطهي شرائح اللحم ونصنع كعكة الفاكهة "شارلوت روسي"[١٢] ونعد كل ما نشتهيه، وتضطلعين أنت بدور مساعدة الطاهية؟!*

صاحت ناتي في سرور:

– *سيكون هذا رائعا! لكن يجب أن يتم ذلك يوم أحد فهو عطلتي كما تعلمين.*

علقت ناتي بنبرة مرحة:

– *هذا أفضل حتى نكون أقل عرضة للتطفل. ليكن ذلك الأسبوع القادم. تذكري أنه يجب ألا تعلم السيدة سيمونسون بهذا الأمر. على أي حال، أسدد لها إيجارا كبيرا في الوقت الحالي... ما أخشاه هو مشكلة صغيرة تتعلق بالصحون. لدي البعض منها، لكنها ليست صينيا حقيقيا ولا أحسبها لائقة، ثم...*

---

[١٢] Charlotte Russes حلوى اخترعتها الطاهية الفرنسية ماري أنطوان كاريمي Marie Antoine Careme "1784-1833". (المترجم)

قاطعتها ناتي:

– *لا عليك! أي منها يؤدي الغرض! لدي قدحا مشروخا وملعقة. ربما كان لهما نفعا.*

وافقت الفتاتان على استخدام الصحون الموجودة وأوصدتا الباب عليهما حين حل الأحد الموعود وشرعتا في إعداد المائدة الاستثنائية كما لقبتها سيّن. ربطت ناتي شعرها بمنديل أزرق وشمرت سيّن عن ساعديها مستخدمة تنورة بالية كمريول طهي. قالت ناتي بسعادة وهي تجرد الخامات وتحسب المكونات:

– *دعينا نرى... رطلان من شرائح لحم الخاصرة ينتظران هناك على المقعد الهزاز ليُدخلا البهجة إلى قلبينا، البطاطس أسفل المائدة والطماطم والشطيرتين على صندوق الملابس وكعكة الفاكهة اللذيذة. أين هي؟... آه! هاهي على حافظة القلنسوات في صحن كنا نستخدمه في لعب الورق، وهاهو السكر والزبد...الخ... أصناف كثيرة هنا وهناك: التين والبرتقال، لكن أين الخبز المُعد في المنزل؟ أراه هناك على كتاب "دومبي وابنه".*[13]

ضحكت سيّن بينما راحت تقشر الطماطم:

– *لا يوجد ثمة تشابه بين صحنين! أخشى أننا سنُضطر لاستخدام الأقداح كأكواب، كما ينبغي أن نجد وظيفة لقدحك هذا المشروخ... آسفة، هذا القدر قديم، لكنه أفضل ما لدي!*

عقبت ناتي وهي تشرف على طهي شرائح اللحم بحب وشوق شديدين:

---

[13] Dombey and Son قصة للكاتب الإنجليزي شارلز ديكنز نُشرت عام1846. (المترجم)

- سنسلق فيه البطاطس أولا ونتركها تبرد ثم نعد فيه حساء الطماطم. ألا يجدر بنا فعل ذلك؟

- لا أعتقد... هل لديك غضاضة في إعداد القهوة باستخدام علبة الصفيح تلك؟ كانت تحوي خوخا محفوظا.

ردت ناتي وهي تقطع شرائح اللحم بسكين ثلم دون مقبض:

- كلا، سيكون لها نفس المذاق عند صبها.

قالت سيّن وهي تضع البطاطس:

- كان لدي وعاء للقهوة، لكن النار التهمت تجويف الصب ونسيت ابتياع آخر وأنا أتسوق بالأمس.

علقت ناتي وهي ترفع الكتب عن الطاولة غير المتزنة وتفرش ثلاثة مناشف عليها عوضا عن مفرش المائدة:

- سندعو هذا الاختراع إبريق القهوة. ألا توحي الكلمة بالارستقراطية؟... لكن أين نضع الشطائر؟

أجابت سيّن في الحال:

- يوجد غطاءان خشبيان في الخزانة... اخلعيهما... بالضبط... انظري... يوجد مساحة بهما لعلبة القهوة... عذرا لقد استخدمت اللفظة العامية، أقصد الإبريق.

استفسرت ناتي بقلق كبير:

- وحساء الطماطم! أين نضعه؟

دارت عينا سيّن في الغرفة. رفضت الهزيمة فاقترحت:

– *ماعون غسل اليد!*

ضحكت ناتي معلقة:

– *ألا ترين أنه كبير جدا، ناهيك عن أنه يوحي بأمور أخرى.*

لم تعقب سيّن واكتفت بهز رأسها. صاحت ناتي:

– *وجدتها. لدي طبق فاكهة في غرفتي.*

قاطعتها سيّن في حماس:

– *هذا هو المطلوب! راقبي ما على الموقد وسأهرول أنا لإحضاره.*

قالت ناتي:

– *احترسي من الآنسة كلينج. إذا لمحتك تغادرين بطبق الفاكهة فلن يهدأ لها بال حتى تكتشف السر.*

عقبت سيّن:

– *اعتمدي عليّ في السرعة والسرية. إذا رأتني فسوف أحاول تضليلها بأي شيء.*

لحسن حظهما كانت الآنسة كلينج تأخذ قيلولتها، تحلم ربما بوالد سيليستي الذي تلقبه سيّن بـ "الطوربيد" [١٤]. تناولت الطبق ونجحت في الوصول إلى باب غرفتها ثانية دون أن يراها أحد عدا قطة السيدة سيمونسون "الدوقة"، وما كادت تهنئ نفسها بالنجاح حتى انشقت الأرض عن شبح كويمبي. تمتمت سيّن بكلام غير مفهوم عن البرتقال. أخفت وعاء الحساء وحاولت قدر المستطاع أن يبدو طبق الفاكهة أصغر من حجمه، وياليتها جنبت نفسها هذه المتاعب

---

[١٤] في العامية الأمريكية تشير كلمة "طوربيد" إلى شخص عنيف لديه نزعة لمهاجمة الآخرين.

فمعروف عن كويمي أنه أكثر الناس غفلة لأنه مشغول دوما بأموره الخاصة ومن ثم لا يمكنه ملاحظة حتى طبق فنجان القهوة. نظر إليها قائلا بحمية وحماس:

- *آه! المعذرة! قصدت غرفتك في طلب أرجو ألا يكون فيه شطط... معي صديق غريب لا يعرف أحد هنا، ولدي يقين أنكما ستتصادقان في التو إذا قمت بإحضاره إلى غرفتك.*

- *أجل... بالتأكيد.*

هكذا جاء رد سيّن. لم تنتبه كثيرا لكلامه لأنها كانت متلهفة للعودة إلى غرفتها خاصة بعد أن وصلت إلى أنفها رائحة شرائح اللحم الزكية. انحني كويمي قائلا في امتنان:

- *شكرا لك! لا يوجد من يفهمني مثلك!*

لم تعلق سيّن. حين عادت إلى غرفتها سألتها ناتي وقد احمر خداها واستقرت لطخة من الهباب على أنفها:

- *ما كل هذا الوقت! هل رأيت أحدا؟*

أجابت سيّن وهي تُخرج طبق الفاكهة ومعه الصبانة:

- *لا أحد سوى كويمي. استوقفني في الطريق. طلب الإذن بالزيارة مساء يوم ما بصحبة صديق له.*

نظرت ناتي إلى طبق الفاكهة في ذهول قائلة:

- *يا إلهي! إنه كبير جدا، أليس كذلك؟... لكن لم أحضرتي الصبانة؟*

ضحكت سيّن:

- *ربما يكون لها فائدة... من يدري؟ يمكننا غرف البطاطس بها.*

تابعت في دهشة:

- *هاهي الدوقة!*

جلست القطة الذكية بالقرب من النافذة. أخذت تغمز وترمش في تصميم واضح على المشاركة في الوليمة. علقت ناتي محاولة مضايقة سيّن:

- *أظنها جاءت متخفية في طبق الفاكهة.*

تناولت سيّن شوكة الطعام مهددة إياها:

- *كلمة أخرى وتحرمين من شرائح اللحم!*

أكملت كما لو أنها تمثل دورا في مأساة:

- *ثم يكون مصيرك السجن.*

أصغت إلى صوت طشطشة شرائح اللحم واشتمت رائحتها التي تسيل لعاب الفم وتحفز الشهية ثم تابعت:

- *قطة نادرة! أثارت الرائحة فضولها. سنطعمها بواقي الطعام. والآن أعدي المائدة من فضلك فالوليمة جاهزة!*

تبين أن إعداد المائدة أمرا ليس سهلا كما يترائى للبعض. احتل الغطاءان الخشبيان مساحة كبيرة وكذا طبق الفاكهة. كانت الصحون والأدوات متباينة الحجم، لذا تعين توخي الحرص الشديد. تعجلت ناتي لرؤية الشكل النهائي فتعثرت في طبق البطاطس الذي وضُع على الأرض، لكن لحسن الحظ لم تحدث تلفيات. صاحت قائلة:

- *سأقوم بملأ كيس السكر.*

علقت سيّن في نبرة فلسفية:

- تقصدين السكرية؟ آه! حسن! إن الإثارة تُفقدنا التمييز بين الأشياء، لكن يا عزيزتي ناتي أين أضع شرائح اللحم. لقد ضاقت المساحة بسبب طبق الفاكهة الذي قمت بوضعه في منتصف المائدة؟

أجابت ناتي في حدة:

- حاولت بشتى السبل. سنُضطر لوضعه على الأرض إذن.

أضافت على عجل حين رأت سيّن تحاول نقله نحو الحافة قليلا:

- انتبهي! سيطيح بالمائدة. حاولت فعل ذلك من قبل.

وقفت سيّن وفي يدها صحن يحتوي على شرائح اللحم وفي الأخرى طبق الفاكهة الضخم:

- يتعين علينا إذن إطالة المائدة. ضعي المكتب وافرشي منشفة فوقه، وهكذا نحل المعضلة.

صاحت ناتي وقد أفزعها تكدس الطعام:

- لكن ما كل هذا الأكل: رطلان من شرائح اللحم وعشر قطع كبيرة من البطاطس وكيلو طماطم واثني عشر برتقالة وقفص تين... يا إلهي!! كل هذا الطعام من أجل شخصين فقط!

تفقدت سيّن الصحون فتهيبت المشهد ثم أقرت قائلة:

- إنها كمية كبيرة فعلا. تدرين... لست معتادة على شراء الطعام لأكثر من شخص. خشيت أن تكون الكمية قليلة، لكن...

ابتهجت قليلا:

- *نحن ثلاثة. لا تنسي الدوقة.*

نظرت ناتي إلى القطة التي بادلتها نظرات تسليم بما قالت سيّن. راحت تقرقر في امتنان فالفرق واضح بين شرائح لحم الخاصرة وطعامها المعتاد. استعادت ناتي رباطة جأشها ومسحت لطخة الهباب من على أنفها قائلة:

- *الحقيقة لقد نسيتها تماما!*

صاحت سيّن مشمرة عن ساعديها:

- *إذن لنبدأ الاحتفال في الحال!*

استوقفتهما مشكلة أخرى فالمقاعد كانت منخفضة الأمر الذي لا يحقق الاستمتاع المنشود بالوليمة المعتبرة، لكن تغلبتا على هذه المعضلة عن طريق وضع بعض الكتب على أحد المقاعد وكذا موائمة مقعد البيانو. استقبلت الفتاتان المقعدين بإحساس المنتصر وتهللت أسارير ناتي فصاحت:

- *والآن إلى الوليمة.*

لوحت بالسكين الكبير والشوكة الصغيرة بينما راحت سيّن تصب القهوة من الإبريق في صعوبة وبحذر شديد، وأما الدوقة فقد ظلت تراقب المشهد في ترقب وتطلع. كاد المراد أن يتحقق حين صعق آذانهم صوت مخيف، طرق الباب! سقطت السكين والشوكة من يدي ناتي. كاد إبريق القهوة يقع أيضا من يد سيّن. انتصبت الدوقة في فزع. حدقت الفتاتان اللتان كادتا تبدأن فصلا من الانطلاق والعربدة والقطة التي أصابها الجزع في بعضهم البعض.

الفصل التاسع

زيارة غير متوقعة

تمتمت ناتي:

– *أعتقد أنها الآنسة كلينج. لم تستطع مقاومة فضولها.*

همست سيّن:

– *لا أعتقد، فالقادم يطرق الباب على استحياء. يا إلهي! أخشى أن تكون السيدة سيمونسون. قفي يا ناتي أمام الموقد لإخفائه وسأفتح أنا الباب. سأختلق الأعذار ولن أسمح لأحد بالدخول.*

عقب إصدارها هذه التوجيهات فتحت سيّن الباب هنيهة، وقبل أن تهم بالكلام فوجئت بالباب يدفعها للخلف حتى كاد أن يصدمها، واندفع من وراءه كويمبي إلى الداخل. لو توقف الأمر على كويمبي وحده لهان، فما أسهل التخلص منه، لكن دخل في إثره شاب فارع الطول، حسن الطلعة. ابتسم كويمبي وسط هذه الحالة من القلق والتوتر مرسلا كلاما مبهما:

– *أرأيت؟ لقد حافظت على كلمتي.*

ما إن شاهد الوليمة حتى بدا الارتباك على وجهه. حدق في ناتي التي ذابت خجلا وسيّن التي تسمرت خلف الباب، كما حملق في منتصف الأرضية حيث احتل أحد الأواني مكانا بارزا وقد زُخرف بشرائح البطاطس. توقف مرافقه وقد داعبت عينيه البنيتين ابتسامة. نظر إلى ناتي في دهشة وحبور، متجاهلا ما دونها في الغرفة. وقفت سيّن هناك كالتمثال قائلة في نفسها:

– *يا له من مشهد مسرحي فظيع!*

كانت أول من أفاق من هول الصدمة فخرجت من وراء الباب حيث حاصرها كويمي بتهوره. حاولت أن تبدو على سجيتها بقدر المستطاع فانطلقت قائلة:

- *لا تنزعجا مما تشاهدان. أقمنا وليمة صغيرة بشكل مرتجل. هذا كل ما في الأمر. هلا شاركتمونا؟*

انعقد لسان كويمي، أما مرافقه الذي وجد نفسه في موقف لا يحسد عليه مُتهما بالتطفل على أناس لا يعرفهم فقد نقل عينيه من ناتي إلى سيّن قائلا بابتسامة:

- *أشعر أننا مدينان لكما بالاعتذار عن هذا الاقتحام. في الحقيقة، أنا غريب هنا وفي أثناء زيارتي اليوم لصديقي كويمي تعاطف مع حالي وعرض عليّ التعرف على بعض أصدقاءه. فهمت منه أنكما في انتظارنا، لكن أخشى أن هناك خطأ ما.*

انحلت عقدة لسان كويمي فصاح بصوت جهوري:

- *كلا! لم أُخطئ هذه المرة!*

نظر إلى سيّن بشيء من اللوم:

- *لقد قابلتك منذ فترة وجيزة وفاتحتك في الأمر وقلت أنه يمكننا القدوم!*

هزت سيّن رأسها منكرة في دهشة الأمر الذي أصاب كويمي بالشحوب.

- *المعذرة. تذكرين ما حدث في الردهة. لقد كان جوابك "بالتأكيد"!*

وعت سيّن أخيرا حقيقة الأمر وعلته فعلقت قائلة:

- *آه! أدركت الآن. أحسب أني لم أفهمك تماما.*

استجمعت خلجات نفسها لتخرج من هذا الموقف المحرج:

- لقد كان عقلي مشغولا بهذه الوليمة، ولم أستطع التركيز في أي شيء آخر. فليكن هذا عذرا عن هذه الحالة التي وجدتمونا عليها، واسمح لي أن أُذكّرك بأنك لم تقدم لنا صديقك حتى الآن.

تبادلت الابتسامات مع الوافد الغريب. راح كويمبي يمسح العرق الذي تصبب من جبهته قائلا في ارتباك:

- أجل. عذرا عن هذا الخطأ الأخرق. هذا صديقي السيد ستانود... سيّن... والآنسة... الآنسة روچرز.

صافح السيد ستانود سيّن التي نسي كويمبي بسبب توتره تعريفها بالآنسة، ثم تقدم لمصافحة ناتي التي تسمرت في مكانها أمام الموقد:

- سعيد بمعرفتك يا آنسة روچرز.

صافحته ناتي في حرج بسبب الموقف. لمحت نظرة خبيثة في عينيه وأدركت فجأة أنها رأته من قبل، لكن أين؟ لم تستطع التذكر بسبب الارتباك الذي شعرت به. لفت نظر سيّن أيضا طريقة تعامله مع ناتي وما شابها من بعض الغرابة. رمقته بنظرة فضولية عابرة ثم قالت بنبرة ودودة:

- والآن أيها السيدان... بعد أن تبادلنا الأعذار... تفضلا الطعام.

انتفض كويمبي فزعا من مقعد البيانو الذي جلس عليه آنفا نتيجة للإثارة التي دغدغت أعصابه وسلبت إرادته قائلا على الفور:

- لا! لم نأت لتناول العشاء!

ابتسمت سيّن بسبب قلق كويمبي ومحاولته التنصل من نوايا لم يلصقها أحد به. التفتت إلى السيد ستانود بسؤال لم يرق لناتي:

– *افترضا إذن أننا قمنا بدعوتكما لمشاركتنا هذه المأدبة، ألا تفعلان ذلك؟*

أجاب ستانود ببساطة ورصانة:

– *إذا صدقت النية وراء الدعوة لرحبنا بها جدا، أليس كذلك ياكويمبي؟*

أخذ كويمبي المسكين يحرك إبهاميه في ارتباك ويهمهم بكلام عن ترك السيدتين تستمعان بطعامهما. جاهدت ناتي لكي تبدو ودودة. وجدت صعوبة في تقبل الموقف أو التكيف معه وتمنت أن يتم تجاوزه، أما سيّن التي تجري في عروقها بعض النزعات البوهيمية تماما مثل چو نورتون فقد علقت:

– *لدينا طعام يكفي ستة أشخاص. المشكلة تكمن في الصحون.*

رفعت إبريق القهوة ضاحكة. نظر السيد ستانود إلى ناتي في لهفة قائلا بظرف ولطف:

– *لن نأكل الصحون ونترك شرائح اللحم تلك برائحتها الطيبة، أليس كذلك؟ على أي حال لم أتناول طعامي بعد!*

بغض النظر عن تعبيرات وجه ناتي التي حملت بعض الاعتراض، لم يكن لدى سيّن أي غضاضة في زيادة عدد الجالسين على المائدة، لذا ما إن أنهى ستانود جملته حتى انطلقت قائلة:

– *إذن هيا إلى المائدة!*

لبى السيد ستانود الدعوة مباشرة الأمر الذي أثار استنكار كويمبي وفزع ناتي وربما أيضا بعض من دهشة سيّن نفسها. جلس على المقعد الهزاز قائلا بنبرة مرحة:

- لدي يقين أني سأستمتع بهذا الطعام على نحو لم يحدث لي منذ كنت صبيا أسرق البيض من مزرعة عمي ثم أقوم بطهيه وأحلي باللفت النيئ... اجلس يا كويمبي!

استقبل كويمبي المقعد وقد احمر وجهه في اعتراض واضح على هذا التطفل الذي لا يبدو أنه قد أزعج صديقه المرح على الإطلاق. ما إن ألقى بنفسه على المقعد حتى انطلقت ناتي صارخة. سبق السيف العزل... هاهي الوليمة تُتوج بحادث أليم... ببساطة لقد جلس كويمبي على الحلوى التي كانت على المقعد! أصابته صرخة ناتي بالذهول. سأل في غفلة عما أفسده بفعلته تلك:

- يا إلهي! ما الخطب؟

حين شاهدت سيّن ما حدث لم يعرف كربها حدودا. صاحت فيه وهي تعصر يديها:

- انهض! ألا يمكنك ذلك... يا إلهي! ألا تشعر بما جلست عليه؟

امتثل كويمبي سائلا:

- ماذا؟

رمقها بنظرة خالية من المشاعر:

- جلست على...

تتبع إشارتها العصبية. استدار لينظر إلى المقعد خلفه فعم الفزع وجهه على الفور. أطلق زفرة قائلا:

- *يا إلهي!*

استدار مرة أخرى محاولا معاينة ذيل معطفه:

- *ما هذا؟ وكيف أتى هنا؟*

أجابته ناتي بكآبة وقنوط:

- *كعكة شارلوت روسي.*

رد كويمبي:

- *شارلوت روسي؟!*

استمر في النظر خلفه:

- *إنها... لا تبدو كذلك!*

عند هذه النقطة انفجر السيد ستانود في الضحك بعد أن ظل يغالبه. لحقت به سيّن وناتي. ظلوا يضحكون حتى فقدوا القدرة على الاستمرار، بينما راح كويمبي يتابع حركاته الدائرية ويتأوه قائلا:

- *أنا... يا إلهي! سأصلح خطأي... أؤكد لكم. لا أعرف ماذا أقول للتعبير عن أسفي.*

توقف عن الالتفاف للخلف، ثم خطف قبعة السيد ستانود وولى شطره نحو الباب. سأله ستانود باهتمام كبير:

- *إلى أين؟*

أجاب بوجه متألم ولسان متلعثم:

- *سأبتاع لكم كعك شارلوت روسي.*

علق السيد ستانود:

- *أقترح أن تقوم ببعض الإصلاحات اللائقة في دورة المياه بغرفتك قبل النزول إلى الشارع، كما أن قبعتي ليست مقاسك!*

ألقى كويمبي بالقبعة كما لو أنها صفيح ملتهب. نظر إلى المقعد حيث وقع له الحادث الأخير. أمسك بذيلي معطفه كل بيد، ثم استدار مجددا ودون أن يتفوه بكلمة واحدة شق طريقه مهرولا خارج الغرفة. جاهدت سيّن للتوقف عن الضحك وناشدته أن يعود أدراجه وينسى أمر الكعك. علق السيد ستانود وهو يمسح دموع نزلت من شدة الضحك:

- *مسكين يا كويمبي! شخص طيب، لكنه يُوقع نفسه دوما في المشاكل.*

عقبت سيّن على كلامه في إقرار وإذعان:

- *أجل!*

أزاحت المقعد وما عليه من فوضى، كل هذا وناتي تُتابع المشهد بنظرة شجية. أكملت سيّن:

- *هل ننتظر عودته؟ أخشى أن الطعام قد أخذ يبرد بالفعل.*

كان لدى ناتي نفس الهاجس:

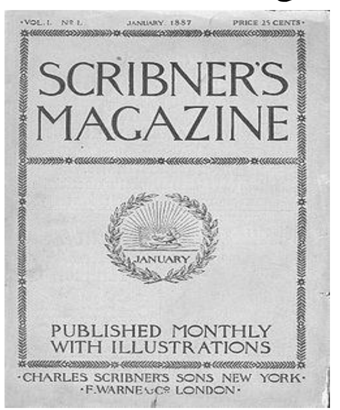
- *لا أعتقد أنه يتعين علينا ذلك، فنحن لا نعرف هل سيعود أم لا؟ لا ينبغي أن نُفسد كل شيء.*

علق السيد ستانود:

- *أظن أنه لا يتوقع منا الانتظار.*

أخذت سين بأطراف الحديث قائلة:

– حسن إذن! هاهو مقعدك يا سيد ستانود وهو كما ترى خال فلا عليك أن تعاينه قبل الجلوس. أنت محظوظ لأنك أطول منا ولا تحتاج كتبا لترفعك إلى مستوى المائدة. المشكلة الآن في الأطباق. آه! هاهو الخبز. هل يمكنك يا ناتي العثور على غطاء خشبي آخر؟ لا عليك... سنضع بعض الورق المفضض فوق مجلة سكريبنرز كبديل. من حسن الحظ أن لدينا شوكة وسكين لك. صحيح أن الشوكة من الحجم الصغير، لكن لا أظنك تمانع في استخدامها. أنا وناتي لا نجد غضاضة في استخدام ملعقة واحدة، مما يوفر لك ملعقة أيضا. يجدر بنا يا ناتي استخدام هذا القدح المشروخ مناصفة.



قاطعها السيد ستانود برصانة:

– اسمحي لي باستخدام هذا القدح المشروخ. أُصر على ذلك.

بخفة دم جاء رد فعل سيّن وهي توزع شرائح اللحم:

- حسن إذن...هذا ينهي الأمر... نحن جاهزون، لكن أخشى إذا عاد كويمبي قبل أن نفرغ من عشاءنا فسيتعين علينا إعادة اقتسام الطعام!

التهم السيد ستانود شرائح اللحم بإعجاب واضح. في اللحظة التي أخذ فيها يثني على الطعام طرق شخص الباب على استحياء. عاد كويمبي إلى المشهد وقد ارتدى ثيابا أخرى لها رائحة العشب المجتز حديثا. تقدم مظهرا الأسى والأسف عن ما وقع منه. قال بتواضع جم وهو يلاحق بنظره الدوقة التي ذرعت المكان ذهابا وجيئة في جزع وسخط حتى هدأ بالها ونالت ما تمضغه:

- المعذرة. أؤكد لكم أنه من دواعي سروري أن أبتاع كعك شارلوت روسي بديلا عن ما أتلفته بتهوري. هل تسمحون لي بذلك؟

أجابت سيّن على الفور:

- لا يوجد ضرورة لذلك، ناهيك عن أن المتاجر مغلقة اليوم.

لان عزمه وقال متعجبا وقد وضع يده على رأسه:

- إذن هي مغلقة... مغلقة إذن!

تأقلمت ناتي، بل قل استراحت لوجود السيد ستانود. أحست في قرارة نفسها أنه إضافة إلى الصحبة. نعم...شرائح اللحم تصنع السحر! وجهت كلامها إلى كويمبي قائلة بعد أن استعادت روح الدعابة:

- أظن أننا نستطيع العيش بدون شارلوت روسي.

تدخلت سيّن قائلة:

- سنتحدث عن هذا الأمر فيما بعد، والآن سنحاول بشكل مرتجل أن نوفر لك قدحا وطبقا وسكينا وشوكة وملعقة. لابد وأنك جائع بعد هذا العمل البطولي.

احمر وجه كويمبي وهتف قائلا:

- غدا أبتاع لكما خمسين من هذه الحلوى، أما فيما يتعلق بالآنية وأدوات المائدة فلدي بعض منها في حجرتي، أستخدمها في إعداد وتناول بعض وجبات الغذاء البسيطة. سأذهب لإحضارها.

غادر ليعود بعد ثوان معدودة. طلبت منه سيّن وضع حمله فورا حتى لا يقع على الأرض فيتحطم. أضافت وهو يحط ما بيديه بتؤدة على البيانو:

- دعني أجد مكانا لك على المائدة... نعم... أعتقد هنا بجانبي.

صاح في التو:

- لا! لا! إذا تكرمت أفضل الجلوس على مقعد البيانو هناك في الركن حتى لا أسبب أي ضرر!

ضحكت ناتي قائلة وهي تقطع الشطيرة بسكين ثلم الأمر الذي هز المائدة وسكب بعض القهوة:

- لا يجب علينا أن نصنع منك شهيدا.

أضاف السيد ستانود وهو يمسك بقدحه ليعيد اتزانه:

- نعم بالطبع... لدينا متسعا من المكان هنا.

هز كويمبي رأسه رافضا:

– *سأشعر بالراحة فعلا إذا تركتموني أجلس حيث أشاء. سأكون على ما يرام. لا أريد أن أحدث مزيدا من الفوضى.*

انتويت سيّن مواصلة الاحتجاج لولا تدخل السيد ستانود قائلا:

– *يجدر بنا تركه وشأنه. لن يشعر بالراحة إلا إذا فعلنا ذلك!*

جلس كويمبي يتناول نصيبه من الوليمة راضيا على مقعد البيانو في زاوية الغرفة كما لو كان تلميذا مشاغبا. كتب القدر على سيّن أن يتوافد على غرفتها زائرون كثيرون ذاك اليوم، فما إن فرغت من تقديم الطعام لكويمبي حتى عاد الطرق على الباب من جديد. كان الزائر هذه المرة هو چو الذي تقدم على أطراف أصابعه هامسا:

– *شاهدت كويمبي يدخل حجرتك حاملا أوعية وأدوات لا تُستخدم إلا في غرض واحد! ثم شممت رائحة طيبة وها أنا ذا !*

ضحكت سيّن قائلة:

– *مرحبا بك أيضا! تفضل. أجلس هنا بجانبي. هل تعرف السيد ستانود؟*

أجاب وهو يجلس على المقعد الهزاز بجوار سيّن متخذا غطاءا خشبيا كطبق:

– *آه، نعم! شرفني وكويمبي بالزيارة اليوم، لكنهما غادرا طلبا لصحبة أكثر جاذبية أو ربما عشاءا شهيا!*

علقت ناتي:

– *بل صحبة أكثر جاذبية أيها المخلوق الفظيع! لعلمك لقد تواجدا على العشاء بمحض الصدفة. شرعت أنا وسيّن في إعداد وليمة محدودة والآن انظر*

وعاين بنفسك كيف تحولت إلى حفل صاحب قد لا يتخيله حتى أمثالك من البوهميين، أليس كذلك؟

أجاب چو وهو يحاول الاقتراب قدر المستطاع من سّين لولا صغر حجم المائدة التي مثلت عائقا:

- *هذه هي الأجواء التي أحبها بالضبط! لكن لا تعجبني فكرة أن تستأثر فتاتان بمثل هذه الوليمة بمفردهما!*

علقت سيّن في إذعان ورضوخ:

- *بدأت أشعر بالندم لأننا لم نوجه الدعوة لعدد أكبر من المشاركين.*

سأل السيد ستانود ناظرا بحدة إلى ناتي التي ناولته قطعة ثانية من الشطائر:

- *هل مازالت الآنسة روچرز غاضبة مني؟*

تغير لون ناتي وهي تكرر مستفهمة:

- *غاضبة منك؟!*

ضحك طارحا سؤالا آخر:

- *أجل. لاحظت انزعاجك حين قبلت دعوة الآنسة آرشر الكريمة، ألا تقري بذلك؟*

شعرت ناتي بالحرج. يتمتع هذا الشاب بقدرة حقيقية على قراءة الأفكار. لم تستطع دحض التهمة واحتارت في الرد. تلعثمت قائلة:

- *أنا... لا أتأقلم بسرعة وسهولة مع الغرباء، على غرار سيّن تماما.*

أضافت سيّن:

- *لكن الأمر جد مختلف بالنسبة لها عبر التلغراف.*

كررت ناتي مبتسمة:

- *عبر التلغراف.*

وقع نظرها على عيني السيد ستانود. تذكرت فجأة أنه الشاب نفسه الذي توقف بمكتبها آنفا ليسأل عن تعريفة الإرسال لواشنطن كحجة واهية للكلام.

اندفعت قائلة من فورها:

- *لقد رأيتك من قبل؟!*

صاح چو رغم امتلاء فمه بقطعة من الشطائر:

- *يبدو لي هذا كمشهد في رواية. يا تُرى ماذا سيحدث الآن؟*

سخر السيد ستانود من تعجب ناتي مستنكرا:

- *اكتشفت ذلك الآن فقط؟!... لقد عرفتك منذ اللحظة التي دخلت فيها هذه الغرفة، وهذا أحد أسباب إصراري على البقاء بها.*

أضاف مخاطبا سيّن ومحاولا الشرح:

- *لقد صدتني ذاك اليوم في المكتب بأسلوب شنيع لسبب بسيط هو محاولتي أن أكون لطيفا معها.*

علقت ناتي ضاحكة:

- *لم يكن وجودك مبررا!*

قاطعها چو مرددا:

- *بالطبع لم يكن مبررا.*

أضافت ناتي:

- *لا أتحدث مطلقا مع الغرباء.*

علق ستانود:

- *فيما عدا عبر التلغراف... ربما... كما قيل منذ قليل!*

عقبت سيّن وهي تقشر برتقالة:

- *ها قد نلت منها الآن!... لكن ناتي لن تُقدم البتة على تكرار تلك التجربة. أليس كذلك يا عزيزتي؟*

ردت ناتي:

- *كفاني ما نلت.*

علق چو:

- *ربما لا تنتهي العلاقة القادمة برائحة المسك والشعر الأحمر!*

تدخل القابع على مقعد الموسيقي قائلا:

- *وربما كانت أسوأ!*

جرى هذا الحوار وعيني السيد ستانود تنتقل من شخص إلى آخر. لاحظت سيّن حالة التعجب والارتباك التي بدت عليه فخاطبته موضحة:

- *أنت لا تفهم بالطبع. هل لي أن أخبره يا ناتي؟*

أجابت ناتي بتسليم لا يخلو من كدر:

- *آه. حسن! أظن... هذه القصة أصبحت مثارا للسخرية.*

ضحكت سيّن قائلة:

- *أنا ضحية مثلك تماما فقد أظهرت شغفا كبيرا بالمجهول.*

التفتت إلى السيد ستانود مكملة:

- يبدو أن لدى عمال التلغراف طريقة للتحدث مع بعضهم البعض عبر شبكة البرق دون معرفة الكثير عن شخصيات من يتحدثون إليهم أو الهيئة التي يبدون عليها. بهذه الكيفية تعرفت ناتي على شاب يُرمز له ب C وأصبحت - دعني أقول- شغوفة به. نعم يا ناتي لا يمكن أن تنكري ذلك. وكما أشرت من قبل فقد قامت بتقديمه لي عبر التلغراف. في الواقع بدا لي شخصا لطيفا، لذا لم يكن من المستغرب أن يهتم كلانا به. ترين يا ناتي... ها أنا أستخدم صيغة المثني حتى أخفف من وقع الأمر عليك.

قاطعها السيد ستانود وهو يعبث بالشوكة والسكين:

- لو عرف هذا الـ C الانطباع الذي تركه لديكما لحق له أن يشعر بالفخر.

علقت سيّن:

- لسوء الحظ أنه لم يعرف ذلك مطلقا.

تسمرت عينا ناتي على قدح قهوتها واستعرضت شريط ذكريات غرامها الذي ولى. تابعت سيّن بعد وقفة قصيرة:

- انتهت هذه القصة بخاتمة غير مواتية وبعيدة كل البعد عن السحر والغموض والرومانسية حين جاءها C بشحمه ولحمه زائرا!

تمتمت ناتي بنبرة احتقار دون أن تلحظ مراقبة السيد ستانود لها بنظراته:

- شخصية تثير الامتعاض والاشمئزاز.

عند سماعه هذه الكلمات ارتبك السيد ستانود وحول نظره إلى سيّن التي أخذت بأطراف الحديث قائلة:

- أجل... مخلوق فظ مريع. تخيل معي: شعر أحمر وأسنان مريعة ورائحة المسك وحُلي زائف. باختصار... شخص سوقي ومبتذل بمعني الكلمة.

ترك السيد ستانود الشوكة والسكين معقبا في ذهول:

- ماذا!

دفع المقعد للخلف بقوة مما أفزع الدوقة التي قبعت خلفه مباشرة.

- ماذا!

اندهشت سيّن من حدة رد فعله ، أما ناتي التي تجدد الحزن في قلبها فلم تلحظ ذلك، بل راحت تكرر:

- شعر أحمر وزيت دهن الدب وما خفي كان أعظم!

نظر السيد ستانود إليها باهتمام قائلا بكل ما أوتي من عزم:

- تقولين أن الشخص الذي وصفتيه للتو قد زارك بصفته C؟

ردت ناتي:

- بالضبط. أخبرني في الصباح عبر التلغراف أنه ذاهب لاستبدال شخص آخر ليوم واحد وإذا به يطل عليّ بطلعته الكريهة.

رمقته سيّن بنظرة فاحصة قائلة:

- يبدو أن القصة تثير فضولك.

نظر السيد ستانود إليها ثم إلى ناتي. سرح للحظات متأملا قبل أن ينفجر في ضحك يفوق ما أثاره حادث كويمبي والمقعد آنفا. تمالك نفسه قائلا:

- نعم بكل تأكيد. إنها أجمل نكتة سمعتها في حياتي. مؤكد نال C بعد هذه الواقعة نصيبه من الصد والجفاء.

أجابت ناتي بازدراء:

- *أجل! بلا شك.*

أضاف چو مستخدما المصطلح المهني:

- *ثم قامت بفصل دائرة الاتصال بعد ذلك!*

أضافت سيّن وهي تنهض من المائدة:

- *وانتهت قصة الغرام في فصلها الأول!*

نهض السيد ستانود قائلا:

- *مسكين يا C!... لقد استمتعت كثيرا بهذه الوجبة الشهية يا آنسة آرشر، كما استمتعت كذلك بتلك القصة.*

عقب چو متحسرا:

- *أتمنى لو حظينا بمثل هذه الوليمة كل يوم!*

قال كويمبي:

- *بغض النظر عن التلفيات التي أحدثتها كعادتي كما تعرفون فأنا أتفق معكم فيما يختص بالعشاء، أما فيما يتعلق بالقصة أؤكد لكم أن الأمر كان جد خطير بالنسبة للآنسة روچوز وقت حدوثه... يا إلهي! لا تتخيلون مدى الحزن الذي اعتراها لمدة أسبوع.*

نظر السيد ستانود إلى ناتي التي احمر وجهها خجلا وغضبا. حدثت نفسها قائلة:

- *إنه لشيء بغيض أن تحتفظ بصحبة شخص فالت اللسان مثل كويمبي!*

في هذه اللحظة جاءها صوت سيّن:

- *هيا يا ناتي! ساعديني في رفع المائدة وبقايا الطعام.*

امتثلت لها بسعادة واضحة لأنها وجدت فرصة لإبعاد وجهها المتورد عن تلك العينين البنيتين. في بضع لحظات تحولت حجرة الطعام إلى ردهة استقبال.
احتفظ كويمبي بجلسته على مقعد الموسيقي. راح يقشر برتقالة بينما أخذ چو يتناول المكسرات وانكبت الدوقة على التهام إحدى ثمار التين.

الفصل العاشر

لم الشمل وعودة دائرة الاتصال

جلس السيد ستانود على مقعد بجوار المائدة حيث كانت ناتي تطالع ألبوم الصور الخاص بسيّن التي انهمكت في تضميد الجرح البليغ الذي أحدثه كويمي التعس بيده. فجأة راح السيد ستانود ينقر سطح المائدة الرخام باستخدام قلم رصاص الأمر الذي استدعى انتباه ناتي. حين رفعت نظرها في اتجاهه بشكل عرضي وجدت عينيه مثبتة عليها وقد حملت تعبيرا خاصا. ترامى إلى مسامعها أصوت تألفها. أرهفت السمع تجاه هذا النقر. كان ستانود بالتأكيد يصنع بعض النقط والشرط عمدا أو دون قصد، والأدهى من ذلك أنه كون حرف الـ N مرارا وتكرارا!

- *سأحاول التأكد هل يفعل ذلك عن قصد أو بشكل عفوي!*

هكذا اهتدي تفكير ناتي فأمسكت بمقص وهو الشيء الوحيد الذي وجدته متاحا أمامها، وبه ارتجلت وسيلة بطيئة وواهية لتبادل النقر. أرسلت هذه الكلمات بينما تظاهرت بانشغالها الكامل في مطالعة ألبوم الصور:

- *هل أنت عامل تشغيل؟*

أمسك السيد ستانود بكتاب، وبينما أعطى انطباعا بانشغاله التام بمحتوياته راح يجيب:

- *أجل.*

اندفع الدم إلى وجه ناتي التي حدثت نفسها قائلة:

- آه! يا إلهي! الآن بعد أن أخبرته سيّن بهذه القصة السخيفة سوف يعرف كل عامل تلغراف في المدينة بأمرها.

أعادت سؤاله عن طريق فتح وغلق المقص:

- لماذا لم تفصح عن ذلك، وأين مكتبك؟

أجاب بالقلم:

- ليس لدي مكتب في الوقت الحالي.

في أثناء ذلك جالت سيّن بنظرها عبر الغرفة متعجبة من رؤية هذين الشخصين وقد انكبا على المطالعة. لم يتسرب إليها أي شك فسألت كويمبي عن ما إذا كانا يتدربان كقارعي طبول بغية الانضمام لفرقة الموسيقات العسكرية؟! أرسل القلم:

- في أحد الأيام، تعرضت الفتاة الصغيرة في Bm للخداع.

سقط ألبوم الصور من يدي ناتي وحملقت برعب وذهول في وجه ستانود الذي لم يرفع رأسه عن الكتاب وقد ارتسم على وجهه تعبير بريء:

- أين تراه سمع هذه الكلمات المألوفة؟

فكرت للحظة ثم انطلقت بأقصى سرعة يسمح بها المقص:

- أنت تعمل في المكتب الرئيسي بالمدينة؟ ولا بد أنك سمعت حواري مع C.

جاء رد القلم الرصاص:

- الجزء الأول من تخمينك خطأ، أما الشطر الثاني فصحيح.

سأل المقص:

- *في أي مكتب عملت من قبل؟*

أجاب القلم:

- *Xn.*

سأل المقص بلهفة:

- *ماذا! مع C؟*

أجاب القلم الرصاص بتباطؤ يثير الأعصاب:

- *حسن... نعم، ألم يتضح لك الأمر بعد؟ ألا ترين أن C الذي شاهدتيه ذاك اليوم ليس C الذي تعتقدين أنك قابلتيه؟!* [١٥]

تلاحقت أنفاس ناتي بسرعة وارتعشت يداها حتى تعذر عليها القبض على المقص فسقط مرتطما بسطح المائدة محدثا صوتا عاليا وانتهى به المقام بالقرب من حافة المنضدة. رغم ذلك استمر القلم الرصاص بهدوء ورباطة جأش قائلا:

- *هناك خطأ في الموضوع برمته. أنا C.*

لم تعبأ ناتي بالمقص ولا القلم وانطلقت صارخة بعد طول صمت:

- *ماذا تعني؟ لا يمكن!*

من الصعب وصف وقع هذه الصرخة العفوية المدوية على الحاضرين. أُصيبت سيّن التي راحت تُطمئن المريض على جرحه بالذعر، كما تملك الفزع والذهول كل من كويمبي وجو نورتون. صاحت سيّن وقد اصطدم أنبوب المرهم الطبي في يدها برأس كويمبي والذي لم يلحظ هذا الأمر لشدة اندهاشه:

- *يا إلهي! ما الخطب يا ناتي؟!*

---

[١٥] استفادت الكاتبة هنا من التطابق في اللغة الإنجليزية بين نطق حرف الـ C والفعل See بمعنى "يرى".

نهض السيد ستانود منحيا الكتاب والقلم جانبا. تقدم نحو ناتي غير عابئ بمن سواها في الحجرة. لمعت عيناها وهو يمد يديه نحوها قائلا:

- *بل يمكن... وأعني ما قلت!*

كما لو أنها غائبة عن الوعي ولشدة ما أصابها من ارتباك وتشويش مدت ناتي يدها نحو راحتيه اللتين قبضتا عليها، كل هذا وسيّن تحملق بعينين متسعتين، بينما فغر كويمبي فاهه وأطلق چو صفيرا طويلا. كانت سيّن أول من أفاقت من صدمتها فشرعت في التعنيف والتأنيب قائلة بصوت محتدم:

- *حسن، ما هذا المشهد الذي لم أره حتى على خشبة المسرح؟! هل تتكرمي يا ناتي أو أي شخص آخر بتوضيح هذا الفعل الغريب؟*

تمتمت ناتي بصوت خافت وهي تنظر إلى السيد ستانود بخوف ورجاء:

- *أنا... أنا لا أفهم!*

أحكم السيد ستانود قبضته على يد ناتي مجيبا بابتسامة:

- *امنحوني لحظات لأوضح لكم أني C الحقيقي!*

اهتزت الغرفة بصرخات سيّن وچو وكويمبي الهادرة:

- *ماذا!*

رددت سيّن بانفعال:

- *لا، لا... ليس هذا صحيحا! ماذا تعني؟ هل أنت C؟ C الذي نتكلم معه عبر التلغراف؟.. ترهات! مؤكد أنك تمزح!*

اصطكت أسنان كويمبي وهو يكرر:

- *نعم، إنه يمزحّ يا لك من رفيق فظيع يا كليّم!*

صرخت سيّن وناتي في نفس واحد:

- *كليّم؟!*

عقب الرجل الذي أثار كل هذا الصخب:

- *هل صدقتماني الآن؟*

نظر إلى ناتي التي استشعرت بقاء يدها بين كفيه فسحبتها سريعا وقد احمر وجهها. صاحت سيّن:

- *لقد شُل تفكيري!*

صاح چو:

- *هلم بشرح الأمر وإلا حدث شيء لي. لا أستطيع الصبر أكثر من ذلك!*

أذعن السيد ستانود قائلا:

- *الحقيقة ببساطة شديدة أن صاحب الشعر الأحمر الذي استفاضت الفتاتان في نعته كشخص كريه هو عامل التشغيل الذي حللت محله ذاك اليوم!*

- *يا إلهي!*

هكذا تفوهت ناتي وقد بدأ وجهها يشرق من جديد. ابتدرته سيّن:

- *لكن كيف...؟*

ابتسم السيد ستانود مُكملا:

- *صبرا... سأخبرك.*

نظر إلى ناتي متابعا:

- *كان مكتبه كما تذكرين على الشبكة، ولطالما تصنت على أحاديثنا، بل وتجرأ على مضايقتنا فعمد إلى فصل دائرة الاتصال غير مرة، وحيث أنه وجد*

نفسه في المدينة فقد انتهز الفرصة ليمر على مكتب ناتي منتحلا شخصيتي، ربما من باب الدعابة أو نتيجة لدوافع أخرى شريرة. لقد أدركت على الفور أنه هو من خلال قصتكما اليوم ووصفكما له. تذكرت أيضا... لقد أخبرني عقب عودته أنه مر بأطرف موقف وقع له منذ شهور، لكني لم ألتفت لهذه الملحوظة العابرة، ولم يدر بخلدي أنها تخصني.

علقت ناتي بحماس:

- *نعم! لقد كان حريصا ألا أذكر شيئا عن زيارته عبر الشبكة.*

- *لم يتخيل أننا سنكتشف تدليسه يوما ما، لكن ها قد فعلنا أخيرا.*

نظر إلى ناتي لائما ثم واصل:

- *وكان بإمكاننا حل هذا اللغز مبكرا لولا تعجلك في إنهاء علاقتنا وعزوفك عن معرفة السبب الحقيقي. أؤكد لك أني جاهدت للاهتداء للسر الحقيقي حتى كاد عقلي يشت، لكن لم أفلح في ذلك؟*

قالت سيّن بحنق:

- *وهذا المخادع ذو الشعر الأحمر ظل يضحك في سره طوال كل هذه الفترة.*

أمسكت ذراعي ستانود صائحة بسرور وبهجة:

- *الأمر حقيقي إذن؟ أنت C؟*

سأل ضاحكا:

- *ألا تصدقاني حتى الآن؟ ما الذي يمكن أن أفعله لإثبات هويتي؟ لقد صدقتما صاحب الشعر الأحمر بشكل أيسر وأهون من ذلك بكثير!*

صاحت ناتي بحمية:

- *يا إلهي! أنا أصدقك.*

توقفت فجأة عن الكلام واحمرت خجلا نتيجة لمجاهرتها في إظهار فرحتها العارمة، لكن ستانود نظر إليها وقد عشش في عينيه البنيتين تعبيرا من الرضا قائلا في شيء من التوسل:

- *لن تجافيني أو تهجريني بعد اليوم، أليس كذلك؟*

أردف مدافعا عن نفسه ونافيا التهم التي أُلصقت به:

- *كما ترين لا أستخدم دهان الدب مطلقا وليس بشعري خصلة واحدة حمراء.*

أجابت ناتي بخجل:

- *سأحاول تقديم بعض التعويضات... كان ينبغي عليّ إدراك أن في الأمر خطأ ما، فلا يمكن بأي حال من الأحوال توفيق صورة هذا المخلوق مع C!*

سأل ستانود بغبطة:

- *أستحق الإطراء إذن، أليس كذلك؟*

همست ناتي ببعض كلمات عن استجداء المجاملات، بينما أجابت سيّن بابتهاج:

- *أجل... فلديك شعر مجعد. أتذكر ما قلته لك عبر التلغراف في مكتب ناتي؟*

رد بانتشاء ومعنويات مرتفعة:

- *كيف يمكن أن أنسى؟*

ردت سيّن وهي تقرص نفسها:

– ليس هذا حلما! أنت C!... C الحقيقي.

أمسكت بناتي التي بدت شبه مذهولة من وقع المفاجأة قبل أن تدفعها النشوة والسعادة الغامرة إلى الدوران في الغرفة بحركات راقصة وهي تقول:

– يا إلهي! كم أنا سعيدة!... سعيدة جدا!

أرهف كويمبي السمع خلال كل هذه الشروح والتفسيرات وقد عكس وجهه شتى تعبيرات الذعر والفزع. أراد جذب الانتباه لنفسه فراح يتأوه بصوت مسموع ويهمهم ويغمغم بكلمات حول جرحه. كان يعني الجرح المادي والمعنوي. نهض المسكين وخطا للأمام واضعا يده على كتف صديقه سائلا إياه بوجل وخشية:

– والآن يا كليّم... المعذرة... لكن هل... هل كل هذا حقيقي و... وليست لعبة من ألاعيبك... بأمانة... هل أنت هذا الـ C؟

ابتسم كليّم صائحا:

– هاهو توما الشكاك[١٦]! ... بشرفي أنا C الحقيقي، ولقد تيقنت الآن أنك الزائر الآخر الغامض بصحبة الآنسة آرشر ذاك اليوم الذي شرفت فيه بمعرفتها، ولتعلم أني لم أعر هذا الموضوع اهتماما كبيرا!

بدا كويمبي مهموما مغموما. تأوه رافعا يده عن كتف كليّم مرددا:

– لم أعر هذا الموضوع اهتماما كبيرا!

غاص في أحد المقاعد مردفا:

– لكني اعتدت هذه الأشياء كما تعرفون!

---

[١٦] توما الشكاك Doubting Thomas هو أحد حواري نبي الله عيسى عليه السلام. عُرف بكثرة شكوكه وتشاؤمه ونظره دوما إلى الجانب السيئ من الأمور. (المترجم)

جلب كل ذلك على نفسه. أخرج بيديه C من قبره. قال كليّم غافلا تماما عما يدور بعقل كويمي:

– والآن بعد أن تبين الأمر، لا أجد نفسي ميالا حقا للاعتذار عن هذا الخطأ فلولاه ما أدركت معزتي لدى السيدتين ومقدار ما أتمتع به من قبول واستحسان لديهما!

انحنى حتى كاد أن يمس الأرض بينما لمعت عيناه البشوشتان. قالت ناتي وهي تحرك أصابعها محاكية إشارة الاتصال:

– هل تذكر أحاديثنا على الشبكة؟

أجاب بانحناءة أخرى:

– أجل!... لكن عليّ أن أسعى جاهدا لتحقيق سمعة طيبة بعيدا عن التلغراف!

علقت سيّن بانحناءة:

– أمامك مهمة عسيرة تحتاج مجهودا خارقا لتجعل السيد ستانود يحل محل C الذي كان أثيرا لدينا.

علق ببداهة وحسن تصرف:

– حسن... في هذه الحالة لم لا ندع السيد ستانود جانبا ونستدعي كليّم الذي يتمتع برصيد جيد من المعزة؟!

ردت سيّن ضاحكة:

– آه! كليّم أكثر عفوية، أليس كذلك يا ناتي؟ لقد عرفنا كليّم و C، لكن السيد ستانود غريب عنا!

عاد كليّم إلى القول بنبرة مرحة:

- *إذن لنترك أمر ستانود الآن ونقنع بسعادتكما لرؤية صديقكما القديم!*

علقت سيّن بفرحة غامرة:

- *لقد سعدنا بمقابلة صديقنا كليّم بعد أن افتقدناه مؤخرا!*

نظر كليّم إلى ناتي متوقعا أن تعلق هي أيضا. قالت بصوت غير واضح:

- *أنا سعيدة لمقابلة C.*

بدت كلماتها باردة جوفاء مقارنة بالحماس الذي أظهرته سيّن. في الواقع أحست ناتي بالبلبلة واختلطت في وجدانها مشاعر متباينة من السعادة البالغة والخجل الغريب... ترقبت لحظة اختلائها بنفسها لتفكر في الأمر مليا وتستوعب ما حدث بهدوء وروية. راودها إحساس عجيب تجاه سيّن التي دأبت على استخدام ضمير الجمع "نحن" أكثر مما تتحمله الظروف. لم تفطن سيّن إلى التحفظات التي أججتها الغيرة في قلب ناتي فانطلقت قائلة:

- *لكن... لم تخبريني يا ناتي كيف تسنى لك الكشف عن هوية C؟*

أوضحت الأخيرة الأمر قائلة:

- *هو من أخبرني عن طريق لغة التلغراف باستخدام القلم الرصاص وسطح المائدة.*

علقت سيّن:

- *ثم تواصلت معه باستخدام المقص، ولم نفهم ذلك نحن السذج. لقد ظننا أنكما ربما تتدربان لتنضما لفرقة الموسيقات العسكرية، بينما دار بينكما هذا الحوار السري. يا لكما من شخصين ماكرين!*

استدارت نحو كليّم ضاحكة:

– وأنت... ماذا دار بخلدك عندما تعرضت للصد والجفاء من قبل ناتي بشكل مفاجئ؟

أجاب ضاحكا:

– اعتقدت في البداية أن هواها قد تقلب. قلت في نفسي ربما أزعجها ذهابي إلى Ba، لكنها أنكرت ذلك. في النهاية، شعرت بالغضب وقررت أن أتركها وشأنها ولا اعترض سبيلها، بيد أني لم استطع مناوئة رغبتي في رؤيتها فقدمت إلى المدينة لزيارتها. لم تكن المقابلة في مكتب البريد مشجعة، ولولا ذلك لأفصحت عن هويتي لها.

قاطعت ناتي قائلة:

– ربما كان عليك أن تكون صريحا وأمينا من البداية بدلا من توجيه أسئلة ملتفة حول تعريفة الإرسال وخلافه.

رد كليّم بسرعة بديهة:

– صحيح، لكن أين حدسك وفراستك؟

شعرت ناتي ببعض الخجل. تابعت في إصرار:

– ربما ساورتني الشكوك تجاه حقيقة هويتك لو لم أفقد الأمل تماما بعد مقابلة صاحب الشعر الأحمر الذي استهل حديثه معي قائلا: هل ترين هذا البريق في عيني؟

عقب كليّم:

– لابد أنه تسّمع هذه العبارة واستبقاها لغرض ما حتى ذاك اليوم. حسن... لن أُشكك في نظريتك عن البداهة وحسن التوقع طالما أن كلماتك الأخيرة تؤكد عدم وجود تفاوت كبير بيني وبين صورة C في مخيلتك...

احمر وجه ناتي من جديد. أكمل كليّم:

– ... وهي صورة منافية للشخص الذي انتحل شخصيتي... لا أستطيع منع نفسي من تخيل امتعاض وجهك حين طل عليك هذا الشخص بغروره الزائد.

ردت ناتي بنبرة احتقار لذلك الشخص:

– لقد كان غروره متضخما فزين له أن استقبالي الفاتر إنما يُعزى إلى خجلي ليس إلا، بل أكاد أجزم أنه شعر بمتعة كبيرة لإحساسه بأنه ملأ مكانك بنجاح فاق الحد. يا لها من خدعة تلك التي أوقعني فيها!

صحح كليّم الجملة الأخيرة قائلا:

– تعني... أوقعنا فيها.

علقت ناتي وقد تورد وجهها من جديد:

– بالتأكيد... خدعنا... أذكر الآن كيف بدا غير عابئ أو مبالي حين ألمحت له بأن لقاءنا قد بدد متعة الحديث عبر التلغراف.

أضاف كليّم بحدة:

– كم أنا حانق عليه بسبب ما جره عليّ من وحدة وبؤس في أواخر أيامي كعامل تلغراف!

تمتمت ناتي ببعض كلمات متحسرة على الأيام الخوالي التي سُرت خلالها بالحديث مع شخص مجهول. سألت سيّن كليّم بشيء من الفضول:

– *هل يعني ذلك أنك تركت مهنة التلغراف؟*

أجاب كليّم:

– *نعم. لقد كانت مهنة مؤقتة بالنسبة لي.*

جلس على الأريكة بجانب ناتي وجلب مقعدا لسيّن وأجلسها بينه وبين چو، أما كويمبي فقد بقي كما هو في أقصى الحجرة أسيرا لانفعالاته. أردف كليّم:

– *حقيقة الأمر وببساطة شديدة: أبي رجل عنيد جدا كوالد أوچين ريبيرن في رواية "صديقنا المشترك"*[١٧]*. حلم برؤيتي طبيبا. رأى أن وجود طبيب في الأسرة أمرا طيبا بغض النظر عن مؤهلاتي الشخصية ومدى استعدادي لهذا الأمر. في الواقع، أشعر بالنفور الشديد من رائحة العقاقير واكتفي بمعرفة ما هو ضروري فقط عن الأمراض التي تهاجم جسم الإنسان. لذا قررت أن أُبدي اعتراضي لأنه مستقبلي في النهاية. أعربت عن رغبتي في العمل بشركته وأن أصبح تاجرا مثله، لكنه غضب بشدة ونعتني بالأحمق. زدت تمسكا برأيي وموقفي ضد إرادته. ولأنه كان ينفق عليّ فقد قررت الاعتماد على نفسي واتجهت لمهنة التلغراف.*

نظر إلى ناتي مبتسما ثم تابع موضحا للآخرين:

– *أردت يوما أن أختبر قدراتي في سرعة الإرسال. شاء الحظ أن تكون هي الطرف الآخر وانتهى الأمر بتعارفنا. درست التلغراف في الكلية وكنا نمد الأسلاك من قاعة إلى أخرى للتدرب، ولأني على صلة بأحد مديري التلغراف*

---

[١٧] كتبها الروائي الإنجليزي شارلز ديكنز ما بين عامي1864 و 1865. (المترجم)

في المدينة فقد نجحت عن طريقه في الحصول على وظيفة في مكتب Xn *الذي لا يرغب أحد في الذهاب إليه. مكثت فيه حتى لان والدي المتزمت. قرر أخيرا أن يتعامل مع أحد الأطباء بدلا من أن يصنع طبيبا، وعينني مديرا لفرع الشركة هنا في المدينة. وها أنا ذا؟*

ضحكت سيّن قائلة:

– *لكن كيف عثرت علينا، ثم زيارتك لنا اليوم، ألا يدعو ذلك للاستغراب؟*

لاحظت ناتي من جديد استخدام سيّن لضمير الجمع، لكنها لامت نفسها على هذه الملاحظة. أجاب كليّم بابتسامة:

– *أنا رجل محظوظ! بحثت عن صديق الدراسة القديم كويمي لأني لا أعرف أحدا في المدينة سواه، وكويمي هو من أقترح عليّ زيارة بعض صديقاته. لم يذكر شيئا عن أسمائهن، وليته فعل، فلا تتخيلوا مدى دهشتي وفرحتي حين اكتشفت هويتكما... وقعت في حبائل الحيرة. وددت لو واتتني الشجاعة منذ البداية لأكشف النقاب عن هويتي وأزيل اللبس والغموض، لولا سرد ناتي لقصة الزائر واجتهادها في نعتي بأفظع الألفاظ وأسوء الأوصاف.*

نظرت ناتي إليه وقد استفزتها الكلمات. واصل كليّم:

– *تخيلوا مقدار فزعي وغمي حين لقبتني بالمخلوق الكريه حتى خيل لي للحظة أن شعري قد مال إلى الحمرة بالفعل!*

راح يمرر أصابعه من خلال خصلاته المتموجة. ضحكت الفتاتان. صاحت سيّن معلقة:

– *إنه لأمر يرثى له يا ناتي أنك أقدمت على تمزيق الصورة.*

سلمت ناتي قائلة:

- *أجل.*

أضافت موضحة الأمر لكليّم:

- *هل تذكر الإسكتش؟ لقد بادرت بتمزيقه بدافع من الانتقام.*

- *لا عليك، بإمكان چو رسم صورة أخرى، أليس كذلك؟*

هكذا وجه كليّم سؤاله إلى چو الذي نهض من فوره تاركا كسارة البندق وقائلا باهتمام كبير:

- *چو على استعداد لرسم أي شيء، لكنه متوجس من الزج به في أي عمل له صلة بالعلاقات الغرامية كتلك التي نشهد فصولها الآن، وإلا فما جدوى جز شعر رأسي عن بكرة أبيه؟!*

ضحكت سيّن معلقة:

- *ليس بمقدورك مناوئة الطبيعة! لقد عُرف الغرام منذ بدء الخليقة، وأحسب أنه سيستمر وسيحل عليك الدور يا چو شئت أم أبيت. لا يخامرني أي شك في ذلك. عما قريب ستتحول إلى فنان مرهف الحس سريع التأثر، وسيهزل جسدك من التفكير وتعود إلى إطلاق شعر رأسك من جديد.*

صرخ چو بيأس شديد:

- *مستحيل!... وبالرغم من ذلك يتعين عليّ الإقرار بأن هذه القصة الماثلة بين أيدينا تسلب الألباب وتستحوذ عليها فإقامة علاقة عبر التلغراف أمر غير متوقع تماما.*

عقبت ناتي:

- *لكن العلاقات التلغرافية لا تمت بصلة لا من قريب أو بعيد إلى الرومانسية.*

دفعها إلى التلفظ بهذه الكلمات قلقها حيال المنحى الذي أتخذه الحديث، وكذا خشيتها أن يتفوه أحدهما بشيء عن كيوبيد الذي تعمدت عدم ذكره خجلا وهي تصف الصورة لـ C آنفا. قبل أن يتمكن چو من التعبير عن رضاءه بمقولة ناتي انطلق كليّم لائما:

- *يا إلهي! توقفي عن قول ذلك يا ناتي! لا يمكننا إنكار رومانسية العلاقة مجاراة لشخص أو محاباة له.*

علقت سيّن:

- *أتفق معك تماما يا كليّم، أما أنت يا چو فأقول لك: انتظر حتى يأتي دورك في مطارحة الغرام.*

انحنى چو لها صائحا:

- *سيدتي... ثقي تماما أنه في اللحظة التي أقع فيها في الحب سوف أمثل بين يديك ولتفعلي بي ما شئت.*

لم يدرك أحد في هذا الجمع أن المزاح قد ينقلب إلى الجد كما يحدث في أحيان كثيرة. ضحكت سيّن قائلة:

- *لنعتبر هذا رهان يا چو، ولن أرحمك ساعتها... أؤكد لك.*

تدخلت ناتي مغيرة مجرى الحديث:

- *يجب الإقرار بالفضل لكويمبي الذي ساعد في كشف المستور.*

ابتسمت له حيث يقبع في وحدته المخيفة. كانت هذه الابتسامة أجمل ما نعم به هذه الليلة، لكنها لم تجعله أسعد حالا الآن.

أوضحت سيّن:

- أجل. من حسن الحظ أنك قمت بزيارته اليوم يا كليّم.

تعجبت ناتي من جرأة سيّن على مناداته باسمه دون تكلف. أقر كليّم قائلا:

- نعم... والقادم أفضل... سأنتقل إلى هنا وأتقاسم الغرفة مع كويمبي.

فور سماع هذه الكلمات هم چو بمصافحته وابتهجت الفتاتان، أما كويمبي فقد بادر إلى الاعتراض قائلا:

- أنا... المعذرة... حقا... لكنك أخبرتني أنك تفضل البعد عن منطقة وسط المدينة؟

أجاب كليّم مسهبا:

- صحيح... لقد كانت هذه وجهة نظري في البداية حين عرضت عليّ هذا الأمر، لكن الآن وبعد التشجيع الذي وجدته منك والعثور على أصدقاء قدامى قررت أن أقبل عرضك يا صديقي، وهذا قرار لا رجعة فيه.

حالت النشوة التي شعر بها كليّم دون ملاحظته للوجوم الذي أصاب كويمبي. شرع الحاضرون عدا الأخير في الغناء كجوقة "أجل... سنُمضي وقتا سعيدا!" [١٨] تبلد كويمبي، لكن لم يمنعه ذلك من ملاحظة بريق عيني ناتي. لم يشاهد هذا البريق من قبل. لاحظ أيضا جمال خديها المتوردين وتعبيرات وجهها حين تنظر إلى كليّم، تلك التعبيرات التي لم يحظى هو بها مطلقا. لم يستطع منع نفسه من

---

[١٨] Oh, won't we have a jolly time شطر من أغنية Ridin' in the Street Cars لفريد ويلسون Fred Wilson، 1870. (المترجم)

التفكير. بعد استجلاء واقعة الشخص المنتحل صاحب رائحة المسك لابد أن تعلقها بكليّم قد زاد وربما اشتعل الغرام بينهما. لا يحتاج إلى قوة خارقة ليستنتج أن الفتاتين سوف تمضيان شطرا من الليل في حديث خاص حول هذه الخاتمة السعيدة وغير المتوقعة، أو أن ناتي سيجافيها النوم. الحب أعمى كما يقول بعض الناس، لكن الند والغريم لا يرى ذلك. أخيرا أنهى كليّم الأمسية قائلا:

- يا له من يوم سعيد! لا أعرف كيف أشكرك يا صديقي كويمي. سوف أعمل على الانتقال لمسكنك في أقرب وقت حتى أضمن أنه لن يغتصب أحد مكاني مرة أخرى. إلى لقاء قريب.

ودع الحاضرين متعمدا استبقاء يد ناتي في كفيه لأطول فترة ممكنة، ثم غادر وفي أثره كويمي بسحنته الحزينة وهيئته الكئيبة. صحيح أن كويمي دأب على ارتكاب العديد من الزلات، لكنه أدرك أن اصطحاب زميل الدراسة في زيارة لبعض صديقاته كان أفدح ما ارتكبه من أخطاء على الإطلاق!

الفصل الحادي عشر
لغة التلغراف تُربك الآنسة كلينج

أثقلت الآنسة بيتسي كلينج عقلها هذه الأيام، فبالإضافة إلى فيشبليت "الطوربيد" الذي رفض أن يشاركها حياتها، بل ولاذ بالهرب كلما رآها تقترب منه، هناك أمور أخرى استشعرتها غريزتها التي لا تخطئ. صحيح أنها تفتقر إلى التفاصيل الخاصة بها، لكن بقليل من التصنت يمكنها أن تقف على حقيقتها... من هذا الشاب الوسيم الذي ظهر فجأة في جناح السيدة سيمونسون؟! وما هي مهنته؟! علمت منها أنه صديق قديم لكويمبي وربما أيضا للآنسة آرشر أو الآنسة روچرز أو كلاهما، وأن والده بالغ الثراء. رشفت الآنسة كلينج قائلة بنبرة تعتريها الشكوك:

- *من الغريب أنه يسكن مع كويمبي! لم لا يستأجر غرفة بمفرده إذا كان والده موسرا؟!*

أوضحت السيدة سيمونسون:

- *إنهما صديقان.*

رشفت الآنسة كلينج مرة أخرى. لم تقتنع بالإجابة. تبدلت نبرة حديثها من التشكك إلى الازدراء:

- *هل لاحظت أن الآنسة روچرز تقضي جلة وقتها في جناحك عندما لا تكون في المكتب؟*

أجابت السيدة سيمونسون:

- *تربطها بالآنسة آرشر علاقة وثيقة.*

تابعت الآنسة كلينج:

– وأعتقد أن كويمبي والساكن الجديد يمضيان الأمسيات معهما هنا، أليس كذلك؟

أقرت السيدة سيمونسون بترددهما على المكان تماما كما يفعل السيد نورتون والآنسة فيشبليت:

– يبدو أنهم يمضون وقتا سعيدا!... شباب... تعرفين، ثم ما المانع؟ بالله عليك! لقد مررنا بهذه المرحلة ونلنا نصيبنا من متعها، أما الآن وقد هرمنا فقد حاصرنا القلق وشغلتنا الهموم.

لوت الآنسة كلينج شفتيها بعد التلميح إلى مسألة السن. شعرت بالإساءة التي لا يمحوها الاعتذار وانتابتها نوبة من العطس. علقت حالما توقف العطس قائلة:

– حسن... لا تحسبي أن ما يفعلونه سلوكا طيبا. لقد نشأت على الاعتقاد بأنه لا يصح أبدا اختلاط الشباب والشابات إلا في وجود من هم أكبر منهم سنا!

أُسقط في يد السيدة سيمونسون. لم تدر ماذا تقول بالضبط؟ اكتفت – كعادتها في هذه المواقف– بضحكة مصطنعة. أحست بالسعادة لأن المستأجرين طرفها يستمتعون بوقتهم، لكنها أحجمت عن البوح بذلك حتى لا تجرح مشاعر الآنسة كلينج. كانت غبطة السيدة سيمونسون بقدوم كليّم لا توصف حيث سعت في الحال إلى رفع إيجار غرفة كويمبي بمقدار دولار بحجة زيادة استعمال الأثاث. خشيت الآنسة كلينج أن تعود السيدة سيمونسون للحديث عن السن من جديد فودعتها إلى سيليستي فيشبليت وحملت عليها

هجوما لانخراطها في هذا الجمع. علمت الآنسة كلينج من سيليستي أنهم "يقضون وقتا ممتعا!" وأن السيد ستانود "شخص مذهل!" وأن الآنسة آرشر "غارقة في حبه، وأنه يبادلها نفس الشعور!" على حد قولها. تجدد عطش الآنسة كلينج قائلة في نفسها:

- *إذن هي الآنسة آرشر!*

كانت خطتها التالية هي محاصرة كويمبي المسكين في الردهة ثم توجيه سلسلة من الاستجوابات له فيما يتعلق بعائلة صديقه وإلى أي حد وصلت علاقة هذا الصديق بالآنسة آرشر؟ أصابها الذهول حين صاح كويمبي في وجهها قبل أن يلوذ بالفرار:

- *لا أعلم، ولا تسأليني!*

لم تشعر الآنسة كلينج بالراحة وهي تجلس وحيدة أمام المدفأة متحرقة شوقا إلى العثور على نصفها الآخر. شعرت بالحسد تجاه ناتي التي نشدت صحبتها حين استأجرت الأخيرة طرفها، لكنها الآن تذهب لتقضي الأمسيات في مكان آخر ولا تتفوه بكلمة عما يجري فيها، وإنما تكتفي باللازم من أصول اللياقة في الحديث معها. شعرت الآنسة كلينج بالكره تجاه ناتي لأنها فشلت في ابتزازها.

مثلت الأسابيع الأخيرة منذ ظهور كليم أسعد أيام ناتي التي طالما شعرت بالوحدة. فاقت سعادتها حتى تلك الأيام التي تحدثت فيها مع C عبر التلغراف وفكرت فيه وتصورت هيئته مع سيّن. بالرغم من ذلك يراودها أحيانا إحساس بوجود شيء ناقص على شبكة التلغراف وأن كليّم الذي جاء متطابقا مع تطلعاتها وتخميناتها ليس C، الشخصية التلغرافية التي عرفتها. أدركت أن أحد

هذه الأسباب إنما يُعزى إلى إخفاقها في التغلب على الخجل الذي ينتابها في وجوده والذي تحررت منه سيّن بشكل واضح. أدركت تماما أنه لا سبيل لمنافسة سيّن في الانطلاق وخفة الظل، وخشيت أن يُصدم كليّم فيها أو يشعر بخيبة الأمل تجاهها. لم تدرك حتى هذه اللحظة أن أساس هواجسها هو الأثرة، نفس الشعور الذي أشعل في قلبها الغيرة حين راحت سيّن تستخدم ضمير الجمع "نحن" يوم الوليمة. لقد كان C ملكا لها وحدها على التلغراف أما الآن فيبدو أن سيّن قد استحوذت على النصيب الأكبر منه.

زار كليّم ناتي مرتين في المكتب، لكنه لم يمكث للحديث حيث تصادف انشغالها الشديد في المناسبتين إلى أن حل يوم سبت مطير شعرت ناتي في ظهيرته بالسأم الشديد وتمنت من صميم قلبها لو أغمضت عينيها وفتحتهما لتجد عقارب الساعة تدق السادسة. فجأة لاحت خصلات كليّم المموجة من حافة مظلته المبتلة والتي راحت تتساقط من حوافها قطرات المياه. لابد وأنه لاحظ تورد ناتي حين رحبت به وشعر بالانتشاء حيال ذلك. ابتدرته سائلة:

- *هل بلل المطر ملابسك؟*

أرادت بهذا السؤال التقليدي أن تشتت انتباهه عن أمر لا حيلة لها فيه وهو احمرار خديها. أجاب ببشاشة وارتعاشه بسيطة واضعا مظلته وقبعته في أحد زوايا المكتب:

- *يبدو كذلك. لقد كان متجر الشركة مملا اليوم ففكرت في العودة إلى سابق عهدي. ألا تتمنين أحيانا أن أعود إلى Xn وأيام الصحبة القديمة عبر التلغراف؟*

على الفور وبدون ذرة تفكير أجابت ناتي وهي تقدم مقعدا للزائر:

– *أجل! كثيرا ما تمنيت ذلك بالفعل.*

نظر إليها كليّم وقد تغير وجهه على نحو طفيف:

– *لا أعرف هل هذه مجاملة أم ماذا؟*

رمقته ناتي وقد حمل وجهها علامات عدم الفهم. تابع كليّم:

– *سأعتبرها مجاملة لقدرتي على اكتساب الحظوة في عين الآخرين عن بعد، لكن...*

هز كتفيه ثم واصل:

– *لا أستسيغ الشعور بأنه كلما بعد المرء كلما زادت معزته!*

سارعت ناتي بالشرح:

– *يا إلهي! لم أقصد ذلك بأي حال على الإطلاق! فقط... كنت أحظى بصحبتك لفترات أطول عبر التلغراف!*

أرضت مقولتها غرور كليّم فبدا مسرورا. ما إن هم بالكلام حتى قاطعت ناتي قائلة وقد احمر وجهها مجددا:

– *أؤكد لك أن ما عنيته هو أن علاقتنا عبر التلغراف كانت جد مختلفة، وكنت أتحدث معك بارتياح أكثر! لا أدري ماذا أقول؟!*

أحست بالخجل فتوقفت عن الكلام. نظر كليّم إليها مبتسما. استلم جهاز البرق قائلا:

– *دعينا نرى انسياب الحديث عبر التلغراف.*

كتب لها:

– *مساء الخير. أخبريني بصراحة وأريحي عقلي... هل أروق لك؟*

استقبلت ناتي الجهاز الذي تركه كليّم الآن وأجابت دون النظر إليه:

– *أجل. والآن افترض أني سألتك نفس السؤال... ماذا تجيب بأمانة ودون مجاملات؟*

كتب كليّم وقد ثبت عينيه على المرجاس:

– *أجيب أني وجدت ما توقعت تماما!*

تقابلت عيناهما فنهضت ناتي على الفور متجهة إلى النافذة دون هدف واضح. سار كليّم في أثرها قائلا:

– *الحديث ألطف عبر التلغراف، أليس كذلك؟*

أعفي عامل تشغيل ناتي من ضرورة الإجابة حين اقتحم الخط قائلا:

– *من الذي تفوه بهذه الترهات منذ ثوان؟ غير مسموح بهذا الكلام الناعم هنا!*

ردت ناتي:

– *ما هذه الوقاحة؟!*

بادر كليّم إلى المفاتيح قائلا:

– *يبدو أنه صديقنا ذو الشعر الأحمر.*

كتب إلى السائل المجهول:

– *وما شأنك طالما لا يوجه أحد إليك كلاما ناعما أو كلاما فارغا؟!*

جاءه الرد:

– *يبدو لي أن هذا أسلوب C، أليس كذلك؟*

نظر كليّم إلى ناتي قائلا وهو يضحك:

- *يبدو أن أسلوبي مميز جدا ويتم اكتشافه بسهولة على الشبكة.*

أرسل كليّم:

- *إذا كشفت عن هويتك فسوف أخبرك من أكون.*

- *Em.*

عقب كليّم:

- *آه!*

كشف عن هويته في الحال، ثم تبادل أطراف الحديث لفترة وجيزة مع Em. حاولت الأخيرة معرفة المكتب الذي يرسل منه، لكنه رفض الإفصاح عنه. بعد أن ودع Em. أغلق المفتاح ثم نظر إلى ناتي قائلا:

- *يجب أن يكون لدينا شبكة خاصة بنا... بما أن سعادتنا مرتبطة بالحديث عبر التلغراف.*

تجول بنظره في أركان المكتب ثم تابع:

- *أرى أن لديك مفتاحا ومرجاسا.*

أجابت ناتي:

- *أجل. من بقايا شبكة التلغراف التي كانت ممتدة بمحاذاة السكة الحديد. عندما تم تفكيكها خزنوا الأدوات هنا.*

استفسر كليّم وقد لمعت عيناه البنيتان:

- *هل يمكن أن تستعيرهما... لنقل للتدرب في المنزل؟*

ردت ناتي:

– *إذا طلبت تصريحا بذلك فسوف أحصل عليه دون شك.*

سألت بفضول:

– *لكن، ما الذي يدور في عقلك؟*

أجاب كليّم مبتهجا:

– *لدي فكرة رائعة! لا تنزعجي... تعرفين كم أحب المغامرات! لدي مفتاح ومرجاس من مخلفات الدراسة، ومن ثم يمكننا إنشاء خط تلغراف بين غرفتينا. سأتولى مد السلك وتوفير بطاريات الشحن، وبذلك يمكننا التواصل بحرية عن طريق الوسيلة القديمة الخلابة عندما تكون سيّن في الخارج أو تعذر علينا التزاور في الأوقات التي قد تبدو غير مناسبة.*

لاقت الفكرة قبولا واستحسانا لدى ناتي دون شك، لكنها عقبت بشيء من التردد:

– *لكن، الآنسة كلينج لن...*

قاطعها كليّم في إصرار:

– *لتذهب الآنسة كلينج إلى الجحيم!... أعتذر عن هذا التعبير، لكنها تستحقه. لا داعي لأن تعرف. سأقوم بإعداد كل شيء، وليكن هذا سرا بيننا. يمكنك إخبارها لتبرير وجود هذه المعدات في غرفتك بأنك تتدربين عليها، بل ويمكنك إيهامها بأنك تعلمين شخصا آخر عليها، لنقل سيّن مثلا التي ستسر كثيرا لهذا الأمر على حد علمي.*

أقرت ناتي:

– *هذا أمر شيق، لكن...*

قاطعها كليّم مبتسما:

– دعك من "لكن" هذه. لن أسمح بأي اعتراض. لدينا الأدوات، وما عليك إلا إشعاري بأول خروج للآنسة كلينج ثم دعي الباقي عليّ.

وعدته ناتي أن تفعل. أرادت أن تحرك الماء الراكد في حياتها وتاقت إلى أحاديثها الخاصة مع C الذي لا يشاركها أحد فيه. التغيير سنة الكون كما يقولون...

هبت عاصفة عتيدة على المدينة. جاهدت ناتي للوصول إلى المكتب صباح ذاك اليوم. تمنت لو بقيت في المسكن في هذا الجو السيئ. ما أتعس المرأة في مواجهة عواصف الطبيعة وعواصف الحياة! في الأولى تضطر هذه المخلوقة المسكينة مهيضة الجناح إلى جر تنورتها الطويلة بمنأى عن الطين بينما يلهو الهواء بملابسها، وفي الثانية تجابه التحيز والتمييز ومعوقات أخرى من كل صنف ولون. تمنت ناتي لو حظيت بقدر أكبر من الحصافة للتعامل مع هذا العالم. في طريق عودتها إلى البنسيون لم تتبرم ناتي من هبوب الريح، بل استمتعت بهطول المطر ذلك لأن كليّم رافقها في رحلة الإياب. مشى لصيقا بها ممسكا بمظلة المطر. ما إن شاهدتهما الآنسة كلينج لحظة دخولهما البنسيون معا وقد ابتلت ملابسهما وداعبت الفرحة وجهيهما حتى قطبت جبينها. ربما عادت هي نفسها يوما إلى منزلها في الأيام الخوالي تحت مظلة شخص متيم أو ما شابه، لذا فهي تدرك لذة هذا الشعور. لم تلتفت ناتي لهذه النظرة الكريهة في عيني صاحبة المسكن وصدحت بأغنية سعيدة بينما راحت تغير فستانها الموحل. سرت سيّن بالطبع

فور معرفتها بفكرة شبكة التلغراف المقترحة وانكبت في الحال على دراسة شفرة موريس.

قالت موجهة حديثها لناتي:

- أفضل ما في الموضوع أننا سننأى عن فضول هذه المرأة وعينيها المتطفلتين.

ردت ناتي:

- إذا استطعنا ذلك!

عقبت سيّن بثقة كبيرة:

- يا إلهي! لكن كليّم أكد هذا الأمر!

هزت ناتي رأسها متشككة:

- إنها "حشرية" جدا!

سلمت سيّن قائلة بنبرة من الاستياء والغضب:

- أجل. إنها من أحقر الشخصيات على وجه البسيطة. هدفها الأساسي في الحياة هو الغيبة والنميمة! لا أدري لم؟ الحياة قصيرة، لا تكفي حتى للاعتناء بأمورنا الخاصة! كم أتمنى أن تنتقلي للإقامة معي!

ردت ناتي ناقمة:

- هذه أمنيتي أنا أيضا، لكن السيدة سيمونسون لا تجرؤ على إنفاذ هذا الأمر. لا يخفى عليك أنها تخشى الآنسة كلينج.

غيرت ناتي الموضوع قائلة بشيء من البهجة والسرور:

- حسن! على أي حال، سوف يكون لنا شبكة تلغراف خاصة بنا وسوف نجتهد حتى لا تكشف الآنسة كلينج أمرها.

سرعان ما أفسحت هذه الشخصية المريعة لهم المجال حين عقدت العزم على الخروج مع بعض أصدقائها علها تعثر على مبتغاها. ما إن غابت عن الأنظار حتى ظهرت الأدوات وشرع كليّم في العمل. هب چو لمساعدته طواعية، وكذلك مد كويمبي يد العون. اعتبر الأول مد السلك عملا جافا لا يرقى إلى الأحاسيس التي تنتقل من خلاله، أما الأخير فقد اعتبر هذه الترتيبات حلقة بالغة الأثر في علاقة منافسه بناتي.

ملأ كويمبي أذن الحاضرين صخبا حول إمكانية استبدال خط التلغراف بهاتف يمكن لأي شخص استخدامه بسهولة وتلقائية. أوضح كليّم أن هذا الأمر تحديدا هو ما يسعون إلى تجنبه. شرع كويمبي في العمل وقد انتابه شعور بأنه ضحية، هذا الإحساس الذي تملكه منذ أن ساعد بقلة حنكته على خروج C إلى النور، لكنه استمرأ هذه الحالة على حد قوله. بالرغم من ذلك رأى كويمبي بصيص من الأمل في نهاية النفق. ربما خلبت سيّن عقل كليّم وأسرت قلبه كما تفعل بكل من يراها. من المحتمل أن ينضم كليّم إلى طابور المعجبين بها. إنه يتكلم معها أكثر مما يتحدث مع ناتي!

أقاموا رفا صغيرا خصيصا للمعدات خارج دولاب ناتي ومدوا السلك منه إلى الردهة بمحاذاة الحائط كي لا يتم اكتشافه حتى الطرف الثاني في حجرة كويمبي حيث تحللوا من القيام بأي إجراءات للإخفاء والتمويه لأن ثمة من تطوع فأفشى بالسر للسيدة سيمونسون. توجست السيدة سيمونسون في البداية من الآنسة كلينج وخشيت أن تقوم الأخيرة بصب جم غضبها عليها إذا اكتشفت الأمر. في النهاية لم تبد اعتراضا. انحازت لهم وتركتهم يمضون في العمل بعد أن

حصلت على تأكيد بأن الكهرباء التي تمر في السلك لن تتلف السجادة أو تجرح المائدة. أخفوا الشواحن بعيدا عن ناظريها حتى لا تفزع وتغير رأيها. نجح كليّم أخيرا من إنهاء العمل بسرية تامة، حتى سيليستي لم تعرف بهذا الأمر. علق قائلا:

– *والآن يا كويمبي لن نبتاع منبها كما انتوينا.*

أجاب الأخير في ذهول:

– *عفوا، لكن لم أفهم تماما ما تعني؟!*

أوضح كليّم ضاحكا:

– *من الآن ستقوم ناتي بإيقاظنا. إنها تنهض من أجل العمل في الصباح الباكر. سأطلب منها إيقاظنا باستخدام التلغراف في السادسة والنصف وأن تواصل الدق حتى أجيبها.*

عقبت ناتي:

– *بكل سرور، لكن لا أريد أن يسبني أحد، فكثير من الناس يرون في الاستيقاظ المبكر أمرا منغصا لحياتهم.*

رد كويمبي على الفور وقد راقت له فكرة المنبه:

– *هذا الأمر لا يزعجني. سنسعد بذلك. أؤكد لك.*

علق كليّم موجها حديثه لناتي:

– *سأشي به لديك إذا أظهر أي نوع من التبرم بعد هذا التأكيد من جانبه.*

استفز هذا التعليق كويمبي. أكله الغيظ من داخله. لم يكن متأكدا على وجه الدقة من حقيقة شعوره عند السادسة والنصف من صباح كل يوم! وهل

سيتكيف مع هذا الأمر أم لا حتى ولو كان من يوقظه هو المرجاس الذي ينقل وقع أصابع حبيبته؟ ارتفعت معنويات ناتي ذاك اليوم. انطلقت بسعادة إلى غرفتها قائلة:

- *والآن لنفتتح الشبكة.*

بعد حديث دام لنصف ساعة مع C ألقت بنفسها على الفراش واستسلمت للنوم. ظلت على أعصابها طوال الأسبوع الذي أعقب تركيب خط التلغراف وتوقعت حدوث الانفجار كل يوم وقت عودتها من العمل، لكن شيئا لم يحدث. فقدت الآنسة كلينج حدة البصر التي كانت تتمتع بها آنفا. أرهقت عينيها في مراقبة جيرانها، أضف إلى ذلك أن السلك كان رفيع والردهة خافتة الإضاءة، كما لم يكن لديها نسخة إضافية من مفتاح حجرة ناتي. صحيح أنها سمعت صوت طقطقة المرجاس، لكن ناتي أبلغتها أن الغرض منه هو التدرب. عقبت بحدة على الأسباب التي ساقتها ناتي قائلة:

- *أعتقد أنك تحصلين على قدر كاف من التدريب في المكتب، لذا لا أرى ضرورة لتمضية الليالي في هذه الطقطقة.*

أدارت ناتي وجهها لتخفي احمرار خديها. أدركت بالقطع أن حديثها مع C يأخذه الحماس أحيانا إلى ما بعد منتصف الليل، لكن من أجل ذلك شرعا في مد الخط الجديد، ولا ينبغي لهما تركه ليصدأ من قلة الاستخدام. كان كويمبي أشد المتضررين من شبكة التلغراف الجديدة. راح يستنزل اللعنات على رأس الشخص الذي استنبط شفرة مورس الأمر الذي أدى بدوره إلى ظهور التلغراف.

أحس بالغيرة كلما تواصل كليم مع ناتي عبر الأسلاك. لم يفهم شيئا من أحاديثهما ولم يستطع النوم وهذا القرع يدوي في أذنيه مما أفقده الشهية للطعام.

لم تشأ سيّن أن تبقى بعيدة عن دائرة الاهتمام فشرعت في دراسة التلغراف وأقنعت چو بالانضمام إليها. انكبا على التعلم بنهم. بدا واضحا أن چو لا يمانع في الانقياد وراء سيّن، ربما في الأمور التي تخلو من الرومانسية. تفوقت سيّن عليه وسرعان ما اكتسبت قدرة معقولة على الاتصال بناتي، فتارة تطلب منها الحضور إلى غرفتها وتارة تسر إليها بمعلومة ودوما جن جنونها وهي تحاول استيعاب إجابة ناتي رغم مراعاة الأخيرة الإبطاء في إرسالها.

حثت سيّن كويمبي على مجابهة مخاوفه تجاه هذه الأبجدية الصوتية التي تأتلف من النقاط والشرط، لكنه نكص على عقبيه. غالبا ما سعى كويمبي إلى تمييز نفسه في أمور ومناسبات أخرى لا تحتاج مهارة أو مجهود، فمثلا حين قرر الرفاق إعداد حلوي المولاس[١٩] كدأبهم خص نفسه بقدر كبير منها. شعر بعدم الارتياح حيال المحادثة الخاصة التي كانت تجري في نفس اللحظة بين كليم وناتي فشرد عقله وراح يضع الحلوى في جيبه عوضا عن الطبق لتبرد وهو ما حدث بالفعل، لكنه باع المعطف فيما بعد إلى صبي في مكتب المحاماة الذي يعمل به. في مناسبة أخرى لتناول حلوى المولاس التصقت يداه. كان يتعين عليه وضع نقطة من الزيت على راحتيه، لكنه لم يفعل ووجد الحاضرون صعوبة بالغة لفصل يديه عن بعضهما، أما هو فقد اكتفى بترديد عبارته الشهيرة:

- *لا يهم. لقد اعتدت هذه الأشياء كما تعرفون.*

---

[١٩] العسلية. (المترجم)

مما زاد الطين بلة أن حفنة من الحلوى الدافئة سقطت عفويا من يده على رأس سيليستي وتفاقمت الأمور حين خاطبها قائلا:

– *اذهبي بسرعة وانقعي رأسك.*

صحيح أن هذا ما فعلته في نهاية المطاف، لكنها لم تستسغ هذا التعبير لأن له معنى دارج. [٢٠]نظرت إليه شذرا. يمكن الجزم بأن هذه أول مرة ترمق فيها سيليستي رجل على هذا النحو الغاضب. اندفعت من غرفة إلى أخرى ثم اختفت عن العيون لبقية المساء. قرر الحاضرون عقب هذه الواقعة المشهودة جلوس كويمبي على مقعد البيانو في ركن من أركان الغرفة كلما طاب لهم عمل حلوى المولاس وحتى الانتهاء من إعدادها، ولم يكن أمام كويمبي بد من الإذعان لهذه القواعد.

لم تعرف السعادة طريقا إلى قلبه في تلك الأيام، فمن ناحية حاصرته سيليستي بعد أن فقدت الأمل مؤخرا في الرجال جميعا ولم يعد أمامها غيره فأوقفت حياتها عليه، ومن ناحية أخرى نهشت الغيرة من كليّم قلبه. لم يشعر به أحد سوى سيّن. غفل كليّم عن هذا الأمر تماما. استقر في وعيه أن كويمبي صاحب شخصية متفردة في صفاتها، لذا لا تدعو الحالة التي يمر بها إلى الاستغراب أو الدهشة، وأما سيليستي فقد خمنت أنه يمر بحالة من الغرام والهيام وشطح خيالها المريض فرأت نفسها معشوقته وملهمته. لم تهتم ناتي بالأمر أساسا، لكنها ذهبت إلى الاعتقاد بأن كويمبي قد برأ تماما من الحمق الذي وصمه سالفا حين حاول الإعراب عن وجده، وأما چو فلم يكن متهيئا بطبيعة

---

[٢٠] Go soak your head، ويعني بالدارجة المصرية "هوينا، وزعنا". (المترجم)

الحال لهذه الملاحظات الخاصة بالحب والمشاعر المتوهجة المتقدة لأنه يناوئها وينأى عنها، فما كان منه إلا أن تبنى رأي كليّم فيما يتعلق بنهج كويمي الخاص وأسلوبه المميز.

يا للعجب! إذا كان چو لا يرى في الحياة إلا الحقائق البسيطة المجردة من أي عاطفة كما يدعي، فما الذي دفعه لتصوير وجه سيّن المشرق في العديد من أعماله الأخيرة؟! لقد زعم أن الأمر لا يتجاوز كونها نموذجا جيدا للدراسة! أهذا ما دعاه أيضا إلى التقرب من عالمها مؤثرا التواجد معها عما عداه، فتارة يستمع بكل جوارحه لها وهي تغني وتارة يشعر بالانزعاج من كليّم حين يستحوذ الأخير على نصيب مستفيض من اهتمامها؟! حرص على التأكيد غير مرة أن سيّن مجرد صديقة تتوافق روحها مع روحه وتميل مثله إلى الأمور غير المألوفة أو العادية لا أكثر من ذلك ولا أقل، فلا هو بالشخص العاطفي ولا هو بالإنسان الغيور، لكن بالرغم من ذلك – ولسبب غير مفهوم– لم يحتفظ چو برباطة جأشه ولم يكن متوازنا في مشاعره أو متحكما فيها كما هي عادته دائما فأحيانا يبدو سعيدا جدا ومرات يظهر محبطا ومكتئبا. إذا لم تكن هذه شرارة الحب الأول الذي ينكره، فربما للأمر علاقة بشهيته للطعام، ولابد أنه يعاني من عسر الهضم؟!

لو تيسر للآنسة بيتسي كلينج الوقوف على حقيقة ما خفي عنها ووضع يدها على علة ما يدور حولها لشعرت بكثير من الارتياح، لكنها فشلت حتى في معرفة أي الفتاتين يغازل كليّم وأيهما يلهو بمشاعرها؟ أضج هذا الأمر مضجعها، لكنها تمنت أن ينتهي بفضيحة مجلجلة. لم يسعفها الفضول هذه

المرة ولا استرقاق السمع في الحصول على المعلومات التي تنشدها مما سبب لها إحباطا شديدا. كل ما تعلمه يقينا أن الجميع حولها – وربما العجوز فيشبليت– يقضون وقتا سعيدا. ثم جاءت إحدى الليالي التي سمعت فيها ناتي تتمني لسيّن ليلة سعيدة. أرهفت السمع فالتقطت بضع كلمات لكليّم جعلت شعر رأسها يقف:

– *من فضلك يا ناتي... هل يمكنك إيقاظي غدا مبكرا عن الموعد المعتاد؟*

حدثت نفسها كمن وجد ضالته:

– *توقظه... جيد!... ثمة أشياء تحدث هنا!*

تابعت المسير قافلة إلى غرفتها:

– *لقد سمعت صوت طقطقة ذات يوم بالرغم من عدم وجود ناتي في غرفتها. لا تعمل الآلات من تلقاء نفسها؟! حدسي ينبئني بأن أمور غريبة تجري في هذا المكان!... وسوف أكتشفها وإلا لا أستحق أن أدعي بيتسي كلينج. توقظه... حسن! حسن جدا!*

الفصل الثاني عشر
"قفلة" في خط الاتصال

لم ينقضي وقت طويل حتى قامت سيّن بالغناء في واحدة من أكبر قاعات الحفلات الموسيقية بالمدينة، حضرها بالطبع لفيف من شباب بنسيون نورمان بالإضافة إلى السيدة سيمونسون. حققت سيّن نجاحا مبهرا وطلب الجمهور

منها الإعادة غير مرة. لم تدرك ناتي عظمة وتألق صديقتها بشكل واف قبل هذه الليلة، لكن لم يفوتها أيضا ملاحظة انبهار كليّم بها الأمر الذي كسا وجهها بالجد والوجوم فبدا غريبا وسط هذا المشهد المبهج. أما سيليستي فقد شعرت بالحسد الشديد، ولولا اشتمال الحفل على الرجال لكلح وجهها بشكل كبير. جاهدت لتحافظ على ابتسامتها المعهودة وسرت عن نفسها بإغاظة كويمبي بهمسات من على شاكلة:

- كيف تخرج على الملأ بهذا الشكل؟ هذا أمر لا يليق بامرأة!

رد كويمبي دون أدني فكرة عن ما تفوهت به:

- خلابة حقا!

كان تركيزه منصبا على سيّن وبهدوء راح يستمتع بجمالها وجاذبيتها فتعذر عليه استيعاب فكرتين في آن واحد. سأل نفسه:

- ما جدوى الوقوع في حب فتاة يُغرم بها غالبية الرجال؟ وهل هذا الأمر مقبول في الأعراف العامة؟!

أما السيدة الطيبة سيمونسون فقد ملأها الفخر بنزيلتها وانعكس ذلك على تصرفاتها مما ترك انطباعا لدى الجمهور حولها أنها والدة المغنية. أما چو "اللا–عاطفي" فقد حركت الموسيقى مشاعره لأنها في النهاية نوع من الفن، كما أنها حاضرة بقوة في أعماله وحياته... لكن أليست سيّن أيضا مخلوقة جميلة من صنع الله وجزءا من الطبيعة التي هي أم الفنون؟ في تلك اللحظة نزلت سيّن على طلب الجمهور بإعادة المقطع الأخير من الأغنية فهمس كليّم في أذن چو قائلا:

- ياله من شخص محظوظ هذا الذي سيحظى بسيّن ويقترن بها!

– *ماذا!*

هكذا صاح چو بانفعال لفت نظر المشاهدين. اتسعت حدقتا عينيه مضيفا:

– *لا! هذا هراء!*

بعد هذه الكلمات أحس چو بوقع الموسيقى كئيبا بشكل ما أو بآخر وأصاب الصداع رأسه في هذه القاعة المغلقة. أمر طبيعي فقد أنهك نفسه في العمل اليوم، لذا حل عليه التعب. سأل نفسه متعجبا:

– *هل يسعى كليّم إلى استثمار وسامته في التقرب من سيّن؟ إذا كان هذا صحيحا، فهي ليست بهذا الحمق وتلك السذاجة لكي...*

انتبه چو من تأملاته عند هذه النقطة... إن الأشياء التي لا يُحسب حسابها تحدث. ما الذي أثار فيه هذه الانفعالات؟ العاطفة أم خوفه على سيّن وحرصه ألا تندفع إلى زيجة دون تبصر أو هدى. لم يستطع طرد هذه الأفكار من عقله طيلة الحفل فبدا ممعن التفكير شارد الذهن، بيد أنه شعر بسعادة غير مسبوقة في غضون مرافقته للسيدة سيمونسون في طريق العودة إلى البنسيون. انفجر في ضحك هستيري حتى انحلت ثلاثة من أزرار سترته والتقط أنفاسه بصعوبة بالغة. سار كليّم وناتي خلف الجمع الذي شهد ضحكات چو وقهقهة سيليستي الخالية من أى معني وهي تتشبث بذراع كويمبي الذي استمع إلى أحاديثها على مضض. سأل كليّم ناتي:

– *لماذا تبدين غارقة في التفكير الليلة يا ناتي؟*

جفلت قائلة:

– *لا أدري. هل أبدو كذلك؟*

أجاب كليّم:

- *أجل. لم تتفوهي بكلمة طول الطريق. هل هناك ثمة ما يعكر صفوك؟*

انتابتها حالة مزاجية خاصة وطأطأت رأسها في الأرض فلم تلحظ القلق والتخوف في عينيه. أجابت:

- *لا شيء!*

انطلقت بكل حواسها موضحة:

- *سئمت العيش دون هدف ومللت الروتين اليومي. ألا يوجد في العالم مكان أفضل لي؟ هل كُتب عليّ أن تنقضي حياتي على هذا النحو؟ هذا الأمر يثير سخطي!*

توقف كليّم محملقا في وجهها الممتقع ثم قال برقة:

- *لم أدرك من قبل هذه التعاسة التي تتحدثين عنها يا ناتي.*

أجابته وقد توقفت أيضا عن السير:

- *يا إلهي! لست تعيسة، لكني ساخطة.*

علق كليّم:

- *أشعر أن في كلامك تناقض.*

تابعا السير فأردف:

- *هل لديك مشاكل في العمل أو تتعرضين لمضايقات في المكتب. أيتها الفتاة المسكينة. أعلم أنها جو العمل رتيب!*

تورد خداها نتيجة للعذوبة التي حملها صوته. أجابت ببعض الوجل والارتجاف:

- *هذا شق، لكن ما أنشده هو هدف أتعلق به كما هو الحال بالنسبة لسيّن. لدي طموح، لكن وضعي الحالي لا يحقق لي الرضا. تتملكني دوما هذه الحالة من الشعور المضطرب. لو أني أتمتع فعلا بقدر من الذكاء فيجب أن أفعل شيئا يدفعني للأمام، لكن ما هو!*

ألمح كليّم:

- *أتذكر ذات مرة أنك أعربت عن رغبتك في امتهان الكتابة، فلم لا تحاولي؟*

حين وصلا إلى مدخل البنسيون توقفا هناك لبرهة. كان الجمع أمامهما قد اختفى بالفعل داخله. ردت ناتي بنبرة متشائمة:

- *يبدو أنه لا يوجد بصيص من الأمل في أي اتجاه.*

علق كليّم وهو يستحضر الفرق بين نجاح سيّن المبهر وتخبط ناتي المحزن:

- *ليتك تدركين أن الانتظار لا يُجدي. إذا كان العالم قوقعة مغلقة فعلينا فتحها. ألم تفعل سيّن ذلك؟*

أمسك يدها وهو ينهي كلماته، لكنها سارعت بسحبها قائلة بشكل مفاجئ وبغيرة واضحة:

- *آه! سيّن! بالطبع... تعتقد أني لا أرقى إلى حد مقارنتي بها!*

نظر كليّم إليها للحظة. حمل وجهه بعض الانفعالات. هم بالرد لولا أن الآنسة كلينج فتحت الباب قائلة بحدة بعد أن فشلت في التسمع من وراءه:

- *هل تزمعين الدخول يا آنسة روچرز؟*

أجابت ناتي في التو:

– *بالتأكيد.*

أحست بالخجل بسبب الغيرة التي أظهرتها:

– *طابت ليلتك يا كليّم.*

احتجزها سائلا:

– *ألن تأتي لتهنئة سيّن بنجاحها؟ أعتقد أن هذا هو صوت الحنطور الذي يقلها.*

ردت ناتي على الفور:

– *ليس الليلة، ربما غدا.*

همت بالمغادرة قبل أن يلح في طلبه ويصر عليه. أغلقت الآنسة كلينج الباب وراء ناتي قائلة:

– *يا إلهي! هل من كان برفقتك هو السيد ستانود؟*

أجابت ناتي باقتضاب:

– *نعم.*

عطست الآنسة كلينج معلقة:

– *لا أدري كيف سمحت الآنسة آرشر بهذا الأمر!*

مسكينة ناتي! كانت أعصابها مشدودة بشكل كبير تلك الليلة. علقت ببرود وبشيء من الدهشة:

– *وما الذي يجعلها تمانع؟!*

ردت الآنسة كلينج على سؤالها بسؤال:

– *تحاولين إيهامي بأنك لست على دراية بما يجري؟*

أكملت وفي عينيها نظرة ماكرة:

- *الكل يعرف أنهما في حكم الخاطبين.*

شحب وجه ناتي وتلعثمت وهي تقول:

- *أعتقد... أعتقد أنك مخطئة.*

عقبت الآنسة كلينج بثقة:

- *مخطئة؟! كلا بالطبع. هذا شيء واضح لأي شخص، ويمكنك رؤيته بأم عينيك! إن أفعال السيد ستانود تنبئ باهتمامه بها. تقول السيدة سيمونسون أن الآنسة آرشر لا تفكر في سواه منذ أن حل بجناحها، كما أكدت لي سيليستي الأمر نفسه منذ فترة طويلة. على أي حال أحسب أن الآنسة آرشر لا تمانع في مرافقته لك حتى البنسيون لأنها بالطبع لا تشعر بالغيرة منك!*

حملت كلمات الآنسة كلينج في ثناياها وبين طياتها بعض التهكم فبدت أبعد ما تكون كل البعد عن المجاملة. هكذا شعرت ناتي فحاولت عبثا الحفاظ على رباطة جأشها ووتيرة صوتها:

- *ربما كنت على صواب.*

انطلقت ناتي إلى حجرتها وأغلقت الباب خلفها ثم مر أمامها شريط الذكريات: الحب الأول في حياتها وتأزم العلاقة حين خرج عليها صاحب الشعر الأحمر والفرحة التي أحدثتها عودة C في شخص كليّم والرغبة العارمة لعودة الاتصال بينهما عبر التلغراف كي تحتفظ به لنفسها وغيرتها التي جاهدت لإخفائها... ما معنى أن تهيم به بينما يغرم هو بسيّن كما يدّعون؟ يا للأسى! من يستطيع تجنب الوقوع في حب سيّن الجميلة والمبهرة من أول نظرة؟ ليس

الخطأ خطأ سيّن. لا يمكن أن تكره سيّن وتحقد عليها وتتحمل عبء هذا الذنب لمجرد أن صديقتها تفوقها جاذبية وبهاء. إذا كان كليّم مغرما بسيّن فا لينزل الستار على هذا المشهد الحزين من قصة حبها ولتُطفأ الأضواء ويعم المكان الظلام... تمنت ناتي من صميم وجدانها أن يثبت عكس ذلك. تذكرت ولعه الزائد بها وحديثهما معا وامتداحه لجمالها الأخاذ ومواهبها الفذة. أجل لابد وأنه غارق في حبها! يا إلهي! لماذا تحصل سيّن على كل شيء وتحصل هي على رجع الصدى وحصاد الهشيم؟ لماذا تحظى امرأة بطريق فسيح ومشمس ومفروش بالورود بينما تطأ أخرى الشوك في درب متعرج ومظلم وغير ممهد؟ هل كُتب عليها أن تعيش وحيدة وناقمة، وأن تمضي حياتها كلها بين حوائط مكتب التلغراف؟ هل هذا كل ما خبأه القدر لها في جعبته؟ هاجمتها كل هذه الأفكار فرفعت رأسها قائلة في كبرياء:

- *كلا!*

حدقت أمام المرآة في عينيها الحمراوين المنتفختين مردفة:

- *سوف تعطيني الحياة ما هو أفضل من ذلك. إن لم يكن الحب فربما تكون الشهرة! وسوف أعمل وأثابر حتى أحقق ما أرنو وأصبو إليه!*

بالرغم من شحذ همتها ومضي عزمها نامت ناتي تلك الليلة ودموعها على خديها، فليس بالأمر الهين أن تولي ظهرك للحب وتشق سبل الحياة محروما من أجمل ما فيها من ثمار. تغيرت نظرتها للأشياء والأشخاص حولها وشملت حتى كويمبي رغم كل ما فيه من عيوب. استوطنت ظلال القلق والكآبة وجهها وغيمت على عينيها الرماديتين وأطبقت ثغرها. تلمستها الصحبة المجتمعة

كالعادة في صالون سيّن، لكنهم افتقدوها كثيرا عن سابق عهدها. اختلقت الأعذار لغيابها وحصرت حديثها - حين انضمت إليهم من حين لآخر- مع كويمبي أو چو وأي فرد آخر عدا كليّم الأمر الذي أثار تعجب سيليستي. تغيرت كثيرا من ناحيته وفاءا بالعهد الذي قطعته على نفسها. خشيت أن يضعف قلبها في حضوره فيعصف بها الألم... ولأنها أدرى بخلجات نفسها، فقط جاهدت لتجنبه بكل طريقة ممكنة حتى على شبكة التلغراف حين حاول الاتصال بها متذرعة دوما بأنها إما متعبة أو مشغولة.

تملكت الدهشة والحيرة كليّم نتيجة لهذا التغير الذي لم يجد له مبررا. جاهد في البداية ليتغلب على جمودها، لكن صدها المتكرر جعل مشاعره تتبلد مثلها، فاتجه إلى سيّن وزادت فترات حديثه ومزاحه معها. عبرت وجهه أحيانا بعض الظلال التي كست وجه ناتي، لكن الأخيرة لم تلحظ هذه الشجون لأنها انغمست في تدبير شئونها الشخصية. في المقابل ارتفع سقف آمال كويمبي بعد هذه المستجدات، ومن ثم وجدت السعادة طريقا إلى قلبه من جديد. أما چو فقد بدا - ولسبب غير مفهوم- غريبا متقلب المزاج، فيوم سعيد وآخر ساخر وثالث نكد المزاج.

لم يفلح كيوبيد في لم شمل المحبين بعد أن توزعت القلوب على خطوط الاتصال الخاطئة! حتى سيّن غفلت عن حب كليّم لها كما يدعي البعض، كما غفلت أيضا عن ما اعترى چو من خواطر تجاهها وكيف تبدل حاله حتى يظن من يعرفه أنه غارق في الحب لأذنيه، لكنها لم تغفل عن الجمود المتنامي الذي أصاب علاقة ناتي بكليّم الأمر الذي أشعرها بالأسى. تابعت بشغف هذه

العلاقة التي بدأت بشفرة مورس حتى أينعت ثمارها، أما الآن فلا تعرف لماذا فشلت توقعاتها الأمر الذي سبب لها انزعاجا شديدا. اجتهدت كما يفعل عمال إصلاح خطوط التلغراف للوقوف على موضع "القفلة" في العلاقة، لكنها خلصت إلى صعوبة السيطرة على العلاقات الغرامية بكافة أشكالها أو التحكم فيها. في إحدى الأمسيات التي جمعتها بكليّم وناتي التي أخرجتها قسرا من وحدتها بالغرفة، قالت سين:

- *يبدو لي أنكما لا تستخدمان الشبكة كثيرا كسابق عهدكما، ولولا أني أرسل ببضع كلمات من حين لآخر لأصابها الصدأ من قلة الاستخدام. لماذا؟! لطالما سمعت الطقطقة حتى ساعات متأخرة من الليل، لكن الآن..."*

حملت ناتي عبء الحديث والرد قائلة:

- *لقد صرنا أكثر عقلانية.*

مالت نحو البيانو متفحصة بعض "النوت" الموسيقية ثم أردفت:

- *يشعر المرء بالسأم بعد فترة من الحديث باستخدام النقط والشرط.*

مسكينة ناتي! المتاعب التي تمر بها تجعلها قاسية أحيانا. أضاف كليّم محاولا رد الإساءة:

- *أجل. يفضل المرء الحديث مع شخص لم يره ولم يلتق به حتى لا يضيع التشويق وتتبدد الإثارة.*

أطرقت سيّن مفكرة بعد أن صدمتها ردود الأفعال على سؤالها:

- *يا إلهي!*

اندفعت قائلة بصوت مرتفع:

- *هذا أمر سيء! أتمنى أن لا يكون الشجار قد نشب بينكما.*

ردت ناتي على الفور:

- *كلا يا عزيزتي! ما الذي يدفعنا إلى ذلك؟*

نظر كليّم إلى ناتي لبرهة ثم تقدم نحوها آخذا يدها في يديه وقائلا بصراحة ووضوح:

- *أعتقد أنه دب بيننا مؤخرا بعض من الخلاف وسوء الفهم. لا أدري كيف حدث هذا؟! ... دعينا نتصالح؟*

تطلعت سيّن والأمل يحدوها في أن يتصافيا، لكن ناتي التي تعذر عليها إخفاء انفعالاتها أجابت ببرود:

- *لا أرى سببا أو ضرورة لذلك.*

سحبت يدها الصغيرة بعد أن استقرت في يديه لوهلة فما كان من كليّم إلا أن عض على شفته وأخرج ساعة جيبه قائلا:

- *يتعين عليّ أن أغادر الآن فلدي ارتباط هذا المساء في وسط البلد.*

ما إن غاب كليّم عن الأنظار حتى انهمرت الدموع من عيني ناتي بعد أن جاهدت لتحبسها دون جدوى. توجهت سيّن إلى الأريكة حيث تجلس صديقتها واحتوتها بذراعيها قائلة:

- *ما الأمر يا عزيزتي؟ أخبريني ماذا حدث مؤخرا؟ وهل للأمر علاقة بكليّم؟ يمكنك أن تثقي بي.*

مسحت ناتي دموعها بشيء من الخجل، ثم ردت في شجاعة وتصميم وإيثار محاولة ألا تفسد سعادة سيّن وقصة حبها:

- كلا! كما ترين... أنا شخصية ضعيفة وحمقاء، أبكي كطفلة في المدرسة! كما أني نكرة وإمعة وهذا سبب تعاستي وشقائي!"

لم تستطع سيّن بكل تعاطفها وتجاوبها أن تحصل على أكثر من هذه المعلومات. جلست قبيل النوم على مقعد منخفض أمام المدفأة وقد حلت شعرها. من حسن الحظ أن چو لم يرها في هذه المشهد وإلا لطار لبه أمام هذه اللوحة المثيرة! فكرت سيّن في الأمر مليا وقلبته على كافة وجوهه، لكنها لم تهتد إلى أسباب هذا الشقاق:

- كانت الأمور تمر بسلام قبل هذه الجفوة! والآن لا أحد يمكنه العثور على موضع "القفلة" على حد قول كليّم نفسه! هل تحبه؟ لو كانت مكانها لفعلت. هل يحبها؟ كيف يمكن لأي شخص تجنب الوقوع في حب ناتي؟ آه! نحتاج إلى بالون اختبار يكشف عن حقيقة معدن علاقتهما. محنة أو شيء من هذا القبيل! لنفترض مثلا أن البيت يحترق بناتي ثم يأتي كليّم في الوقت المناسب لإنقاذها. مؤكد سوف تعود المياه إلى مجاريها ثانية. هكذا يفعلون على خشبة المسرح! لكن واقع الحياة مختلف. ربما لا يستيقظ كليّم في الوقت المناسب فتتفحم نات، وربما أنقذها غيره ككويمبي مثلا الذي غالبا ما يأتي بالأفعال الخاطئة! كلا لن تجدي هذه الحيلة، لكن بالرغم من ذلك فما زلت على قناعة بأن الأزمة أو المحنة أمر حتمي لإعادة توصيل الدائرة كما يقولون بلغة التلغراف.

الفصل الثالث عشر
المرأة الخطأ

أدخلت الأحداث الأخيرة البهجة إلى قلب كويمبي. عقد العزم بعد أن ناء بحمله على إخبار رفيق غرفته بقصة حبه ومحاولته السابقة للتعبير عن مشاعره عله يظفر بنصيحة طيبة تجعل ناتي لا تسيء فهمه. تمنى أن لا يُلقي به كليّم من النافذة أو من على الدرج فالرجل إلى وقت قريب ظل ندا يخشاه. ذات صباح بينما كان كليّم يمسح حذاءه الأسود قرر كويمبي تنفيذ خطته. على أي حال فرشاة مسح الأحذية أخف وطأة من أشياء أخرى.

- *كليّم... أريد مساعدتك في أمر ما.*
- *تحت أمرك يا عزيزي.*

- حسن. أريد أن أقول... في الحقيقة... أنا غارق في الحب من منبت شعر رأسي إلى أغمص قدمي!

صاح كليّم مبتسما:

- ماذا؟! هل تحب سيّن أنت أيضا؟

هدأت هذه الكلمات من روع كويمي ومنحته الشجاعة ليكمل بنفس الحماس:

- كلا! بل الآنسة... روچر... ناتي.

طاحت الفرشاة من يد كليّم، لكنها لم تنطلق نحو وجه كويمي، بل سقطت منه على الأرض. تنهد كليّم تنهيدة عميقة لينفث عن انفعالاته. أفاق من دهشته قائلا:

- لم يخطر هذا الأمر ببالي. معقول؟!

علق كويمي بنفس الدرجة من الصراحة:

- أجل. هذا هو سري الأعظم الذي حاولت البوح به لها قبل أن تكشف أنت النقاب عن شخصيتك وتنتقل للإقامة معي هنا، لكنها — ولسبب غير مفهوم- تملصت مني. والآن أخبرني بالله عليك كيف أكاشفها بهذا الأمر الذي لا مناص منه؟

تناول كليّم الفرشاة وأعاد وضع طبقة من الطلاء على الحذاء رغم انتهائه من تلميعه. أجاب بعد مرور بعض الوقت:

- كيف يتأتي لي ذلك؟ هل تحسب أني أتقدم لخطبة الفتيات كل يوم؟! لم يحدث لي هذا في حياتي.

جلس كويمبي على حافة الفراش ثم ترجاه قائلا:

- *لكن... يتعين عليك... أقصد... أنك ستضطلع بهذا الأمر يوما ما. قل لي فقط كيف أبدأ.*

نظر كليّم إلى المرجاس معلقا بنبرة لاذعة:

- *هل تريد مني أن أستدعيها وأتقدم لخطبتها بالنيابة عنك؟!*

صاح كويمبي:

- *كلا... كلا أرجوك، فربما ظنت أنك تطلب يدها لنفسك.*

عقب كليّم:

- *اطمئن... الإجابة هي الرفض في الحالتين.*

ألقى بالفرشاة في زاوية من زوايا الغرفة مضيفا وهو يهم بالخروج:

- *حك جلدك بأظافرك يا صديقي. هناك أمور لا يجدي فيها مساعدة الآخرين أو البدلاء.*

أطرق كويمبي مفكرا في طريقة جديدة تحقق مأربه بعيدا عن وسائله القديمة التي أتت بنتائج غير مرغوب فيها. ذات يوم توجهت الآنسة ناتي في المساء إلى غرفة سيّن فلم تجدها. جلست في انتظارها بعد تأكيد السيدة سيمونسون أن عودتها وشيكة. لم يكن مصباح الغرفة مضاءا وآثرت هي المكوث في الظلام فلطالما شعرت أنها جزء من العتمة. تمنت لو أن علاقتها بـ C قد انتهت وتوقفت للأبد بعد واقعة المسك ودهان الدب. أحست أنها مهيضة مكسورة الجناح ولم تستسغ هذا الشعور. فجأة لاحظت اقتراب ظل كبير من اتجاه الباب المفتوح على مصراعيه.

جاء صوت كويمي:

- *أرجو المعذرة. أهذا أنت يا سيّن؟*

أجابت ناتي:

- *كلا إنها في الخارج.*

انتعش صوته:

- *عفوا. أهذا أنت؟*

أدركت ناتي أنه عرفها. تابع كويمي:

- *هل أنت بمفردك؟*

جالت ناتي بنظرها في الغرفة وكلها أمل أن تلمح عيني الدوقة تتسكع هنا أو هناك فتجيب بالنفي، لكنها أُضطرت في النهاية إلى الإجابة بعكس ذلك.

اضطرب كويمي واختلجت جوانحه فصاح قائلا:

- *لن أهدر هذه الفرصة الذهبية للتعبير عن مكنون صدري!*

اندفع في الاتجاه الخطأ الأمر الذي أثار دهشة ناتي. سرعان ما وصل إلى أذنيها صوت ارتطام رأسه بالباب بعد تعثره. توجست شرا من منحى كلامه ونبرة صوته فهي خير من تعرفه ولها معه تجارب سابقة. تخلصت لبعض الوقت من صحبته واستراحت حين ذهب على الأرجح ليضع رأسه في الماء أو لتناول بعض المسكنات. توجست خيفة من عودته التي قد تكون وشيكة. لا تشعر بالرغبة في رفقته فلديها ما يكفيها، لذا قررت الفرار إلى غرفتها. ولأنها خشيت أن تلتقي به في منتصف الطريق فتقع في ورطة كبيرة فقد قررت اللجوء إلى غرفة نوم سيّن والتواري بها عن عينيه. صدق حدسها فما هي إلا بضع لحظات حتى

سمعته يحرك أحد المقاعد في غرفة الاستقبال. تمنت ألا يطول بقاءه هناك حتى تستطيع الخروج من محبسها. كانت في موقف لا تحسد عليه دون شك. سمعته يقول:

- يجب أن أعبر عما يجيش بصدري. يحدوني الأمل هذه المرة أن تسعفني الكلمات التي رددتها مرارا وتكرارا في خلوتي. لطالما تحدثت إلى الوسادة أو إلى سروال أو معطف وضعته على المقعد متخيلا أنه أنت. لا تتكلمي أرجوك ودعي الكلمات تنساب بين شفتي.

اختلست ناتي نظرة من شق الباب نحو الجهة المقابلة له. تشوش عقلها! هل أدرك كويمبي بحسه الداخلي أنها موجودة في الداخل وتستطيع سماع كلماته أم تراه ما زال يتدرب أمام المقعد الخالي؟! فجأة سمعت كلمات تبين أنها لسيليستي التي تأثرت مشاعرها بشكل بليغ فبح صوتها:

- يا إلهي... كويمبي!

انجلى الموقف وأدركت ناتي ما حدث. عقب انسحابها إلى غرفة النوم دخلت سيليستي واستلمت نفس المقعد الذي كانت تجلس هي عليه. كانت ترتدي فستانا أسود تماما كناتي، بل وصففت شعرها على نحو قريب منها. لعبت الصدف لعبتها فأخطأها كويمبي بسبب الظلام وتأجج مشاعره ورغبته الجارفة في إخراج ما في صدره. لم ينتبه ربما إلى التباين في الأصوات فاستمر قائلا:

- أخشى أن تصديني، لكن يجب أن أكمل كلامي للنهاية حتى أستريح.

تأوهت سيليستي بصوت خفيض بعد أن مست كلماته قلبها. واصل كويمبي وكله عزم وتصميم على اغتنام هذه الفرصة الثمينة حتى النهاية.

- أعلم علم اليقين أني لست كالآخرين. لابد وأنك تدركين ذلك. أفتقد لكثير من الثقة والجرأة والقدرة على التعبير عما يجيش في صدري، كما أني اعتدت ارتكاب الأخطاء كما تعلمين، لكن يبقى السؤال: هل يمكنك أن تتعايشي مع هذه الصفات؟ لا تنسي أني أمتلك قلبا طيبا ينبض بالحب لك.

تأوهت سيليستي من جديد حين توقف كويمبي ليمسح العرق المتصبب من جبهته نتيجة لهذا الموقف الصعب.

- ماذا عساي أن افعل؟

هكذا أطرقت ناتي وقد ساورها القلق واعترتها الحيرة. تشتت عقلها بين هذا المشهد الهزلي الذي يجري أمامها ورغبتها في إنقاذ كويمبي من الورطة التي يندفع إليها دون هدى:

- يا إلهي! ليت سيّن تظهر الآن على عتبة الباب.

لكن سيّن لم تأتي. وقفت ناتي هناك لا تدري ماذا تفعل وهي ترى كويمبي يندفع نحو مصيره المحتوم:

- أفكر أحيانا أنك مغرمة بشخص آخر... أعني كليّم...

تورد خدا ناتي خجلا في الظلام.

- أتمنى أن لا يكون هذا صحيحا. تفور دمائي حين أفكر في هذا الأمر، ناهيك عن أنه يحب سيّن.

شحب وجه ناتي وامتقع. فجأة نزل كويمبي على ركبتيه فاهتزت زهريات الورد فوق المدفأة.



- دعيني أقول لك شيئا سيطر على تفكيري وعجزت عن النطق به في مناسبتين سابقتين. أنا أعشق التراب الذي تمشين عليه منذ أن رأيت أنفك لأول مرة. المعذرة، لكن لا أستطيع إخفاء إعجابي الشديد بأنفك! هيا بالله عليك أخبريني أنك لا تحبين شخصا آخر، ولا حتى كليّم وأنك توافقين على مشاركتي ممتلكاتي المحدودة حين تصبحين السيدة كويمبي. افعلي ذلك أرجوك.

- آه! حقا... أنا... يا لها من لحظة صعبة! لكن يا عزيزي كويمبي أنا لم أفكر بكليّم مطلقا. أنت فقط من أستحوذ على اهتمامي، وأنا ملكك، ملكك أنت.

بهذه الكلمات رمت سيليستي بنفسها بين ذراعيه ثم وقعا معا حتى وصل صوت ارتطامهما بالأرض إلى أذني ناتي. فجأة تكشفت الحقيقة لكويمبي فأصيب بصدمة كبيرة. لم تسعفهما أقدامهما على الوقوف من هول المفاجأة، فانهارا معا على الأرض من جديد. تنهدت ناتي متمتمة:

- لا بد أنه أدرك الآن من يخاطب!

نهضت سيليستي بحركة واحدة، أما كويمبي فقد خارت قواه فبقي منبطحا على الأرض. حاول دفع نفسه لأعلى باستخدام كلتا يديه، لكن قدماه لم تقو على حمله. ظل هناك ممددا ومحملقا فيها. من حسن حظ سيليستي أن الظلام كان يلف المكان فلم تلحظ التعبير الذي حمله وجهه في هذه اللحظة. سألته:

– هل أصابك مكروه؟ دعني أساعدك على النهوض فكلانا شيء واحد الآن.

انطلق أنين كويمبي. قال لاهثا:

– يا إلهي! ما هذا الحظ اللعين الذي يلازمني! لا أستطيع تحمل كل هذا. استمعي إليّ. أتوسل إليك. هناك خطأ. اعتقدت...

قاطعته سيليستي على الفور بكلمات تنبأ عن سوء الفهم... لا ندري هل هو بسلامة نية أو عن قصد؟:

– بالطبع هناك خطأ. لا أعتقد أنك سقطت على الأرض عمدا، أليس كذلك يا عزيزي؟ والآن انهض بالله عليك فقد تعود سيّن في أي لحظة.

حين سمع كويمبي هذا الكلام انتفض متحاملا على نفسه قائلا على الفور:

– سأكتب لك لأخبرك بالأمر كله. لدي موعد الآن مع صديق عند ناصية الشارع.

اندفع كويمبي خارج الغرفة، ولو استطاع الطيران لفعل وانطلقت في إثره سيليستي التي تعلقت برقبته في الردهة الخارجية المشتركة دون مراعاة لاحتمالية أن يراهما أحد في هذا الوضع. من حسن حظ كويمبي أنه لم يقع على الأرض هذه المرة وإلا لزاد الأمر سوءا. صاحت قائلة:

- *لا داعي للكتابة... أرجوك دعك من هذه السفاهات. أنا ملكك. تذكر هذا.*

فجأة انطلق صوت زاعق من على درج الطابق العلوي تبين أنه لفيشبليت الأب:

- *ماذا يحدث هنا؟... عناق؟!... حسن، لتستعدا لترتيبات الزواج.*

احمر وجه سيليستي فتراجعت للخلف تاركة حضن كويمبي الذي ناح قائلا:

- *أنا... سوف... سوف أراك في الغد هذا إذا بقيت على قيد الحياة!*

اصطدمت جبهته بالباب، ثم نزل كالمجنون على الدرج ولاذ بالفرار وهو يصيح:

- *أنا شؤم من يومي! أعرف ذلك.*

التفتت سيليستي إلى أبيها قائلة:

- *يبدو غريب الأطوار، لكن التمس له العذر فهو متيم بي!*

دمدم الأب في ريبة وتهكم:

- *وما فائدة ذلك؟!*

أضافت سيليستي وهي ترتقي الدرج معه:

- *لديه أيضا ممتلكات معقولة.*

- *هذا هو الكلام.*

هكذا جاء تعليق فيشبليت الأب بمنتهي الوضوح والصراحة. خرجت ناتي من مخبأها عقب مغادرة كويمبي وسيليستي. شعرت بالندم جراء انسحابها داخل غرفة النوم الأمر الذي سبب كارثة لكويمبي. هبط الستار على الجزء الهزلي من

الرواية ودخلت الأمور في الجد. أحسست بوخز الضمير وتأنيبه لدورها في هذه المأساة فأطرقت قائلة:

- أيها المسكين كويمبي! لا شك أنه في ورطة مفجعة. أتمنى أن يخرج منها سالما... شيء عجيب... يبدو أنه سيقترن بالمرأة الخطأ كما أحس وصرح من قبل!

الفصل الرابع عشر
كويمبي يتقبل الموقف

أحس كويمبي حين اندفع إلى الشارع برغبة كاسحة للهروب إلى آخر حدود العالم، لكنه استعاد وعيه بسبب نظرات المارين. اكتشف أنه نسي القبعة فقرر العودة أدراجه إلى البنسيون. عندما وصل إلى حجرته كان كليّم يقطع الغرفة ذهابا وإيابا في تمعن وتدبر. ألقى كويمبي بنفسه على الفراش مواريا وجهه ومطوحا قدميه في الهواء بحركات متشنجة عجيبة، ثم دخل في نوبة من الأنين والتأوه. سأله كليّم:

- *ما الخطب؟*

أجاب:

- *فعلتها... فعلتها.*

استفسر كليّم وهو يسترجع محادثتهما ذاك الصباح:

- *هل صدتك؟*

رد كويمبي منتحبا:

- *بل قبلت.*

توقف كليّم عن الحركة وتجمد في مكانه قائلا:

- *ماذا؟!*

- *وافقت، وافقت. يا إلهي! لقد صرت مرتبطا، مرتبطا!*

حملت كلماته شجن وبؤس وأنين... لطالما كان كويمبي ضحية لأخطائه.

سأله كليّم بحدة:

- *هل تريد إقناعي بأن الآنسة روچرز أصبحت خطيبتك؟*

ما إن سمع كويمبي المسكين هذا الاسم حتى انخرط في البكاء تماما كالأطفال.

- *الآنسة روچرز؟ كلا، مطلقا! أعني سيليستي.*

ردد كليّم:

- *سيليستي! سيليستي!*

شرح كويمبي وهو يجفف دموعه التي بللت مفرش السرير.

- *أجل! أنا... يا إلهي! لقد ارتكبت خطأ!*

داعبت الابتسامة شفتي كليّم، لكن سرعان ما أطبقهما. عاد يسأل:

- *لكن كيف ارتكبت هذا الخطأ؟! اهدأ يا عزيزي وأخبرني بالأمر كله علني أستطيع مساعدتك.*

نظر إليه كويمبي بحزن عميق وأجاب بخيبة أمل وإحباط شديد:

– كان الظلام يلف غرفة سيّن حيث جلست ناتي... ناتي التي ضاعت من يدي. نعم كانت هناك على المقعد بشحمها ولحمها. أؤكد لك... لقد تكلمت معها! لكن حمقي حال دون استغلال هذه الفرصة ومفاتحتها. غادرت لـ... لأتمالك نفسي وأتدرب قليلا. لم أنتبه حين عدت إلى أن فتاة أخرى غير ناتي كانت قد شغلت المقعد. انسابت الكلمات على لساني ببلاغة منقطعة النظير... يا إلهي! تبين لي بعد ذلك أني كنت أخاطب سيليستي! لذت بالفرار، لكنها لحقت بي في الردهة وارتمت بين ذراعي، وما هي إلا لحظات حتى رآنا والدها فزأر قائلا أنه لا مفر ولا مناص أمامي من الزواج بها!

احتج كليّم قائلا:

– لكن يا صديقي العزيز يمكنك تدارك الموقف وتوضيح الأمر. لست مجبور على الزواج من سيليستي لأنك طلبت يدها بمحض الصدفة والخطأ.

هز كويمبي رأسه يائسا:

– لا أدري ماذا سيكون رد فعل والدها. إنه شخصية مريعة ولا يتورع عن فعل أي شيء. ربما تحايل فأوصل الأمر للقضاء بتهمة النكوص بوعد الزواج[21] ومن ثم يبتز ثروتي الصغيرة. هناك شيء واحد فقط يمكن أن يجعلني أتحدى فيشبليت وابنته بل والعالم بأسره... وهو أن تخبرني ناتي بأنها تبادلني الشعور بالحب وتوافق على الزواج مني.

عقب كليّم بكلام فيه بعض التجني على ناتي:

---

[21] Breach the promise نقض الوعد بالزواج هو قانون عرفي نشأ في العصور الوسطى واستمر حتى مستهل القرن العشرين وكان يعطي الحق لأهل الفتاة في مقاضاة الشخص الذي أعطى الوعد بالزواج والمطالبة بتعويض نتيجة للأضرار التي لحقت بالابنة. (المترجم)

- يا عزيزي. أخشى أن هذا أمرا صعبا، فحتما سوف تصدك ناتي لأنها تحب أن تكون دائما موضع الغزل ويرضي غرورها أن ترى الناس يهيمون بها ويقعون في حبائل عشقها.

رد كويمي:

- لا! ليس صحيح! حتى لو صدتني فلن أصدق ما تقول عنها. هذا ظلم لها... ماذا أفعل؟ لقد شُل تفكيري.

وصل إلى قرار مفاجئ فأردف:

- سأنهي الأمر الآن بعد أن أخذت أسوفه من قبل. فلا مناص من ذلك بعد هذه الورطة. أسمع صوتها الآن مع سيّن. تعال معي. أريد شهودا على الواقعة، ولا أريد ارتكاب المزيد من الأخطاء هذه المرة.

انطلق كويمي بشغف قاصدا غرفة سيّن وفي أثره كليّم يقدم رجلا ويؤخر أخرى:

- ماذا ستفعل؟

- سأعرف هل تحبني ناتي أم لا؟ فإذا كانت تحبني فسوف أتحدى سيليستي وأبوها المتوحش بل والقانون نفسه. أما إذا كانت لا تبادلني هذا الشعور فسوف أتقبل مصيري مهما كان وسأعتبر نفسي شهيدا من شهداء الغرام.

بدا كويمي جادا في حديثه. لم يشأ كليّم الامتناع عن مرافقته لغرفة سيّن، لكنه لم يشعر بالارتياح حيال ذلك الأمر. حين عادت سيّن إلى غرفتها هرعت إليها ناتي صائحة:

- سين! يا إلهي! حدث شيء مريع!

سألتها متأثرة بالمسرحية التي كانت تشاهدها:

- *ماذا؟ كيف؟ متى؟*

شطح خيالها فرأت أمام ناظريها كليّم وفي رأسه عدة طلقات. أوضحت ناتي بنبرة يعلوها الندم:

- *كويمبي! المسكين كويمبي! لقد تسببت في تدميره!*

أدركت سيّن أن تخمينها جانبه الصواب فشعرت بالارتياح وانطلقت قائلة:

- *حسن... اهدئي يا عزيزتي. هل يمكن أن توضحي قليلا حتى أفهم الـ... الحبكة؟*

دخلت ناتي في التفاصيل متنقلة بين الضحك والبكاء، لكن الجانب الفكاهي كان طاغيا فلم تستطع سيّن منع نفسها من الضحك. علقت حين أصبحت قادرة على الكلام:

- *يا لها من مهزلة!*

وبخت ناتي سيّن قائلة:

- *يا إلهي! سيّن! فكري في كويمبي وما قد يجره هذا الأمر عليه.*

ردت سيّن بجدية وبنظرة فلسفية:

- *هذا هراء يا عزيزتي. لم يكن الخطأ خطأك. أعلمي أن سيليستي كانت مصممة على الاستحواذ على كويمبي، ثم حتى لو لم تغادري المقعد فهل كنت ستقبلين عرضه المبجل؟ لا أعتقد، وعليه كانت سيليستي ستظهر في المشهد مستغلة صدمة كويمبي ثم تنال منه. على أي حال، إذا كان كويمبي يمتلك إرادة قوية فيمكنه درأ ومناوئة الزواج منها بأي طريقة، أما إذا كان ضعيف الهمة فهي*

أصلح من تكون له زوجة، فلطالما سمعتها تردد أن الرجال يفضلون الاقتران بنساء لا يعرفن الكثير من الأمور. لا بأس إذن بما جرى.

خففت كلمات سيّن من وطأة شعور ناتي بالرثاء حيال كويمبي. لا شك أن ما يجعلنا نتعاطف مع الآخرين هو شعورنا الدفين بالأسى، ولا شك أن حزن ناتي العميق ظل يقطع أنياط قلبها. حين لاح كويمبي وكليّم على عتبة الباب اعترت الدهشة ناتي وسيّن. نظرا إلى القادمين في تطلع وفضول. ابتدرهما كويمبي في عصبية غطت على شعوره بالخجل:

– *أعتذر عن هذه الزيارة المفاجأة، لكن الأمر لا يحتمل التأخير. أردت أن يشهد كليّم على هذا وكذا سيّن حتى لا أرتكب خطأً جديدا!*

استدار نحو ناتي متابعا:

– *ناتي... أنا... أنا متيم بك، بل إني أعشقك.*

حاولت ناتي مقاطعته، لكنه أردف:

– *لا! من فضلك. أصغي إليّ. وجهت كلام حب وغرام الليلة في هذه الغرفة إلى امرأة تبين أنها سيليستي.*

تأوه كويمبي قليلا حين تذكر ما حدث ثم استعاد زمام نفسه مواصلا:

– *هذه الكلمات التي تفوهت بها في الظلام كنت أنت المعنية بها. والآن أريد أن أعرف ردك لو لم يُعمى عليّ؟*

سألته ناتي على استحياء في محاولة لتجنب الرد:

– *ما الفرق الذي ستحدثه الإجابة على هذا السؤال؟*

انبرى كويمبي قائلا:

– *فرق كبير. أتوسل إليك. أجيبيني بصدق حتى أقرر ما سأقوم به لاحقا.*

رمقته ناتي بنظرة شفقة قائلة:

– *إذا كانت هذه رغبتك فاعلم أنك صديق أقدره كثيرا وسيظل دوما يحتل عندي منزلة رفيعة. هذا كل ما في الأمر.*

صاح كويمبي يائسا:

– *إذن مرحبا بك يا سيليستي فهي تحبني على الأقل على حد قولها... وربما تعودت عليها بمرور الوقت!*

أضاف بصراحة شديدة:

– *عدا أسنانها بالطبع!*

أرادت سيّن لفت انتباه كويمبي إلى أن الزمن كفيل بأن يجعلنا نتقبل الأشياء التي لا تروق لنا ولا نستسيغها، لكنها أحجمت عن ذلك في اللحظة الأخيرة قائلة:

– *لكن بإمكانك شرح الأمر لها.*

عقب كليّم:

– *هذا ما قلته آنفا، فلا يليق بامرأة فرض نفسها على رجل مهما كانت الظروف.*

يبدو أن كويمبي لم يقتنع لأنه علق قائلا:

– *إلا سيليستي. إنها لا تتورع عن فعل أي شيء. على العموم، أشكرك يا آنسة روچرز... سأظل دوما أذكرك كشيء نفيس صعب المنال وآمل أن تجدي الشخص المناسب الذي يستحقك، شخص أفضل مني دون شك. لقد دأبت*

على ارتكاب الأخطاء منذ جئت إلى هذه الدنيا، لكني أحمد الله على أي حال فسيليستي أهون عندي بكثير من أخريات من نوعية الآنسة كلينج مثلا!

تمتمت ناتي:

– *أنا جد آسفة.*

شاهد كليّم الدموع في عينيها، أما سيّن فقد انطلقت ببعض كلمات التحذير وهي تصوب نظرها نحو كليّم:

– *الدرس المستفاد من هذه القصة هو: لا تقم علاقة غرامية في الظلام.*

زاد كويمبي صديقه من الشعر بيتا قائلا بأسى:

– *وتأكد أن كل مصابيح الغرفة مضاءة.*

عقب كليّم ملتفتا إلى ناتي:

– *سوف أتذكر هذا جيدا. يبدو أن الأخطاء التي تُرتكب في الظلام أسوء بكثير من تلك التي ترتكب عبر شبكة التلغراف.*

نحت ناتي وجهها جانبا بسرعة خاطفة. تأوه كويمبي قائلا:

– *أسوء بكثير جدا.*

قالت سيّن:

– *لكن عن جد يا كويمبي عد إلى صوابك، ولا تكن أحمقا فتتزوج من امرأة لا تريدها فقط لأنك لم تحصل على المرأة التي تريد!*

لم تُقنع هذه الكلمات كويمبي ليتراجع عن موقفه أو يتخذ أي إجراءات تحله من وعد اتخذه عن طريق اللبس والخطأ. خاف من سطوة العجوز فيشبليت ومقاضاته له، زد على ذلك أنه لم يعد يبالي بما ينزل عليه من بؤس أو يحط عليه

من شقاءٍ، قل ذلك أم كثر. وهكذا تم إعلان خطبته على سيليستي التي طارت من الفرح، لكن الخبر نزل كالصاعقة على من لا يعلمون خفايا الأمور وبواطن الأشياء وأسرارها.

الفصل الخامس عشر

يوم صائف

كان الأسبوع المنصرم فارقا في تحديد مصير كويمبي بشكل غير متوقع حيث أسلمه للحزن وألقى به في دوامة الشجن. بالرغم من ذلك أبى هذا الأسبوع أن يلملم دثاره قبل أن يحمل لسيّن أخبارا سارة، فنتيجة لنجاحها المبهر في الحفل الأخير انهالت عليها العروض للموسم الجديد، واختارت هي منها كل ما هو واعد ومميز. تلقت التهاني من الجميع، لكن ناتي كانت أشدهم سعادة وأكثرهم صدقا وإخلاصا في مشاعرها. نجحت في التغلب على نزعة الأثرة والحسد والغيرة التي خلفت آنفا مرارة وغصة في حلقها حين راحت تسأل: لماذا تحصل سيّن على كل شيء وتحصل هي على الفتات.

نظرا لدنو فصل الصيف فقد شرع سكان بنسيون نورمان من الشباب في الحديث مرارا وتكرارا عن نزهة خلوية في البراري، وربما أيضا احتفالا بنجاح سيّن كما اقترح كليّم. تم وضع الخطة في حيز التنفيذ في أول فرصة ممكنة، وضمت

الرحلة سيّن وناتي وكليّم وچو والخطيبين الجديدين، كما صحبتهم أيضا السيدة سيمونسون رغم اعتراضها الطفيف على عدم توجيه الدعوة للآنسة كلينج.

كانت الطبيعة رحيمة بهذه الثلة التي ارتمت في أحضانها فمنحتهم يوما لم يحلموا به، يوما رائعا لا يتكرر كثيرا في ظل المناخ المتقلب الذي عُرفت به المنطقة. انتشرت أشعة الشمس في كل مكان ونفذت إلى قلوب المتنزهين حاملة إليهم الدفء فأنستهم هموم الحياة ومنغصاتها، حتى كويمبي نسي ما كان من أمر خطبته فأشرق وجهه وتألق. وقفت الصحبة هناك تحت ظلال الأشجار المورقة على ضفتي نهر صغير يستعذبون ويستمتعون بسيمفونية رائعة من عزف الطيور. صاحت سيّن بحيوية الأطفال:

- *أليس المشهد رائعا؟*

اقترح كليّم منتشيا وهو يجهز خيط صنارة الصيد:

- *لم لا نخيم هنا الصيف برمته؟*

ردت السيدة سيمونسون بعمليتها المعهودة:

- *قد لا تأتي أيامه كلها بهذا اللطف وتلك الروعة.*

أضاف چو وهو ينظر إلى سيّن بإعجاب:

- *عندما تشرق الشمس نغفل أن الجو قد ينقلب إلى عواصف في أي لحظة.*

علقت سيّن ضاحكة:

- *هل أصبح فناننا فيلسوفا أيضا بالإضافة إلى كل ما نعرفه عنه؟*

أجاب چو:

- *فيلسوف صغير.. خمسة أقدام وستة بوصات.*

قالت سيّن:

- *حسن. بالله عليك لا نريد أي نوع من الكآبة اليوم.*

ردد چو ورائها:

- *أصبت. لا كآبة اليوم.*

أدار وجهه نحو السيدة سيمونسون سائلا:

- *هل ما زلت نادمة على عدم اصطحاب الآنسة كلينج؟*

لم يكن أمام السيدة الطيبة سوى الإقرار بالقول:

- *أعتقد أنها كانت ستفسد اليوم!*

علقت سيليستي:

- *نعم. مؤكد.*

نظرت بشيء من التكلف الواضح نحو سيّن وناتي ولسان حالها يقول: مخلوقتان عاديتان لم يتقدم لخطبتهما أحد حتى الآن! أضافت:

- *لا مفر من الإقرار بذلك طالما تتحدثون عنها. لديها صفات كريهة، كما أنها تحاصر أبي وتدأب على مضايقته.*

ردت سيّن بكلمات ساخرة:

- *إنها معجبة بالطور...(بيد). أقصد بأبيك.*

أجابت سيليستي:

- *بالضبط. معجبة به لحد الهوس. إنها تتصرف بحماقة. تلاحقه في كل مكان. لا يليق هذا بامرأة كما تعلمون!!!*

نسيت سيليستي أو ربما تناست أنها انغمست للركب حتى وقت قريب جدا في أمور الملاحقة تلك. أضافت:

- هذه العجوز... لطالما طرقت غرفتنا لتعرض على أبي إصلاح ملابسه وجواربه. وكم من المرات أُضطر والدي المسكين إلى عدم فتح الباب لها.

لم يستطع الرفاق قبول فكرة "الأب المسكين" تلك لتنافيها مع الواقع فانفجروا في الضحك. تورد خدا سيليستي قليلا، لكنها جالت بنظرها فيهم ثم توقفت عند كويمي مؤكدة من جديد:

- ما قلت هو عين الحقيقة، أليس كذلك يا رالفي؟

حملق الجميع في ذهول. كانت هذه أول مرة يعرف الحاضرون الاسم الذي عُمد به كويمي [٢٢]، ولولا حب سيليستي له لظل في طي الكتمان. أصابت الدهشة كويمي أيضا فوقع من على جذع شجرة مقطوع ويابس كان يجلس عليه وتدحرج الجذع فوق قدميه فأصيبتا بكدمات ورضوض زرقاء لابد وأنها استمرت لمدة أسبوع. أعفى كليّم رالفي مشقة الرد حين تدخل قائلا:

- هلم يا رفاق... دعونا ننأى عن الموضوعات التي لا تناسب هذا اليوم الجميل. يمكننا الحديث مثلا عن العواطف والأحاسيس.

غمز بعينه لچو. ضحكت سيّن مضيفة بشيء من الإيعاز:

- لكن أخشى أننا رفقة غير شاعرية باستثناء كويمي وسيليستي بالطبع.

اعترض كويمي متأرجحا على جذع الشجرة:

- يا إلهي! لست كذلك... مطلقا. أؤكد لكم. لا أشعر بذلك البتة.

---

[٢٢] المقصود اسمه الأول. (المترجم)

صاحت سيليستي فيه موبخة:

- *لماذا تقول ذلك يا رالفي؟*

زاد تأزمه حين اقتربت منه وأرادت الجلوس بجواره، لكن منعها من ذلك عدم اتزان جذع الشجرة. انطلقت سائلة:

- *كيف يبدو الأمر لك يا چو؟ هل يمكنك لمرة واحدة في حياتك التخلي عن مبادئك وتقمص شخصية عاطفية احتفاءا بهذا اليوم؟*

كان چو في هذه اللحظة يلقي بحطام الأغصان الجافة في مياه الجدول الأمر الذي أزعج الحشرات والضفادع. حملت إجابته الدهشة للآخرين:

- *أخشى أن ينقلب الهزل جدا.*

عقبت سيّن وهي تتفرس فيه:

- *هيا بالله عليك! دعنا نغامر... چو العاطفي! تخيل ذلك؟*

بنبرة جادة ولمحة مميزة وجه لها سؤالا جعلها تنظر إليه بانشداه:

- *هل تجازفين أنت؟*

قالت ناتي بضحك كالبكاء:

- *العاطفة لا تفيد كثيرا. كان عليكم إدراك ذلك منذ أمد بعيد كما توصلت أنا وچو.*

علق كليّم بكلمات جافة:

- *حسن! إذا كان الأمر كذلك فدعونا نصطاد.*

ألقى بصنارته في الماء وتبعه كل من چو وسيّن والسيدة سيمونسون. عزف كويمبي عن الصيد ربما لأنه استشعر وجود علاقة بينه وبين السمك حين يلتقط

الطعم. استعاد توازنه على جذع الشجرة وظهر على وجهه تعبير يدعو للشفقة والأسى. ظلت سيليستي بجواره كما لو أنها في نوبة حراسة. اكتفت ناتي بمتابعة الصيد رغم أن وجهها حمل تعبيرا من عدم الاستمتاع بما يجري. صاحت عندما راح چو يُخلص سمكة من شص سيّن:

- *هذا أمر قاسي.*

علق كويمبي على ملاحظة ناتي قائلا:

- *أتفق معك كلية. هذا شيء وحشي!*

أمسكت السيدة سيمونسون بطرف الحديث قائلة بهدوئها المعروف بعد أن أخفقت في اصطياد سمكة واحدة:

- *لكن السمك خُلق من أجل أن يصيده الناس.*

تحمس كليّم لمقولة السيدة سيمونسون قائلا وهو يجذب صنارته وقد علقت بها سمكة صغيرة:

- *أجل. كل المخلوقات على الأرض بائسة. كل يسير نحو مصيره المحتم يستوي في ذلك الإنسان والسمكة.*

علق كويمبي بحدة:

- *نعم. إنه القدر الذي لا مفر منه ولا حيلة لمناوئته.*

قالت سيّن وهي تلقي بنظرة اختلط فيها المرح والأسى نحو الضحية الجالس على جذع الشجرة:

- *إذن فأنت تؤمن بالقدر؟! لا أعتقد أني أشاطرك هذا الاعتقاد. إذا كان كل شيء مخطط سلفا فأي دافع سيحثنا على العمل وبذل المجهود؟*

عقبت ناتي:

– *هذه قضية تحتاج لأخذ ورد ومناقشة وجهد... ولا يكفي يوم دفيء كهذا لهذا الأمر.*

أبدى كليّم ملحوظة بجد واهتمام:

– *كلنا يعرف ويقر بأن بعض المقدمات الصحيحة لا بد وأن تفضي إلى نتائج صحيحة.*

تدخلت السيدة سيمونسون قائلة:

– *يقولون أن كل روح تولد ومعها توأمها*[٢٣] *في مكان ما. إذا كان ذلك صحيحا، ألا يعد ذلك قدرا مقدورا وأمرا محتوما؟!*

ضحكت ناتي قائلة:

– *هذه نظرية الآنسة كلينج على ما أعتقد.*

علق كويمبي بأسى:

– *إذا كان الأمر كذلك فإن الأرواح المخلوقة لبعضها غالبا لا تلتقي.*

ابتسمت سيليستي معلقة:

– *إذن فنحن استثناءا عن القاعدة العامة!*

تأوه كويمبي متمتما بكلمات عن آلام في أسنانه. علقت سيّن بصوت خفيض موجهة كلامها إلى ناتي:

– *أيها الرفيق المسكين!*

تنهدت ناتي معقبة:

---

[٢٣] راجع المقدمة.

- *على أي حال هناك أمور يبقى للقدر الكلمة الأخيرة فيها.*

ردت سيّن:

- *ربما.*

قاطع چو الحوار متهللا:

- *لقد تباينت آرائنا في هذه القضية فمنا من لا يسلم بالقدر ولا يتحدث عنه بكل هذه الهيبة.*

رمق سيّن مضيفا بصوت خفيض:

- *حتى الآن على الأقل.*

أضاف كليّم بنبرة آمرة:

- *ثم أنكم تفزعون الأسماك بهذه النظريات.*

امتثل الجميع لطلب كليّم وعم الصمت المكان، لكن سرعان ما انخرطوا في ترديد أغنية مرحة بدأتها سيّن. حتى كويمبي انضم إلى الجوقة بنفس واهنة. مل الجميع الصيد وأحسوا بالرغبة في تناول بعض الأطعمة في هذه الطبيعة الخلابة فراحوا يخرجون سلال الغذاء ويفرغونها. علق كليّم الذي اضطلع بدور الطاهي:

- *لن تسد هذه الأسماك رمق الجميع.*

أعلنت سين:

- *أنا متنازلة عن نصيبي، فلا أستطيع تناول شيء شاهدته يتعذب ويتألم.*

صاح كليّم متصنعا الضيق:

- *آه! إنك امرأة صعبة الإرضاء! ماذا عساي أن أفعل إذا وجدت نفسي معزولا عن العالم في جزيرة نائية معك؟*

دست سيّن فكرة شريرة:

- *مد لها خط تلغراف... لن تطلب منك أكثر من ذلك.*

تمتم كليّم بصوت خفيض:

- *ثم لا أحصد من وراءه إلا الألم ولا أجني سوى الاحتقار.*

تمكنت ناتي من سماع كلماته فحمل وجهها تعبيرا من الكرب والأسى.

شرع المتنزهون في الجلوس كيفما وحيثما يحلو لهم بعد أن حملوا طعامهم في أطباق أو ما شابه. قالت سيّن:

- *هذا يذكرني بيوم الوليمة!*

أضاف كليّم:

- *غير أن العدد أكبر.*

سألت سيليستي بفضول:

- *أي وليمة؟!*

أجابت سيّن في محاولة للمراوغة:

- *مناسبة سابقة.*

سرت سيّن لأن هناك شيء لا تعرفه سيليستي. في الواقع تعتبر سيليستي تلميذة نجيبة للآنسة كلينج فيما يتعلق بأمور الفضول والتطفل. علق كليّم ببراءة واضحة:

- *أعتذر يا كويمبي فليس لدينا اليوم حلوى شارلوت روسي.*

أيقظت كلمات كليّم الذكريات في قلب كويمبي فراح يئن ويتأوه. سألت المحبة سيليستي:

- *ما بك الآن يا رالفي؟*

عاد كويمبي يتمتم بكلمات عن آلام ضرسه. أضافت سيليستي برقة وحنان:

- *يا إلهي! يتعين عليك خلعه يا رالفي.*

عاد كويمبي إلى وعيه وتوقف عن التوجع. خشي أن يُضطر إلى خلع ضرس سليم. على أي حال، لم يكن كويمبي الوحيد الذي نبشت الذكريات آلامه الدفينة. تنهدت ناتي أيضا حين عادت بذاكرتها إلى الوراء... إلى اليوم الذي ظهر فيه كليّم فظنت أنها استعادته، لكن سرعان ما تكشفت لها الحقيقة فأدركت أنها فقدت C. علق چو باهتمام وهو يناول طبقه ليحصل على سمكة أخرى:

- *إن الهواء العليل ورائحة الأشجار المنعشة تفتح الشهية بشكل كبير!*

بزفرة أسى أوضحت سيليستي أنها لا تتمتع بشهية كبيرة:

- *آه! لا أتناول عادة ما يقيم أود فأر ومنذ خطبتي...*

ابتسمت بتكلف ثم تابعت:

- *لا أضع في فمي ما يبقيني على قيد الحياة.*

نظر لها كويمبي بشغف وصاح وقد راوده الأمل:

- *عفوا، لكن إذا كانت خطبتنا تمثل عبئا عليك فأنا أعفيك منها وأدعك لحال سبيلك.*

أجابت سيليستي بكل جوارحها:

- *أنت تعرف يا رالفي أني لا أستطيع العيش بدونك.*

توقع كويمبي الإجابة مسبقا فأطلق زفرة أسى وهو يمسك بقطعة من الدجاج. أبعد كليّم حشرة سداسية الأرجل كانت في مهمة فحص واستكشاف لمحتويات طبقه. علق قائلا:

- إحدى عيوب تناول الطعام في الهواء الطلق هو هذه التوابل التي تحط على الطعام على حين غرة.

قالت السيدة سيمونسون:

- أليس أمرا غريبا أن ممانعتنا للحشرات في طعامنا هنا ليست بنفس الدرجة عن ما إذا كنا في المنزل؟!

علقت سيّن بنبرة فلسفية:

- حسن! إن لدى الإنسان قدرة على التعود.

أقر كويمبي وهو يتأوه بكلماته المأثورة:

- أجل. اعتدت هذا الأشياء كما تعرفون!

ضحكت سيّن ثم اقترحت نخبا من الجعة على شرف الخطيبين. حاول كويمبي المشاركة بتشجيع من سيليستي، لكنه توقف في منتصف الجملة الثالثة قائلا:

- شكرا لكم.

جلس وهو يجفف جبهته بمنشفة وبدا بائسا بشكل كبير. اقترحوا بعد ذلك نخبا تحية لسيّن ثم في صحة آلة التلغراف وأخيرا اقترح چو- بوقار مصطنع- نخبا للقدر. عندما هم كويمبي بالنهوض من على صخرة مدببة جلس عليها آنفا لتناول طعامه تعثر ووقع ثم تدحرج نحو النهر وسقط في الماء محدثا نافورة هائلة. كانت هذه آخر حوادث كويمبي وكادت هذه الواقعة أن تنهي حياته في الماء لولا

أن النهير لم يكن عميقا لحسن الحظ. انتفض الجميع في ذعر وقلق وصرخت سيليستي وهي تعصر يديها وتنطلق نحو حافة الماء.

- *يا إلهي! كليّم! چو! أنقذاه! أنقذا حبيبي رالفي!*

لكن رالفي لم يكن بحاجة لمن ينقذ حياته هذه المرة، فالمياه وصلت إلى خصره فقط حين وقف على قدميه قبل أن يخوض في الماء متقدما نحو ضفة النهر. قال مؤكدا بابتسامة وهو ينظر إلى أصدقائه القلقين:

- *أنا... أنا بخير، اعتدت هذه الأشياء كما تعرفون!*

بينما راح كليّم يساعد كويمبي ليرتقي ضفة النهر خطرت ببال سيّن فكرة: لو أنها عن طريق الخطأ دفعت ناتي في الماء فإن كليّم سوف يهم لنجدتها... ألا تعتبر هذه هي المحنة التي تلم الشمل كما تخيلت آنفا؟... لكنها خشيت أن تفسد المياه ألوان فستانها، كما راحت تتخيل منظر ناتي بملابس مبتلة وهو أمر غير لائق بسيدة وكويمبي خير دليل أمامها، ومن ثم استبعدت الفكرة تماما بعد أن استيقنت من عدم جديتها.

جلس كويمبي على ضفة النهر حتى تجف ملابسه التي انكمشت وتقلصت عليه. جلست بجواره حارسته الأمينة والقيمة عليه سيليستي وبجوارها بقايا الطعام بينما انطلق الآخرون في المروج ونحو التلال... يقطفون الورود والنباتات الخضراء حتى خُيل لسيّن أن تتابع مشهد غابة بيرنام وهي تتحرك نحو دنسينين [٢٤].

حافظوا في البداية على صحبتهم ثم سرعان ما تشتتوا هنا وهناك. تخلفت السيدة سيمونسون عنهم نظرا لتباطئها في تسلق المرتفعات مقارنة بالشباب.

---

[٢٤] من مسرحية شكسبير "ماكبث" حين حمل الجنود الأغصان وساروا بها كوسيلة للإخفاء والتمويه. Birnam Wood coming to Dunsinane (المترجم)

وجدت ناتي نفسها برفقة كليّم فشعرت بعدم الارتياح ثم توقفت بغتة وهي تقول:

– *هناك ثمة ما أريد إخبارك به. سمعتك تتحدث غير مرة عن صدي لك. لم أفعل ذلك عن عمد. ما زال يربطني بك نفس القدر من الصداقة وأتمنى لك السعادة من كل قلبي. لدي من الأسباب ما يبرر ما بدا لك سلوكا جافا أو غريبا، لكني أفضل الاحتفاظ بها لنفسي.*

أمعن كليّم النظر فيها وهو يبادلها أطراف الحوار باهتمام زائد. سقطت الورود التي ظل يجمعها من يديه فلم ينتبه لها ولم يعيرها بالا:

– *تعلمين يا ناتي أني لم أرغب مطلقا في نشوء هذه الجفوة بيننا، ومكانك في قلبي لم يتغير منذ تعارفنا القديم عبر التلغراف.*

أطرقت ناتي محدثة نفسها:

– *بعد سيّن!*

لم تستطع مدافعة هذه الفكرة المريرة التي عبرت خاطرها، لكنها تغلبت على مشاعرها على الفور قائلة:

– *شكرا لك يا كليّم. أتمنى أن نظل دوما صديقين.*

حين سمع كليّم هذه الكلمات تقدم نحوها ليسألها: "ماذا؟" لولا لحاق السيدة سيمونسون بهما وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة. لم تشعر ناتي بالأسف ولم تندم على ما قالت. أرادت إفهام كليّم أن تغير سلوكها نحوه ليس بسبب كره أو ما شابه وأنها تتمنى له النجاح مع سيّن. لم تشعر بالرغبة في إطالة أمد المقابلة فمشت في سعادة بجوار السيدة سيمونسون بأنفاسها اللاهثة المتقطعة. سار

كليّم في أثرهما وقد بدا واجما غارقا في التفكير حتى أن السيدة سيمونسون لاحظت ذلك على وجهه وتساءلت متعجبة عن سبب انشغال باله.

في غضون ذلك كانت سيّن وچو في طليعة المستكشفين. انعطفا ليسلكا مدقا فرعيا يفضي إلى ربوة صغيرة. مشت سيّن الهوينى وهي تتحدث ببهجة وسعادة، أما چو فقد لزم الصمت على غير عادته. توقف فجأة فاستفسرت سيّن:

- *يا إلهي! لا أستطيع رؤية الآخرين! ألا يجدر بنا العودة؟*

أجاب چو بصراحة:

- *كلا! لا أرغب في ذلك.*

- *لا ترغب؟! لا بأس، لكن يجب أن لا نشرد بعيدا عنهم. دعنا ننتظر هنا فربما سلكوا هذا الطريق.*

جلست سيّن على صخرة بجانب المدق. بالرغم من أن چو ليس رومانسي- كما يقول هو عن نفسه- إلا أن لديه عين فنان لم تخطأ جمال المشهد أمامه، مشهد لا يحتاج لقطعة من قماش الكتان كي تبقيه في ذاكرته: الجبال في الخلفية والمدق الصغير الذي ينحدر من الربوة القريبة وحتى الصخرة الرمادية التي تكسوها الطحالب حيث تجلس سيّن وقد داعبت عينيها الداكنتين أشعة الشمس، وأضافت الشرائط الحمراء بقبعتها لونا زاهيا فاكتملت به روعة وبهاء اللوحة. وقف چو للحظة صامتا مبهورا ثم خلع قبعته ومرر يده على رأسه الحلوق ثم قال:

- الحقيقة يا سيّن... أتمنى ألا يسلك الرفاق هذا الطريق حتى أنعم بحديث هادئ معك. لقد أحاطونا كثيرا اليوم.

صاحت سيّن بوجه بشوش وصوت معترض وهي تمسك بأحد الأغصان المتدلية من الشجرة التي أظلتهم:

- لست رومانسيا فقط، بل ومتذمر أيضا.

نظر چو إليها بتعبير غريب على وجه ثم قال ببطء وهوادة :

- أنا؟ هل ترغبين في رؤيتي رومانسيا؟ هل تريدين أن أبدو كشخص أحمق؟

ردت سيّن:

- هذا من دواعي سروري!

وقف چو أمامها مباشرة ثم انطلق قائلا:

- إذن... الموضوع هو... ستفاجئين الآن بشكل كبير يا سيّن!

- حسن جدا! لا أستطيع الانتظار. هات ما عندك.

اعترض على وجهها الضاحك قائلا:

- لكن الأمر ليس دعابة! وإذا كان مقدرا لي أن أبدو كالأحمق فليكن ذلك دون مزاح!

عقبت سيّن:

- بالطبع.

بدت عليها بعض مظاهر الدهشة. لم يستطع چو تمالك نفسه. يا له من مخلوق غريب! وما فعله لاحقا كان أشد غرابة، حيث طرح عليها سؤالا بدا غير ذي صلة:

– هل تذكرين ما قلناه منذ فترة وجيزة عن القدر؟

– بالتأكيد، لكن هل غيرت خطتك وقررت أن تخصني برسالة بحثية عن القدر؟!

زادت دهشتها بجلاء فواصلت:

– چو... لا أستطيع أن أفهمك على الإطلاق! تبدو غريبا اليوم!

– مؤكد!... فعندما يضرب رجل بنظرياته عرض الحائط ويلقي بمعتقداته أدراج الرياح ويقر بأنه انهزم فلا بد أن يبدو غريبا، أليس كذلك؟ أنا چو نورتون الذي طالما هزأ بالمشاعر وافتخر بأنه عصي على الحب، بل ويستحيل عليه أن يقع فريسة أو ضحية له يصبح مستعدا... نعم... بل تواقا إلى أن يجعل من نفسه أشد الحمقى والمغفلين على وجه البسيطة... كل هذا من أجلك أنت يا سيّن ومن أجل حبك... هل تفهمين؟

تركت سيّن الغصن الذي كانت تمسك به ثم اتسعت عيناها وراحت تحملق فيه بوجه خال من أي تعبير. انعقد لسانها فلم تعد قادرة –لأول مرة في حياتها– على الكلام. تابع چو بأسلوب رقيق:

– ألم أقل لك أني سأفاجئك؟ يصعب عليك تصديق أني أحبك حقا؟ لست مندهشا... حتى أنا لم اصدق نفسي لفترة طويلة، لكن حين تيقنت من الأمر زالت عني دهشتي. حبي لك حقيقة... ليس في الأمر هزلا أو خلطا... حقيقة ساطعة كنور الشمس... حقيقة لا يمكن إنكارها. أنا أحبك... أحبك.

اتقد صوت چو على غير عادته وهو ينطق بهذه الكلمات فأدركت سيّن أنه جاد بالفعل. تنهدت قائلة:

- أنت... تحب... تحبني؟!

- أجل. ليس لي ناقة ولا جمل في هذا الأمر. تأكدت من شعوري تجاهك منذ أيام قليلة، لكن أعتقد أني وقعت في حبك حين التقينا لأول مرة. لقد أربكتني أفكاري وأعمت بصيرتي لفترة من الوقت.

أخفقت سيّن في التغلب على ذهولها فسألت:

- حسن... وبعد؟!

نظر چو إليها قائلا بلهفة:

- أعرف يا سيّن أني لست جذابا، كما أني فقير. ليس لدي ما أقدمه لك سوى قلب مخلص صادق في حبه. لم أقع في الحب من قبل وأدرك أنه يخرج الناس عن جادة صوابهم، لكن الآمال العراض تهمس في أذني بأن هذا القليل الذي أملكه قد يلقى قبولا عندك.

تغير وجه چو عن المألوف كلية وهو يتحدث. استمرت سيّن في التحديق فيه مندهشة ثم تعافت جزئيا من ذهولها وحمل وجهها الجميل بعض ملامح الجد فانطلقت قائلة باهتمام زائد:

- قطعا يا چو، كيف لا وأنت تعرض عليّ قلبا محبا ومخلصا كما تقول؟ هذا أمر لا يعدله شيء في الحياة.

سأل چو بشغف وهو يتقدم نحوها:

- إذن هل تقبلين وجودي في حياتك؟ وهل تمنحيني فرصة للفوز بقلبك؟ سوف أبذل قصارى جهدي لأكون جديرا بك وسوف أسعى لأكتسب اسما لا

تخجلين من حمله أو الانتساب إليه[٢٥]. *إنني أضع نفسي وحياتي تحت قدميك يا سيّن.*

لم تتمالك سيّن نفسها فصاحت في دهشة:

– *هل هذا هو چو صاحب المشاعر المتجمدة؟!*

أجاب چو بكل تواضع وانكسار:

– *نعم. هذا هو. افعلي به ما تشائين فكله ملك يمينك.*

عكست عينا سيّن عاطفة جياشة. قالت معبرة عن الأسى الذي ألم بها:

– *آسفة بحق. آسفة جدا جدا. ماذا أقول؟ احتفظ لك بمعزة كبيرة كصديق، لكن ما تتطلبه الآن مستحيل!*

توارت الشمس خلف التلال البعيدة وسقط على الغابة ظلال استقرت على وجه چو الذي توسل لسيّن قائلا:

– *أعلم أن الأمر جاء مفاجأة لك. فكري فيه على الأقل. لا تتركيني دون بصيص من الأمل.*

ردت سيّن بنبرة تحمل الجد:

– *چو... أتمنى... أجل... أتمني حقيقة لو استطعت أن أحبك كما تستحق، لكن لا يمكن مطلقا. لا تخدع نفسك بأوهام كاذبة... أصدقاء؟ دوما. أحباء؟ مطلقا.*

لم يستطع چو أن يُخفي شعوره بالغيرة فصاح بمرارة في حلقه:

– *آه! هو كليّم إذن من يقف بيننا؟*

---

[٢٥] في الولايات المتحدة وأماكن أخرى في العالم تأخذ المرأة لقب عائلة زوجها بعد عقد قرانها عليه.

كانت هذه هي المرة الثانية التي تسمع فيها سيّن اسم كليّم في هذا السياق خلال يوم واحد. رددت جملته في ذهول:

- *كليّم من يقف بيننا؟!*

- *والآن يا سيّن بعد أن تذللت وتضرعت إليك... أتعتقدين أني شخص أحمق؟! قد لا أكون رومانسيا بشكل كاف، لكني أناني في حبي ولا أطيق أن أرى شخصا آخر يظفر بما أعتبره العالم كله بالنسبة لي.*

احمر وجه سيّن حتى صار كالشفق الذي لون بفرشاته السماء. سألته غاضبة:

- *هل تعني أني أحب كليّم؟!*

أجاب في أسى:

- *أربأ بك أن تفعلي ذلك. صحيح أني غض في أمور الهوى، لكني واثق كل الثقة أنه يحبك... إنه شاب شديد الوسامة و...*

قاطعته سيّن صائحة:

- *ما هذا الخلط العجيب للأمور... مستحيل!*

- *مستحيل! كلا بالطبع. لماذا تقولين ذلك. لقد أيقظت غيرتي منه شعوري بالحب تجاهك... ثم أن الآخرين أيضا قد لاحظوا تعلقه بك.*

ردت بحدة وهي تنهال ضربا بيدها على الصخرة التي تجلس عليها:

- *لاحظ الآخرون! هذا أمر مروع.*

سألها چو وهو يكاد يطير من الفرح:

- *إذن أنت لا تفكرين فيه؟*

ردت سيّن بانفعال:

- أفكر فيه؟! بالطبع أفكر فيه... أفكر فيه زوجا لناتي... تلك كانت خطتي منذ البداية... أما الآن، إذا صدق كلامك عن حبه لي فقد وقعنا كلنا في ورطة... لا أظن... مازلت أعتقد أنك مخطئ... لكن لا بد من الإقرار أيضا أن الأمور غير المتوقعة تحدث... كمشاعرك تجاهي التي بحت بها لتوك!

أراد چو أن يدع قصة كليّم وناتي جانبا ويعيد قصته هو إلى دائرة الحديث والاهتمام:

- لكني أحبك من صميم قلبي. أنت تعرفين ذلك يا سيّن، أليس كذلك؟ وبما أنك لا تحبين كليّم فلم لا تعطيني فرصة؟ هل تعتبريني شخصا منفرا مثير للاشمئزاز؟

أجابت سيّن في الحال وقد غضت الطرف مؤقتا عن موضوع كليّم وناتي وانشغلت بأمر چو:

- مثير للاشمئزاز؟!... هذا كلام فارغ. ليكن معلوما لديك أني أفضل الزواج منك عن أي شخص آخر.

أمسك چو يدها وقد راوده الأمل من جديد:

- هل تفعلين ذلك حقا؟

تركت سيّن يدها بين راحتيه وهي تجيب بخشوع وتأثر:

- غير أني لا أستطيع الزواج. هذا أمر غير مطروح بالمرة، وليس له مكان في حياتي.

حاول چو أن يحافظ على اتزانه فارتكز على يدها وتشبث بها قائلا في ارتباك:

- ظننت أنك تؤمنين بالحب؟

- أجل أؤمن أنه أمتع مباهج الدنيا، لكنه ليس لي، وسأشرح لك، لكن اعلم أني استفدت من أفكارك كثيرا في اكتساب هذه المنعة... ما يقف حائلا بيننا الآن يا چو هو ذكرى حب قديم ضاع مني للأبد.

صاح چو في ذهول:

- ماذا! هل تعني أنك... أنك...

توقف چو عن الكلام وفشل في إنهاء جملته. مضت سيّن قائلة:

- لم تتوقع أن أقع ضحية للحب، أليس كذلك؟... لكني أعترف أن هذا الوصف لا ينطبق عليّ تماما. لست كسيرة القلب. كل ما في الأمر أن قلبي فارغ وخال تماما... مات فيه شيء ومن المستحيل إعادة الحياة إليه... أحببت رجلا ذات يوم بكل جوارحي وكياني ووجداني...

أطلق چو زفرة.

- تعرف أوهام المراهقين... أحببته للأبد، لكن حبه لي دام ليوم واحد.

قاطعها چو قائلا:

- مستحيل! لا يمكن أن تتغير مشاعر شخص يقع في حبك.

- لكنه فعل ولم أعرف السبب الحقيقي مطلقا. ربما كان هناك امرأة أخرى كما يحدث دوما.

أضاف چو بنبرة ملتاعة:

- أو رجل آخر.

- لا. كان من النوع الذي لا يُقدر حب المرأة، ومن ثم لم يكن جديرا به. لم أدرك هذا للأسف في حينه فبددت ما لدي من حب عليه، وعندما خرج من حياتي رحل معه الحب للأبد.

رفعت رأسها بعزة وتصميم ثم استأنفت كلامها:

- لكن لن أكون من الضعف بحيث أسمح لسفينة حياتي أن تغرق لأن جانبا منها قد تحطم. صحيح أن الغرُم كبير، لكن بقي شيء سأصنع منه الكثير. إن فني هو كل حياتي الآن، لذا لا أستطيع الزواج.

جادلها چو قائلا:

- من غير المعقول أن يتسبب حبك لإنسان لا يستحقك في رفض عرض شخص آخر يسعى جاهدا لينسيك التجربة الأولى. أعطني ما تبقى لديك يا سيّن حتى لو كان الرماد وسوف أشكر الله على هذه العطية وأتفانى فيها، فمن يدري؟... ربما خرج من هذا التراب حب راسخ قوي لا مجال لمقارنته بحبك الأول الصبياني الذي لن تقوى ذكراه المطموسة بعد الآن على إحياء أي ألم أو شجن لديك.

هكذا انطلق لسان چو بفصاحة بالغة مردها إلى عواطفه الجياشة المخلصة. توهجت زرقة عينيه بالحب ونظر إلى سين باهتمام. التقت عيناها الداكنتان بعينيه. ترددت للحظة ثم نهضت بغتة من جلستها قائلة بعزم قاطع:

- لا... لا يا چو. كف عن إغرائي. إنها محاولة محفوفة بالمخاطر... لا يمكن أن أقايض أحاسيس مستهلكة بقلب مفعم... سنجلب البؤس لكلينا... بؤس

أكبر مما أسببه لك في هذه اللحظة. إنني أحترمك وأقدرك كما قلت من قبل، وسوف نبقى دائما أصدقاء... لا أكثر ولا أقل.

قبل أن تُنهي كلامها مدت سيّن يدها لچو مودعة له ولآماله وأحلامه التي نسجها حولها. تشبث چو بيدها متفهما وسيطرت على وجهه علامات الحزن ومظاهره. أجاب بانكسار:

- *كما تشائين يا سيّن، لكني سأظل أحبك للأبد.*

وصلت إلى أذنيها صيحة:

- *سيّن، چو! أين أنتما؟ نحن عائدون.*

أجابت سيّن بصوت واضح:

- *قادمان خلفكما.*

احتجزها چو قائلا:

- *لحظة... هل يمكن... هل يمكن أن أقبلك لمرة واحدة يا سيّن؟ المرة الأولى والأخيرة.*

اغرورقت عينا سيّن بالدموع. خفضت وجهها الجميل حتى تقابلت شفاههما ثم مضيا معا في طريق الإياب وقد خيم الصمت عليهما. وهكذا قال القدر كلمته بشأنهما... الحب يجلب أجمل الأفراح وأقسى الأتراح. نعم... هناك من ينعم بالوصل والقرب وهناك من يشقى بالغرام والعشق.

الفصل السادس عشر
O.K.

عند وصولهما للبنسيون تركت ناتي كليّم واتجهت مباشرة صوب غرفتها وهي تحمل كمية كبيرة من النباتات التي جلبتها من البرية. تبعتها سيّن وقد غيمت الكآبة على وجهها المشرق. كانت النزهة الخلوية مبهجة وممتعة، لكنها انتهت نهاية حزينة بالنسبة لها. أغلقت سيّن الباب خلفهما وابتدرتها بصراحة مباشرة:

- أريد أن أسألك شيئا وهو... هل... أيمكنك أن تكوني بهذا الحمق فتتخيلي وجود علاقة حب بيني وبين كليّم؟!

لم تتوقع ناتي هذا السؤال الذي أخذها على حين غرة فسقطت السلة التي كانت تحملها على الأرض. أصيبت بذهول ووجوم شديدين كما لو أن سيّن شجت أنفها بسكين بل ربما أكثر من ذلك. انتظرت سيّن رد ناتي دون جدوى فلما استيأست منها واصلت بأسلوب حاد ومزاج عكر نتيجة للأحداث التي مرت بها في نهار هذا اليوم:

- سأمتن كثيرا لو أعدت عينيك إلى حجمهما الطبيعي. أريد منك إجابة صريحة: نعم أم لا؟

سرت رجفة بسيطة في جسد ناتي واحمر وجهها وهي تجيب:

- هذا كلام متداول.

- متداول؟! هذا يعني الإجابة على سؤالي بالإثبات.

غطست سيّن في الأريكة مضيفة بنبرة بائسة:

- *لم أحسب حساب هذه الورطة.*

أثار الموضوع ناتي، لكنها لم تفهم ما يجري واحتارت في الرد. تابعت سيّن وهي تضرب الوسادة بقبضة يدها بشكل عنيف:

- *هذا أمر مريع! ما كل هذه الأوضاع المتناقضة التي يخلقها الحب؟!*

وقفت ناتي هناك لبضع لحظات تشعر بالذنب جراء ما تفوهت به وتنظر إلى سيّن وما حل بها من نوبة غضب واهتياج. استعادت ناتي رباطة جأشها فتقدمت نحو سيّن قائلة بصوت شجي حنون:

- *لا أفهم ما رميت إليه يا عزيزتي. ربما تعتقدين أني لا أستسيغ الموضوع بسبب... بسبب الخلفية التلغرافية. إذا كان هذا ما يشغلك فأنا أدعوك لطرد هذه الفكرة تماما من تفكيرك، فأنت وكليّم مناسبين لبعضكما البعض.*

توقفت ناتي بعد أن عجزت عن مواصلة الكلام. ظلت سيّن تصفع الوسادة أثناء كلام ناتي كما لو كانت هي السبب في كل ما يحدث، ثم طوحت بها فجأة صائحة:

- *يا إلهي... يا لغرابة الطبيعة البشرية! أيتها الفتاة الحمقاء! تتحدثين كما لو أني مغرمة فعلا بكليّم! ألم تستشعري قط اهتمامي بعلاقتكما منذ بداية نشأتها، وانشغالي بمراحل تطورها وتطلعي لرؤية النهاية الطبيعية التي تستحقها؟!*

أشرق وجه ناتي لبرهة قصيرة، لكنه سرعان ما انطفأ ثانية وهي تُعلق بصوت خفيض:

- *إذن فأنت لا تهتمين به؟ أيها المسكين كليّم!*

صاحت سيّن وهي تقطع الغرفة بعصبية:

– أيها المسكين كليّم! لا يمكن... مستحيل أن أصدق أنه مغرم بي! كليّم شخص عاقل بالتأكيد ولديه من الفطنة ما يجعله يتفادى الاصطدام بعارضة خشبية في عز النهار...

كادت أن تضيف: "لو كان چو لديه هذه الكياسة"، لكنها نبهت نفسها بسرعة. لم تشأ أن تكشف السر الذي أودعها چو. لن تسمح لنفسها بإفشائه أو نسيانه خلال السنين القادمة التي قد تجمعها به خلالها الزمالة والصداقة. انتظرت ناتي عل سيّن تنهي جملتها، لكن دون جدوى فانطلقت بكلمات عفوية:

– إذا لم تكوني مغرمة بكليّم فأنت امرأة صعبة الإرضاء يا عزيزتي!

أجابت سيّن بمسحة من الحزن:

– ليس الأمر كذلك. لدي حب واحد فقط وهو الموسيقى. حسبتك تعرفين ذلك؟!

عادت ناتي تكرر ما قالت آنفا بنبرة عطوفة:

– مسكين يا كليّم! إنه يحبك. معذور... من يملك القدرة على تجنب الوقوع في غرامك يا عزيزتي.

كانت هذه الكلمات كفيلة لجعل أي امرأة تمتلئ بالغرور، لكنها جلبت نتيجة عكسية مع سيّن التي ردت بانزعاج وهي تتفحص ناتي جيدا:

– وأنت... هل فعلا تتمنين وقوع كليّم في غرامي؟!

أخذت ناتي تلهو بذيل فستانها بعصبية قبل أن تجيب بصوت خفيض:

– كلا يا سيّن.

عندها صاحت سيّن وقد استعادت خيط الأمل:

- إذن فما زال بإمكاننا إصلاح الأمر.

هزت ناتي رأسها معربة عن الرفض:

- يا إلهي! كلا! إنه يحبك يا سيّن. لا يمكن أن أوافق على هذا الأمر. في الواقع لقد خلصت إلى أن هناك من كُتب عليه منذ ولادته أن يُحرم من أفضل ما في الحياة وينأى عن أسوء ما فيها، وأحسب أني واحدة من هؤلاء.

ترجتها سيّن قائلة:

- أتوسل إليك... لا تتفوهي بذلك الكلام.

كانت سيّن منزعجة بشكل كبير فلم تستطع تمرير فلسفتها البسيطة هذه المرة. واصلت قائلة:

- لا تتركي نفسك تنزلق إلى غياهب الحزن والكآبة.

أصرت ناتي على مقولتها الأخيرة قائلة:

- لكن هذه حقيقة دامغة. خذي اسمي على سبيل المثال ليتبين لك ذلك. لقد تم تعميدي باسم ناتالي، اسم جميل وشاعري، لكن لم يدعوني به أحد قط طيلة حياتي، وتم اختصاره إلى ناتي، وهو اسم عادي كما تعلمين.

علقت سيّن ببعض من تأنيب الضمير:

- ثم قلصت أنا الاسم إلى نات!... لكن ما هذه الورطة التي نجابهها! في البداية وقف الرجل صاحب المسك ودهان الدب حائلا بينكما ثم تسببت أنا بتخبطي في المأزق الحالي.

أردفت بنبرة ساخرة:

- *إذا كنت بهذا السحر وهذه الخطورة فربما يجدر بي التواري عن أعين الناس خلف الأبواب!*

ابتسمت ناتي قائلة:

- *العيب ليس فيك. إنه القدر!*

تحولت ابتسامتها إلى زفرة أسى سرعان ما ردت سيّن عليها بأخرى حين تذكرت چو ثم عقبت معربة عن عدم اقتناعها.

- *القدر! كلا. ليس للأمر علاقة بالقدر، فرغم ما يتمتع به كليّم من حصافة فقد ارتكب حماقة حين وقع في غرام المرأة الخطأ تماما كما فعل كويمبي!*

حدقت لأعلى صائحة بشكل مأسوي:

- *والآن من يملك حل هذه المشكلة الشائكة حتى يُكتب النجاح لقصة الحب تلك عبر أعمدة البرق.*

ما إن فرغت سيّن من حديثها حتى سُمع صوت عطس خارج الغرفة وسرعان ما ندفع الباب بطريقة فظة ليكشف عن وجه الآنسة كلينج التي انطلقت قائلة بحدة وخشونة:

- *أريد أن أتحدث إليك يا آنسة روچرز.*

لم يلق هذا الطلب ارتياحا أو ترحيبا من قبل ناتي التي فقدت رباطة جأشها في غضون حديثها مع سيّن:

- *في وقت آخر من فضلك.*

اعتدلت الآنسة كلينج في وقفتها قائلة بنبرة صارمة وساخطة:

- *ليس هناك أفضل من الوقت الراهن، ومن حسن الحظ أن الآنسة آرشر موجودة هنا حتى لا يصلها ما سأقول بطريقة مختلفة.*

عبس وجه ناتي وتجهم، لكن سيّن التي لم تشأ أن يشتت أحد تفكيرها بعيدا عن الموضوع الذي شغل بالها — حتى لو كانت الآنسة كلينج– انطلقت قائلة:

- *حسن جدا. نحن نسمعك يا آنسة كلينج.*

بدأت الآنسة كلينج بعد عطسة قائلة بنبرة جازمة:

- *لقد عرفت كل شيء يا آنسة روچرز.*

تنبهت سيّن فجأة وأسقط في يد ناتي التي ردت بثبات وحزم:

- *هل يمكن أن أسأل عن مغزى هذا الكلام؟!*

غضت الآنسة كلينج الطرف عن سؤال ناتي وواصلت قائلة:

- *أجل. عرفت كل شيء. لقد ساورتني الشكوك حول ما يجري هنا من أمور تنطوي على التعمية والخداع، والآن تكشف لي ما سعيتم إلى إخفاءه عن ناظري. لطالما اعترضت على مخالطتك لهذه الرفقة يا آنسة روچرز*، لكن...

قاطعتها سيّن بازدراء:

- *المعذرة، لكن هذا الأمر لا يعنيك.*

نظرت إليها الآنسة كلينج ثم استأنفت كلامها بعد عطسة مروعة:

- *بل من صميم شأني أن أعرف نوعية الأشخاص الموجودين في مسكني!... وبما أنك فتحت الكلام يا آنسة آرشر فسوف أقول رأيي بصراحة. لا يليق بفتاة تعرف الحياء أن تصاحب من يكشفون أرجلهم ويزينون وجوههم أمام الناس.*

أصابت هذه الإشارات المبطنة سيّن بهستريا الضحك. تابعت الآنسة كلينج:

– أعود لما كنت أقول... بدأت شكوكي حين تناهى إلى سمعي صوت هذه الآلة التي تحتفظين بها هنا بالرغم من عدم وجودك في الغرفة.

تبادلت سيّن وناتي نظرات الارتياح.

– لقد غضضت الطرف عن الجرأة التي دفعتكم إلى وضع هذه الآلة في مسكني، لكن الشيء الذي لا يمكن أن أتقبله هو الخروج عن الأعراف والأخلاق العامة. أجل... عثرت على السلك وتتبعته فوجدت أنه يفضي إلى حجرة الشابين! ليس من الاحتشام أن تُقدم فتاة على مد خط تلغراف بين غرفة نومها وغرفة نوم شابين! هذا أمر لا أفهمه ولا أقبله!

أرادت سيّن أن تسأل الآنسة كلينج – إمعانا في إغاظتها- عن شعورها لو كان السلك يفضي إلى غرفة رجل واحد؟ أما ناتي التي احمر وجهها بشدة وقت إعلان الآنسة كلينج عن هذا الكشف فقد استجمعت شتات نفسها لترد بعزة وكرامة:

– في الحقيقة يا آنسة كلينج لا أجد مبررا لكل هذا الغلو في حديثك! أعترف أنه جانبني الصواب حين سمحت بمد السلك دون استشارتك، لكن فيما عدا ذلك لا يوجد ثمة شائبة أو شائنة في سلوكي وتصرفاتي تستحق اللوم والتوبيخ.

أفزعت كلمات ناتي الآنسة كلينج فقلبت كفيها صائحة:

– لا شيء يستحق اللوم والتوبيخ! تسمين الاتصال بشابين عبر خط تلغرافي لا شيء؟!

في هذه اللحظة قدم عليهم كليّم فجأة وهو يحمل كمية من النباتات قائلا بصوت مرح:

- آسف للمقاطعة، لكن أخبريني بالله عليك يا سيّن إلى متى سأقف حاملا هذه النباتات كما لو كنت فلاحا يوم السوق؟!

انتبه كليّم إلى وجود الآنسة كلينج فأضاف موجها حديثه إليها:

- المعذرة لتجاسري على القدوم فجأة، لكن الباب الخارجي كان مفتوحا.

أدار وجهه صوب سيّن موضحا:

- إن باب غرفتك مغلق وكذلك باب غرفتنا. يحتفظ كويمبي بالمفتاح. أعتقد أن سيليستي استبقته في مكان ما. إنها لا تصبر على فراقه كما تعلمون. انتظرت كثيرا في الردهة وأنا أحمل كل هذه النباتات.

ردت سيّن مصوبة نظرة ازدراء تجاه الآنسة كلينج:

- كنا نخوض في محادثة شيقة فغفلت عن مرور الوقت ونسيت أمرك تماما.

أحس كليّم في الحال بوجود شيء غير طبيعي في الجو. نظر حوله عله يجد تفسير عند إحداهن. أخذت الآنسة كلينج زمام المبادرة قائلة:

- إن جرأتك زادت عن الحد أيها الشاب إلى درجة وضع جهاز تلغراف في مسكني!

- آه!

هكذا جاء رد فعل كليّم بعد أن أدرك حقيقة الأمر. واصلت الآنسة كلينج في حرقة:

- أجل. أعتقد أنك أنت وكويمبي وراء هذه الفعلة. طبعا أنت صاحب الفكرة لأن كويمبي لا يملك الفطنة الكافية للإتيان بمثل هذه الأشياء.

رشفت الآنسة كلينج في ازدراء كبير للمسكين كويمبي ثم أردفت:

- وإلا لما أقدم على الزواج من سيليستي!

عقب كليّم بنظرة خبيثة:

- أشكرك على امتداحك لقدراتي العقلية.

تقدم نحوها مردفا بصراحة قاطعة:

- إذن فقد اكتشفت الأمر؟ على أي حال أنا متأكد أنك لن تغضبي منا. هذا أمر تافه لا يستحق عناء الذكر. مجرد مرح ولهو. أردنا خلق عالم سحري صغير من خلال هذه التجربة المثيرة.

ردت الآنسة كلينج وهي تشد قامتها في استعلاء:

- لهو ومرح! أرجو أن تكف عن استخدام هذه التعبيرات فهي لن تغير في الأمر شيء.

علق كليّم:

- حسن إذن... أنا أتحمل اللوم كاملا فيما يتعلق بخط التلغراف. لقد اضطلعت به بمفردي وأوعزت للآنسة روچرز كي تسمح لي بمده إلى هنا.

أضافت سيّن:

- كما كان لدي أنا أيضا رغبة في تعلم لغة التلغراف.

لم تسترضي كل هذه المبررات الآنسة كلينج ولم تستدر عطفها حيث قالت بسخرية واستهزاء:

– لا أشك للحظة أنه كان لدى الآنسة روچرز قابلية واستعداد لذلك. لقد سمعت كثيرا عن فتيات وقعن في الحب لا يتورعن عن ملاحقة الشباب، لكن لم أسمع أن إحداهن خرجت عن السلوك المعهود فسمحت بمد سلك من حجرتها إلى غرفة شاب كي يتواصلا في توقيتات غير لائقة!

غاصت المسكينة ناتي في الأريكة وورات وجهها بين راحتيها عقب سماع هذه الاتهامات تتلى على مسامع كليّم. انتفض كليّم غضبا، لكنه هدأ ثائرة نفسه حين أدرك أن أي تدخل من جانبه قد يزيد الطين بلة. على غراره أخذت سيّن الحمية فانطلقت قائلة بجفاء وجفاف:

– ربما يحسن بك الخوض في حديث غير هذا. خذي مثلا مطاردة العجائز من النساء لأترابهن من الرجال. لا شك أن لديك معلومات غزيرة عن هذا الموضوع. أتعرفين ما يقوله الطوربيد... أقصد السيد فيشبليت في ذات الشأن.

أشعلت كلمات سيّن غضب الآنسة كلينج وأشعرتها بالإهانة. سرعان ما شحب وجهها ودخلت في نوبة من العطس المستمر. ما إن تعافت منها وأصبحت قادرة على الحديث حتى قالت بحنق شديد:

– يا آنسة روچرز! لا يمكنني الإبقاء عليك في مسكني بسبب سلوكك وتصرفات أصدقاءك.

ردت ناتي بتوتر وقلق:

– لكن يا آنسة كلينج... هذا ظلم بين.

عقبت سيّن بحدة:

- إذن فاعلمي أن أصدقائها لم يستسيغوا أبدا بقائها في هذا المكان، ولطالما حثوها على تركه.

لم يستطع كليّم التحكم في نفسه أكثر من ذلك فصاح قائلا:

- إن دفعوك يشوبها عوار مخز يا آنسة كلينج!

لم تشأ الآنسة كلينج أن تطيل الحديث مع سيّن. وجدت في كلمات كليّم مسوغا لشن هجوم عليه بدأته سائلة في ترفع:

- بأي حق تتدخل أيها الشاب؟!

عض كليّم شفته... إنها محقة. بأي صفة يتدخل؟! ألقى بنظرة في اتجاه ناتي حيث تجلس هناك شاحبة ومنزعجة من جراء هذا المشهد الذي ينذر بخاتمة شؤم بالنسبة لها. مد كليّم يده فجأة نحو آلة التلغراف بجواره وراح يصدر نداءا:

- *N- N- N.*

اشرأب عنق ناتي في الحال، وتابعت سيّن ما يفعله كليّم بدافع من الفضول. شعرت الآنسة كلينج أن هذا النقر العفوي للآلة البغيضة إنما المقصود منه إثارة غضبها وسخطها. أخذت تزيد وتعيد بكلمات مبتذلة في محاولة للتنفيث عن مشاعرها المصدومة والمجروحة بسبب إشارات سيّن إلى الطوربيد، لكن الحضور صموا آذانهم عن برطمتها. ثبت كليّم نظره على المرجاس وهو يكتب بسرعة مذهلة:

- هذه المرأة تقول أنه ليس لي حق التدخل، ولولا تغيرك من ناحيتي وفقدان الأمل في أنك تبادليني نفس الشعور بالحب لنشدت هذا الحق وطلبت من هذه المخلوقة المقيتة التي لا تنتمي إلى جنس النساء مغادرة الغرفة.

حين وصلت هذه الكلمات من النقاط والشرط إلى أذني ناتي واستوعبتها نست الآنسة كلينج، بل نست كل ما حولها إلا حبها لكليّم وحبه لها الذي أعلن عنه لتوه. لم تصدق ما يحدث. هبت على قدميها في لمح البصر وقد غمرت الفرحة وجهها. تقابلت أعينهما... لا حاجة الآن للكلمات ولا حاجة للنقاط والشرط. الحب لا يحتاج إلى مترجم أو شفرة. الحب أقوى من الكهرباء والمغناطيسية في جذب العاشقين. تقدم كليّم نحوها وأمسك يدها بحنان واشتياق. حدث كل هذا والآنسة كلينج تتابع المشهد بعينين مشدوهتين. لم تفهم ما يجري هنا؟! ولماذا قفزت السعادة فجأة من وجه ضحيتها بالرغم من الكلمات القاسية التي كالتها لها؟! خمنت سيّن حقيقة ما يجري أمامها فتهللت أساريرها وهنأت نفسها واستراح قلبها. استدار كليّم نحو الآنسة كلينج قائلا:

- يا آنسة كلينج... من الآن فصاعدا، إذا كان لديك أي ملاحظات أخرى فأرجو أن تتوجهي بها إليّ. والآن هل تسدين لنا معروفا وتغادري الغرفة.

ما إن أنهى كليّم كلامه حتى توجه نحو الباب فاتحا إياه بأدب. لم تصدق الآنسة كلينج أذنيها. صاحت وهي تلتقط بصعوبة:

- ماذا؟!

أضاف كليّم:

- لن أسمح لك بمضايقة المرأة التي ستصبح زوجتي، وليكن معلوما لديك أنه إذا أردنا مد عشرات خطوط التلغراف فسوف نفعل ذلك.

أشار إلى الباب المفتوح على مصراعيه قائلا:

- والآن مع السلامة.

شعرت الآنسة كلينج بالإحباط والارتباك. نظرت إلى ناتي التي تورد خداها وإلى سيّن التي لم تستطع إخفاء فرحتها وإلى كليّم الذي بدا مصمما على مغادرتها المكان ثم قالت:

- *زوجتك! الآنسة روچرز!*

لم تتوقع ما سمعت فذهلت تماما ثم عطست وشدت قامتها وهي تقول في حنق قبل أن تغادر الحجرة:

- *حسن! يبدو أن هذه الآنسة قد تعبت حتى تُوقع بك، واستعانت بالتلغراف حتى تنال مأربها!*

انسحبت الآنسة كلينج إلى غرفتها قبل أن تتمكن سيّن من الثأر منها. ذهبت لتخمد غضبها وتطفئ حسدها وتحلم في قنوط من جديد بالشريك الذي لا يأتي مطلقا. أدركت سيّن أن الآنسة كلينج مثلت الأزمة التي فجرت الأحداث وحركت المياه الراكدة وأن ما كتبه كليّم عبر التلغراف هو ما أوصلهما إلى هذه النتيجة. شعرت بضرورة تركهما على إنفراد فمضت في أثر الآنسة كلينج. ما إن أُغلق الباب خلف سيّن واختلى كليّم بناتي حتى ضمها بين ذراعيه ولم يستطع كبح جماح شوقه فطبع قبلة على شفتيها قبل أن يسأل برقة وحنان:

- *والآن أيتها الفتاة المحيرة... أنت مدينة لي بتفسير عن سبب معاملتك لي على هذا النحو!*

أجابت ناتي وهي تنظر إليه بعينيها الرماديتين وقد زالت عنهما ظلال الكآبة:

- *توهمت أنك مغرم بسيّن.*

علق في دهشة وعتاب:

- *حقا؟! أهذا سبب الجفوة والصد؟! لكن كيف هنت عليك؟!*

حاولت ناتي التبرير قائلة:

- *إنها جميلة، ومن الصعب تجنب الوقوع في حبها.*

علق كليّم قائلا:

- *بالطبع هي جميلة وموهوبة وذكية وخلابة وأوصاف أخري لطيفة، لكنها...*

اعترض بصوت خفيض:

- *ليست فتاتي الصغيرة في مكتب تلغراف المدينة.*

عاد فقبلها من جديد ثم سأل:

- *أيتها الفتاة الشقية الغيورة... وهل كان سبب اغتمامك هو تخيلك أني أحب سيّن؟!*

شعرت ناتي بالخجل، لكنها أجابت بصراحة:

- *أجل. شعرت بالتعاسة حقا يا كليّم. لقد أحببتك منذ البداية حين كنت مجرد فكرة خفية.*

رد كليّم:

- *وأنا كذلك. كنت على وشك أن أقع ضحية لليأس تماما مثل كويمبي، لكني لم أفقد الأمل تماما. توجهت إلى چو وطلبت منه رسم نسخة مطابقة للإسكتش الممزق. فوجئت بوجود كيوبيد في الجانب العلوي من الصورة. لم تذكري شيئا عنه!*

تخبطت ناتي، لكنه ضحك ممسكا بذراعيها ومصوبا إليها نظرة ماكرة. نقرت سيّن الباب بحذر ثم دخلت بعد برهة قائلة:

– المعذرة، لكني جئت لأطمئن على نات... أقصد نتالي. هل ما زالت تعتقد أني وكليّم مناسبين لبعضنا؟!

أطلقت ناتي ضحكة على استحياء. التفتت سيّن إلى كليّم مردفة:

– هذا ما تمنيته من البداية.

لم يكن هناك حاجة لتوضيح المقصود من كلمة "هذا" وما تشير إليه فأكملت:

– قصة غرامية رائعة! أرعبتني ناتي حين قالت أنك مغرم بي. كانت تتكلم بثقة مفرطة حتى كدت أتجاهل إحساسي الفطري وأصدق زعمها.

عقب كليّم بجرأة:

– إن القرب منك مطمح لكل رجل، لكني أحببت ناتي وتعلق قلبي بها قبل أن أراك. لطالما مرت عليّ الساعات الطوال في مكتب التلغراف وأنا أتخيل شكلها وأتمنى أن أكون بجوارها. لا تتخيلي مدى بؤسي وشقائي عندما صدتني فجأة ولا تتصوري سروري وسعادتي حين وجدتها يوم الوليمة وزال سوء الفهم الذي تسبب فيه صاحب الشعر الأحمر. ثم تعرضت قصة حبنا لاختبار جديد اجتزناه اليوم.

أخذت سيّن بخيط الحديث قائلة:

– نعم. لولا الآنسة بيتسي كلينج وما أقدمت عليه من قدح وطعن لما انحلت العقدة ولمكثنا حتى الآن في حيرة وتخبط.

واصلت بنبرة ساخرة:

– *وددت لو عانقت هذه الآنسة العزيزة!*

لكن بما أن الآنسة كلينج لم تكن متاحة فقد ضمت ناتي إلى صدرها بمودة وحميمية. ضحك كليّم قائلا:

– *لقد قضى عليها كلامك اللاذع عن الطوربيد.*

أقرت سيّن ثم وجهت حديثها لناتي قائلة:

– *يجب أن تتركي هذه الغرفة. لقد تحدثت لتوي مع السيدة سيمونسون واتفقنا على انتقالك للعيش معي...*

رمقتها بنظرة ماكرة وهي تكمل:

– *في الوقت الراهن على الأقل حتى تنتهي من كتابك أو خلافه.*

ردت ناتي باهتمام وقد لمعت عيناها:

– *سأنتهي منه قريبا. أنا واثقة من ذلك. هل تذكرين نظريتك عن المحفز الذي يحثنا للأمام؟ لقد كنت على صواب.*

أجابت سيّن بجدية:

– *أجل، وأحمد الله أن الدافع هنا هو الحب لا الإحباط.*

عقبت ناتي مؤكدة:

– *الحب لا يأتي دون طائل، وسوف أُثبت أني جديرة به.*

يبقى صحة كلام ناتي أمرا مرهونا بالسنين القادمة. حمل وجه كليّم إيمانا راسخا بها وكأنه يرى المستقبل حقيقة واقعة. قالت سين في نشوة:

– لا بد أن نقيم وليمة أخرى لنحتفل بكل هذه الأحداث: أنعم الله عليكما بالسعادة وسيليستي تعيش أحلى أيام عمرها وكويمبي قانع بما تجود به الظروف وكلانا أنا وچو نرنو إلى الشهرة في قادم الأيام... لا بد أن نحتفل.

ضحك كليّم قائلا:

– لكن علينا العمل على توفير الأواني وتجنب وقوع حوادث هذه المرة.

صاحت سيّن:

– لكن يا إلهي! مالي أراكما تمارسان طقوس الحب كالأشخاص العاديين مثل كويمبي وسيليستي وغيرهما. لا يعقل هذا. يجب أن تنتهي هذه القصة بالنقاط والشرط كما بدأت حتى يصدق نعتها بالحب عبر أسلاك البرق.

تركت ناتي يد كليّم الذي نهض متوجها إلى الآلة:

– صحيح. هذا ما يتعين علينا فعله.

نظر إلى ناتي ثم كتب بضع كلمات جعلتها تتورد خجلا وتقبض على يده منبهة:

– افترض أن أحدا في حجرتك الآن... ربما تمكن من التقاط كلماتك!

ضحك كليّم وقبلها دون أن يهتم كثيرا بوجود سيّن، ثم قال:

– حسن. أنا راض تماما عن حبنا الطاهر النقي، وأتمنى يا حبيبتي أن نكون قد تجاوزنا كل الخلافات والمنغصات. لا عطل في دائرة الاتصال بعد اليوم ولا انقطاع. من الآن فصاعدا لدينا قصة حب طبيعية وحقيقية.

استلمت ناتي المفتاح. كان قلبها يرقص من الفرح، وتقاسم الجد والضحك ملامح وجهها. كتبت:

O.K. -

إذا كان أحدكم شغوفا بمعرفة ما كتبه كليّم آنفا حين قبضت ناتي على يده فهاهو ذا:

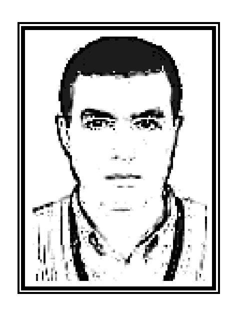
--.   --.---   -.-....-..-.-...-   -.--....-.   -.---

..-....   .-   ...   -

MY   LITTLE   DARLING   MY   WIFE

يا حبيبتي الصغيرة، يا زوجتي.

تمت



د / محمد السيد علي عزب

- مدير معهد اللغات ق م بالإسكندرية
- أستاذ الأدب الإنجليزي "المنتدب" بكلية التربية، جامعة الإسكندرية وجامعة فاروس.
- الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود وجامعة شقراء.

نشر له:

- A Guideline to Translation

حورس، الإسكندرية، 2007

- Brush upon your English

البراء، الإسكندرية 2008

- Enhance your English Vocabulary

البراء، الإسكندرية 2009

- تأثير المفاهيم الثقافية على دراسة اللغة الثانية مع التركيز على اللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية، البراء، الإسكندرية، 2009.
- من مسرح الحرب: أمهات الرجال، رادا "ترجمة"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة المسرح العالمي، يناير 2010.

– روايات محظورة، البيطاش للنشر والتوزيع، الإسكندرية،2010.

– اللغة الانجليزية كما يتكلمها أهلها، البيطاش للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2010.

– قاموس المجاز المصور للغة الإنجليزية، البيطاش للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2010.

– اضحك وتعلم الإنجليزية، دار الإبداع، الإسكندرية،2010.

– ست مسرحيات تبحث عن ناشر، دار الإبداع، الإسكندرية،2010.

– مختارات من الأدب الأنجلو– أمريكي، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار، 2010.

– اللغة العالمية الموحدة: مقومات النجاح وعوامل الفشل، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار، 2010.

– صدفة بتجمعنا (رواية)، دار العين للنشر، الإسكندرية،2011.

– خيوط القدر (رواية)، دار العين للنشر، الإسكندرية،2011.

– شعراء الجيش الثامن البريطاني، من العلمين إلى أورتونا،1942-1945، آرائهم وموقفهم من الحرب (رسالة دكتوراه باللغة الإنجليزية)، لامبرت للنشر الأكاديمي Lambert Academic Publishing ، ألمانيا، 2011

– الحب عبر أعمدة البرق (رواية للكاتبة الأمريكية إيلا شيفر ثاير)، ترجمة، دار طوي للنشر، بيروت،2012.